الافتتاحية

يصادف صدور هذا العدد الجديد من مجلتنا الاحتفال بذكرى مرور ستين سنة على **ثورة نوفمبر** المجيدة ، فاجتمعت و تقاطعت " **الذاكرة**" مع "**الذكرى**" ، و أية ذكرى أجمل و أعز على نفوس و قلوب الجزائريين من ذلك اليوم " النوفمبري" ، الذي حرر البلاد و العباد و أفسح المجال للعمل و الإبداع.

و إن مجلة "مخبر التراث اللغوي و الأدبي بالجنوب الجزائري" لتسعى دائما منذ تأسيسها للاستجابة للمتطلبات البحثية الأكاديمية و الاجتهاد في ترسيخ كل ما يتصف بالعلمية و الجدية ، في انسجام مع ثوابت أمتنا و تناغم مع انجازات و فتوحات نوفمبر الجزائر .

و ما سيطالعه القارئ الكريم هنا ;هو مجموعة من المداخلات التي قدمت في الملتقى الوطني الثاني حول " المخطوطات في الجنوب الجزائري "، اشتغل الباحثون من خلاله على ما تحويه مكتبات الأفراد و العائلات و خزائن **توات، ومزاب**، و **ريغ**، و**سوف**،،،، وغيرها من كنوز دفينة ، وكذا المدونات من علوم و فنون مختلفة ، أبدعتها عقول نيرة و قلوب طاهرة امتلكها أسلافنا ،.

سيجد المهتم بالتراث و المخطوط مبتغاه في هذا العدد ، حيث توزعت الموضوعات و الأعمال على الإحصاء و الجرد ، و الفهرسة ، و البيبليوغرافيا ، و كل ما يرتبط بالأعلام و الانجازات ، مع عدم إغفال التجارب الميدانية لمن مارسوا التحقيق ومعالجة المخطوط من الخارج :(التجليد و الورق وجودة الكتابة.....) ومن الداخل :(المعارف و المضامين ،و اللغة ....) .

و إن هذا الجهد المبذول ينم عن شعور بالمسؤولية و يكشف النوايا الخيرة لمعظم باحثينا ، أصحاب الأقلام الرصينة، الذين عملوا على نفض الغبار عن مخطوطاتنا التي غيبها النسيان ،فهؤلاء جميعا ليسوا إلا أبناء نوفمبر يحركهم الشوق لتراثهم ، ويدفعهم الإيمان بانجازات أجدادهم ، فتجدهم يرغبون دوما، ويطمحون إلى تعزيز مسيرة الجامعة **النوفمبرية** الرافضة للقيد الاستعماري، الطامحة للتحرر الفكري، و المساهمة في البناء الحضاري الإنساني.

ورقلة ، نوفمبر 2014

الأستاذ. يحيى بن بهون حاج امحمد
قسم اللغة والأدب العربي - جامعة غرداية

تجربتي مع التراث الجزائري، جمعاً وتحقيقاً ودراسةً تحقيق حاشية سليمان الجربي نموذجاً

الملخص:

هذه الورقة البحثية هي محاولة لعرض جزء من تجربتي المتواضعة في حقل تحقيق التراث المخطوط، وهي موجهة أساساً للطلبة والباحثين في مرحلة الماستر ومدارس الدكتوراه، القصد منها تحفيزهم على اقتحام غمار التراث والمساهمة في إعداد نخبة منهم تُعنى بجمع وتحقيق تراثنا المكدّس في الخزانات؛ وبخاصة في صحرائنا الكبرى...

أما تجربتي المتواضعة مع المخطوط فقد انطلقت فيها من مرحلة الليسانس؛ إذ حققت القصيدة الحجازية للشيخ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني كمذكرة تخرج سنة 2001؛ وطبعتها لاحقاً في سنة 2007 بمناسبة الجزائر عاصمة للثقافة العربية؛ ثم واصلت دراساتي العليا في مرحلة الماجستير وتخصصت في "تحقيق المخطوطات" بجامعة الجزائر، وتوجت هذه المرحلة بجمع وتحقيق ودراسة لديوان الشيخ إبراهيم بن بِحمان اليسجني (ت:1817م)، وهو ديوان ثريّ ومتنوّع الأغراض، طبع أيضاً سنة 2007 بمناسبة الجزائر عاصمة للثقافة العربية، وفي مرحلة الدكتوراه تفرغت لتحقيق ودارسة لكتاب نفيس في البلاغة العربية هو حاشية سليمان الجربي على مختصر التفتازاني، نوقشت الأطروحة في جوان 2013 بتقدير مشرف جداً، وطبع الكتاب بدار الآفاق العربية بالقاهرة صيف 2014، وسيكون بحول الله في معرض الجزائر الدولي للكتاب نهاية شهر أكتوبر بحول الله وقوته.

وخلال فترة التحضير للدكتوراه قمت بتحقيق ودارسة لبعض الآثار المخطوطة، منها على الخصوص: رسالة قيّمة في بعض أعراف وعادات وادي ميزاب تأليف الشيخ القرادي؛ ابن بلدة العطف بغرداية (طبعت سنة 2009)؛ وكذا "ديوان الغريب" (شعر ملحون) للشاعر عمر بن عيسى بلعيد البرياني (ت:1947م)؛ طبع سنة 2010.

عناصر البحث:

- تحقيق التراث المخطوط؛ أضواء على الطريق.
- المخطوطات في ميزاب بين الواقع والمأمول.
- عُدّة المحقق وأدواته.
- الدراسات المحقّقة (ملخص عن مجمل المنجزات).
- تجربتي في تحقيق مخطوط حاشية سليمان الجربي على مختصر التفتازاني.
- طموحات وآفاق في مشوار البحث العلمي.
- توصيات.

آملاً أن يتحقق الغرض المرجو من هذا البحث، وأن يستفيد الطلبة من التجربة المتواضعة، وأن يوجهني من يطلع على هذه الدراسة فيدلّني إلى ما غفلت عنه فأسلكه وأواصل المسيرة.

1- تحقيق التراث أضواء على الطريق:

لقد كثر الحديث في السنوات الأخيرة عن المخطوطات، كما ظهرت اهتمامات جمّة ومبادرات عدّة نحسبها طيبة لأنها تُعنى بالمخطوطات كمادة تراثية وموروث حضاري، يرمز إلى جهود السلف في نشر الثقافة، وقد اتجهت البحوث المتعلقة بالمخطوط إلى تحقيق نصّه، كما اقتصر بعضها على دراسته كوثيقة مادية أثرية حضارية تعطي صورة معبرة عن مختلف مجالات الحياة السياسية والدينية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية..إلخ.

إن المخطوط سجلٌّ حافلٌ يحفظ الأحداث ويرصد مجريات التاريخ ويواكب التطور الحضاري ويقرب بين الجماعات التي تفصلها مسافات أو يحول بينها زمن، وهو وثيقة مكتوبة يمكن بالاطلاع عليها الاقتراب من عصر صاحب المخطوط ومكانه، ومن معرفة تفاصيل دقيقة عن الحياة الفكرية والأوضاع الاقتصادية والحالة الاجتماعية، ويصلح مصدرا هاما للتأريخ للحضارة ومتابعة تطورها.

ففي عهد النبي صلى الله عليه وسلم تشرّف النُّساخ بكتابة الوحي، وتواصى الناس بإتقان الكتابة، قال عليّ بن أبي طالب لعبد الله بن أبي رافع: (يا عبد الله ألقّ دواتك، وأطل شباة قلمك، وفرّج بين السطور وقمّط بين الحروف). وبعد أن كانت الثقة عرفا سائدا بين الناس لم يحتاجوا معه إلى توثيق، أمر القرآن بعُرف مخالف قائلاً: ﴿...فاكتبوهُ﴾(1)، لأنَّ التسجيل يحفظ الحقوق، وإجراءات التعامل تقتضي وجود الوثائق والمستندات.

ولعل كثرة المدونات وتنوع المخطوطات دليل على عمق حضارة الأمّة، والمخطوط هو المكتوب بخط اليد لا بالمطبعة ويشمل كل نص، فإذا عرف عنوانه وصحت نسبته إلى مؤلفه، تتحدد قيمته الحضارية من خلال تاريخ نسخه. وتزخر مكتبات عديدة بالمخطوطات وعلى أصحابها فتح الأبواب للباحثين، لأن أسلافهم لم يؤلفوا تلك الكنوز لتبقى أسيرة الخزانات بل ليُشبع منها طلاب العلم نهمهم وترى النور محققة ويستفيد منها الخلف ويتواصل مسار نشر العلم.

2- المخطوطات في ميزاب بين الواقع والمأمول:

يزخر وادي مزاب بالجنوب الجزائري بعديد المكتبات وخزانات المخطوط الخاصة والعامة، ففي كل قرى مزاب السبعة تقريباً توجد كنوز تراثية مخطوطة ووثائق ومطبوعات نادرة...؛ ولتثمين تلك الكنوز وصيانتها والمحافظة عليها من التلف والاندثار بادرت جمعية التراث خلال التسعينيات من القرن الماضي إلى وضع فهارس لبعض الخزانات الهامة التي يرتادها الباحثون بكثرة، وذلك بعد أن أخضعت ما تصل إليه من نفائس مخطوطة إلى عملية التعقيم والحفظ...، ثم توالت الجهود تباعاً لفهرسة ما بقي من خزانات المخطوط في قرى مزاب الأخرى، إذ آزر جهود جمعية التراث جمعياتٌ ومؤسساتٌ أخرى على غرار "مؤسسة الشيخ عمّي سعيد" و"جمعية الشيخ أبي إسحاق أطفيّش" بغرداية؛ وهما المتخصصتين في خدمة التراث وصيانة المخطوط عن طريق وضع برامج للتصوير الرقمي والضوئي للمخطوط وكذا إعادة الفهرسة... إلخ.

وتتوزع خزانات المخطوطات على عديد المكتبات العامة والخاصة في مختلف قصور الوادي السبعة ووارجلان، وتقدّر بنسبة الربع تقريباً أي حوالي 25 % من إجمالي مكتبات التراث الإباضي مشرقاً ومغرباً.

ورغم أنَّ المزابيين من أصول أمازيغية بربرية فإنَّ تراثهم المخطوط والمطبوع يعتزّ باعتماد لغة الضاد والعناية بأصول الدين وفروعه، ويفخر بخدمة الإسلام والعربية وتأصيلهما في مجتمعه، لذا فإن التعريف برجال السلف من مؤلفين ونُسَّاخ

ووقَّافين أمانة في أعناق الباحثين من أبناء الإباضية المغاربة وغيرهم، إذ لا تزال سيرهم مجهولة عند الأقربين بله البعيدين، كما أن إحياء التراث المخطوط قد خضع لفترات مدّ وجزر وانكماش وانتعاش وتلف ونجاة، وعلى أجيال اليوم أن تدعم الانتعاش وتنقذ كنوز السلف، وأن لا يدّخر المسؤولون أيَّ مجهود للمساهمة في تحقيق التراث الثمين، وبخاصة مؤازرة طلابنا الجامعيين، وأبارك جهود بعض الأساتذة والباحثين الذين بادروا إلى تحقيق بعض هذه الكنوز وإخراجها من ظلمات الصناديق إلى أنوار المطابع والمعاهد.

على أنَّ موضوع تاريخ المكتبات بميزاب موضوع بكر لا يزال بحاجة إلى دراسة جادة لكشف مراحله وخباياه، وقد يظهر للمتأمل فيه لأول وهلة ما يأتي:

1- عدد المكتبات وخزائن الكتب كبير بالنظر إلى الحجم الصغير للمجتمع المزابي.

2- المكتبات والخزائن في وادي ميزاب ترجع من حيث ظهورها إلى عوامل منها:

- ما يدخل في إطار القيادة الروحية في كل قرية، كخزانات الكتب بِدُور التلاميذ المنتظمة بقرب المساجد.

- وإما للنشاط العلمي لبعض العلماء ومحبّي العلم، إذ يشرفون على إنشاء مكتبات خاصة تبقى من بعدهم، كخزانة الشيخ داود بن يوسف بن باحمد بن أيوب (ق12هـ) بالعطف، وخزانة الشيخ بلحاج بن كاسي (توفي: 1243هـ) بالقرارة، وخزانة الشيخ محمد بن عيسى أزبارْ (ق13هـ) ببني يزجن، وخزانة الشيخ بَابَه بن يونس (توفي: 1280هـ) بغرداية، وغيرها كثير...

3- أقدم خزائن الكتب التي كشف البحث عنها على مستوى وادي ميزاب _بغضِّ النظر عن وجودها أو اندثارها_ يرجع تاريخ نشأتها إلى القرن العاشر الهجري، وقد توصلنا إلى حصر ذلك في:

1- خزانة دار التلاميذ بغرداية، التي أشرف على تأسيسها الشيخ سعيد بن علي الجربي (توفي: 927هـ) عندما هاجر من موطنه جربة واستوطن ميزاب، حيث كون نهضة علمية آتت ثمارا يانعة من بعده، قال الشيخ إبراهيم أبو اليقظان _رحمه الله_: "...وقد ترك الشيخ كثيرا من نفائس الكتب التي يمتلكها حبساً في خزانة دار التلاميذ بغرداية بخطه في نص الوقف، فكان نفعها عامًا وخيرها شاملاً لجميع الأجيال العلمية المتعاقبة في غرداية..." (2).

2- خزانة الشيخ سعيد بن علي الجربي الشخصية، إذ اعتنى بجمع العديد من الكتب القديمة وتركها وقفا بيد أبنائه وحفدته وهذا إلى جانب إشرافه على إنشاء مكتبة دار التلاميذ السابق ذكرها، ومبادرة الشيخ عمي سعيد تُعتبر مبادرة مبكّرة

للمكتبات [العامة] بوادي ميزاب، وهي في علمنا أقدم مكتبة على مستوى قرى ميزاب، ليس بالنظر إلى مُنشئها فحسب بل إلى الكتب التي كونها بها وبخط يده[3]، وذلك قبل وفاته.

3- خزانة الشيخ أحمد بن موسى الشهير بـ"الشيخ المِيغَرْ"، ببلدة العطف، (كان حيًّا سنة 970هـ)، قال الشيخ أبو اليقظان _رحمه الله_: "...وقد ترك خزانةً حافلةً بنفيس الكتب في جميع الفنون النقلية والعقلية، ومن الأسف أنه أتت عليها أيدي التلاشي..." [4].

4- خزانة الشيخ الحاج محمد بن سعيد الشهير بـ"الشيخ بالحاج" ببني يزجن (ق10هـ)، إذ تشير بعض التقاييد إلى أنه خلّف خزانة كتب[5]، وقد عثر على كتب له كثيرة نسخها في غضون القرن العاشر الهجري سواء في ميزاب أو في جربة عندما رحل إليها للدراسة، كما عُثر على طائفة من الكتب نُسخت له.

المكتبات القديمة ببلدة غرداية[6]:

بالنسبة لبلدة غرداية نشطت بها حركة نسخ الكتب وجمعها وإنشاء الخزائن والمكتبات نتيجة لتوسع الحركة العلمية وازدهارها، وهذا كأثر إيجابيّ من آثار النهضة الفكرية التي أقامها الشيخ عمّي سعيد الجربي، وفي هذا الصدد يمكن حصر قائمة بأسماء خزائن الكتب القديمة التي كانت مراكز للإشعاع الثقافي، وذلك من خلال بعض التقاييد على بعض المخطوطات القليلة والشحيحة في هذا المجال، أو البقايا الماثلة من بعض هذه الخزائن إلى يومنا، وهذه الخزائن هي كالآتي التي رتبنا أسماءها زمنيا:

1. خزانة دار التلاميذ (تَدَّارْتْ نْ إِرْوَانْ) [7].
2. خزانة الشيخ عمي سعيد (ت:927هـ).
3. كتب جامع الشيخ عمي سعيد.
4. خزانة الشيخ كاسي بن أيوب (1050-1150هـ).
5. خزانة الشيخ أبي بكر بن يوسف الغرداوي (ت: بعد 1206هـ).
6. خزانة الشيخ الحاج عمر بن صالح القاضي (ت: بعد 1200هـ).
7. كتب الشيخ بَابَه بن محمد بن أبي القاسم الغرداوي (ت: 1207هـ).
8. خزانة الحُجاج[8].
9. خزانة الوقف[9].
10. خزانة مشائخ غرداية.
11. خزانة الشيخ بَابَه بن يونس الغرداوي (ت: 1280هـ).

12. خزانة الشيخ الحاج أبي بكر بن مسعود الغرداوي (ت:1325هـ).

مجموع المكتبات بوادي ميزاب:

يبلغ عدد المكتبات بوادي ميزاب أزيد من 118 مكتبة، وهي تتنوع بين العام والخاص، ويمكن تقسيمها كالآتي:

1. عامة؛ مثل: مكتبة القطب ببني يزجن.
2. تابعة للعشائر؛ مثل: مكتبة آل يدّر ببني يزجن.
3. تابعة للمعاهد والمدارس الحرة؛ مثل: مكتبة الإصلاح بغرداية والحياة بالقرارة.
4. تابعة للمساجد؛ مثل: مكتبة إِرْوَانْ (دار التلاميذ) بالعطف، ومثيلاتها موجودة في كل قرى الوادي.
5. تابعة للجمعيات الثقافية؛ مثل: مكتبة جمعية الشيخ أبي إسحاق إبراهيم أطفيَّش بغرداية.
6. خاصة؛ مثل: مكتبة الأستاذ الحاج سعيد بغرداية، والشيخ المطّهري بمليكة، والمختار الحاج الناصر ببني يزجن؛ وهي في ازدياد مستمر.

وقد أحدثت بعض الجمعيات الناشطة في مجال حماية المخطوطات فرق بحثٍ، استطاعت بفضل الله وإرادتها الخيّرة أن تتوصل إلى وضع العديد من الفهارس العلمية للخزائن والمكتبات، وهذا بعد أن أقامت أياماً دراسيةً مغلقةً، واستدعت إليها الأساتذة والباحثين ذوي الاهتمام بمجال التراث والمخطوطات؛ ومن أبرز هذه الجمعيات:

1. جمعية التراث بالقرارة، والتي باشرت العملية في مطلع التسعينيات، وبالضبط في أواسط 1992م[10]، بادرت إلى وضع مشروع سمّته "نحو دليل مخطوطات وادي ميزاب"، فأصَّلت لعمل أكاديمي ومنهجي متميز تحت إشراف: د.محمد صالح ناصر ود.محمد عيسى وموسى، فجمعت إليها سواعد المخلصين الذين قدّموا جهدهم للتراث، وولجوا عالم المخطوطات بداية بالفهرسة، ليتعمقوا فيها دراسةً وتحقيقًا في أبحاثهم الأكاديمية بعد ذلك، وقد ظهر أول فهرس مطبوع لها سنة 1994، إلا أنه لم يخلو من بعض النقائص وذلك لأن خدمات الكمبيوتر لم تكن متطورة بالشكل المعهود حالياً[11].

2. مؤسسة الشيخ عمي سعيد في أواخر التسعينيات، أواخر 1999[12]؛ وقد قطعت أشواطاً مهمة في هذا المجال ولا تزال تطور خدماتها وتستدرك النقائص وتقوم بطبع الفهارس واستصدار بعضها في أقراص مدمجة خدمة للباحثين.

3. جمعية الشيخ أبي إسحاق إبراهيم أطفيَّش لخدمة التراث بغرداية، والتي استطاعت أن تستدرك معظم النقائص التي ظهرت في الأعمال السابقة، بل أكثر من هذا فقد وفقت إلى التصوير الرقمي لعديد الخزائن والمكتبات خدمة للباحثين وتسهيلا للعمل عليهم في اختيار المخطوط المراد طبعه أو تصفحه على الكمبيوتر... ومؤخراً أنشئت نظاماً خاصاً لتسيير المخطوطات المرقمة أسمته "برنامج البرّادي"[13] وهو محرك بحث متطور يجمع بين دفتيه أزيد من 8768 مخطوط في مختلف الفنون، ومؤخراً محرك "الرُّستمي"[14] وهو محرك بحث شامل لكل قاعدة بيانات الجمعية؛ ومثل هذه المبادرات الطيبة من الواجب تدعيمها وتشجيعها، وتعميمها في قطرنا هذا وفي كامل الأقطار الإسلامية حتى نحفظ للأجيال رسالة السلف في تبليغ العلم وأمانة الدين.

3 ـ عُدّة المحقق وأدواته:

لكل حرفة من الحرف عُدّة لا يستقيم العمل من دونها، ولا يعني أنّ من كان لديه هذه العدة أو تلك خَبِرَ الصَّنعة، فالمرء يمكنه أن يُكوّن نفسه كما يشاء بشيء من الصبر والتصميم، إلاَّ أنه لا يقدر أن يكوّن نفسه رسّاماً أو شاعراً أو أديبا... فهذه مواهب ربّانية تتولد بالفطرة، وليتعرّف على هذه العدّة لابد أن يرافق أهل الاختصاص بعقله وعمله، وإذا درست باحثاً معدوداً في أخلاقه وآثاره رأيت فيه صفات خاصة فطرية ومكتبية وخلقية ومهنية، وإذا نظرت إلى هذه الصفات وجدتها كثيرة ووجدت فيها ما يشارك به المختصين الآخرين في كلّ حقلٍ من ذكاءٍ وعلمٍ وثقافةٍ عامة وخاصة وتجربة وما إلى ذلك، ومن إخلاص وأمانة وما إليها ومنها يشارك به غيره، ولكنها لديه ذات دلالة مرتبطة بعمله الخاص، ومنها ما يجب أن يتفرد به بحكم البحث وهذه الشروط هي:

(أ) الرغبة: وهي شرط للنجاح في كل عمل وشرط في البحث، فإذا فرض عليك البحث فرضاً ضقت به ذرعا وكنت كالمضطهد ويصعب في هذه الحالة أن ينجلي ليلك من نهارك، أما إذا كنت راغباً أنست بعملك ولازمتك خلاله نشوة فبذلت بسبب ذلك الجهد؛ إذن الرغبة شرط ضروري من شروط الباحث الناجح إذ أنها تجعل منه متحمسا دؤوبا على الجمع والتأليف والتحقيق، أما إذا فُرض عليه الموضوع فرضاً ضاق به ذرعاً فلا يحقق الغاية المرجوة منه، وإذا كان الباحث راغباً بذل قصارى جهده في البحث حتى يحقق الغاية التي من أجلها أقرت الأبحاث.

ولا يعني هذا حجة رخيصة يتوسل بها الطالب الذي يؤثر الراحة فقد يحسب امرؤ أنه غير راغبٍ على التوهم أما إذا بدأ وسار قليلاً فإنه يكتشف حقيقته فيحس بمتعة

البحث وييسره؛ ثم إن قلة الرغبة لا تكون سببا وجيها للانصراف عن البحث، لأنه أمر لابد منه أما التوفيق ودرجة التوفيق فذلك ما يقدره الأستاذ ويقدره معه الظرف.
(ب) الصبر: لا تنفع الرغبة وحدها لقطع طريق البحث، لأن طريق البحث طويلة وشاقة وما أكثر الراغبين الذين ينكصون منذ البداية، فقد تكون الرغبة الظاهرة نزوة عابرة يجهل صاحبها كنهها، ومن هنا وجب أن يصحب الرغبة الصبر على المكاره والثبات إزاء المعوقات والمثابرة وبذل الجهد والوقت من دون تأفف أو تذمر في الجمع والمناقشة والتأمل حتى بالغ بعضهم فقال: "البحث صبر".
(ت) التتبع وحب الاطلاع: يجب أن يقترن الصبر بالتتبع وحب الاطلاع على ما قيل ويقال وكتب ويكتب وصدر وما يصدر، فعليه التفتيش في المصادر والمراجع ويقرأ المجلات والدوريات، لأنَّ البحث لا يعتمد عددا محددا من مشهور المصادر، بل لابد من الرجوع إلى كتب أخرى تبدو أقل أهمية ولكنك قد تجد في زواياها ما يمكن أن يجلو غامضا أو يفتح بابا أو يسدّ طريقاً على آخرين، ولا بد للباحث وهو يفتش عن المصادر من الاستقصاء في بحثه فلا يزدري أيّاً من المصادر لأنَّ أضألها وأحقرها لدى النظرة الأولى قد يغدو بعد التحقيق أشدها خطورة وأغناها بالمعلومات والحجر الذي يحتقره البناءون قد يصير رأس الزاوية.
(ث) الأمانة العلمية والضمير: البحث أمانة وضمير والأمانة أن تنقل رأي غيرك في دقة وتنسبه إلى صاحبه، فلا تشويه إذا لم يعجبك ولا تزويق إذا أعجبك ولا تسرق إذا رأيته صالحا فتكون بذلك كأي سارق يصدر عن دناءة، ولا ينجو من عقاب عاجل أم آجل ولا ينفعك أن تتصرف برأي غيرك وأن تغيّر صياغته ثم تدعيه لأنَّ ذلك إن يخف عليك وعلى آخرين فلن يخفى على الباحثين والناقدين.
يضاف إلى هذه الشروط الحافظة والذاكرة والقدرة على الترتيب والتصنيف والشك والتثبت والإنصاف والموضوعية؛ ويتوّج كل ذلك "الموهبة" أو الملكة التي يتمتع بها الباحث المتمرّس بالقراءة والجمع والتأليف باستمرار ما يؤدي إلى تفتح مواهبه ويجعل القارئ إزاء عمل ضخم عميق عملت على شده عوامل كثيرة[15]...

4- الدراسات المحققة:

بداية اهتمامي بحقل التراث والمخطوطات كانت من حصولي على شهادة البكالوريا في شهر جوان 1997، شعبة آداب وعلوم وإنسانية، من ثانوية العطف الجديدة (غرداية)، أين التحقت بعدها بجامعة عمار ثليجي بالأغواط للدراسة في قسم اللغة العربية وآدابها، إلى أن تخرجت منها شهر جوان 2002، وقد درجت في مرحلة الليسانس على يد ثلّة من خيرة الأساتذة وأنجبهم تدريساً وتوجيهاً لا زلت أتذكر

دروسهم ومحاضرتهم القيّمة إلى اليوم؛ وقد توجت المرحلة الأولى بمذكرة تخرجٍ قمتُ فيها بتحقيق ودراسة للقصيدة الحجازية لأبي يعقوب الوارجلاني (500-570هـ) تحت إشراف الدكتور الفاضل بديار بشير؛ وقد مكّنتني العناية الأولى بالتراث والاهتمام بتحقيق المخطوطات من الانتقال بعد ذلك إلى جامعة الجزائر أين واصلت دراساتي العليا في مرحلة الماجستير (2003-2005) في تخصص "تحقيق المخطوطات" في حلقة الدكتور الشريف مريبعي؛ وقد توجت هذه المرحلة أيضاً بحصولي على شهادة الماجستير في شهر أكتوبر من سنة 2006، وذلك بعد مناقشة رسالتي للماجستير والموسومة بـ"ديوان ابن بحمان" جمع ودراسة وتحقيق، تحت إشراف الدكتور محمد بن قاسم ناصر بوحجّام؛ وقد طبعت الرسالة بدار الهدى (عين مليلة) بمناسبة الجزائر عاصمة للثقافة العربية سنة 2007؛ تحت إشراف وزارة الثقافة، وطبعت معها أيضاً مذكرتي لليسانس وهي: "رحلة الوارجلاني" وذلك بعد تنقيحها وإعدادها للطبع والنشر مرفقة بالقصيدة الحجازية للقطب أمحمد بن يوسف أطفيَّش في سلسلة من ثلاثة أجزاء.

في شهر سبتمبر من سنة 2007 سجّلت في الدكتوراه بجامعة الجزائر؛ بحثي الموسوم بـ "حاشية سليمان الجربي على مختصر التفتازاني" (في البلاغة العربية) دراسة وتحقيق؛ تحت إشراف الدكتور الفاضل محمد بن قاسم ناصر بوحجّام؛ وقد ناقشت أطروحتي للدكتوراه بجامعة الجزائر شهر جوان 2013؛ بتقدير مشرّف جداً، وقدمتها للطبع بعد تنقيحها في كتاب سَنيٍّ شهر جوان 2014 عند دار الآفاق العربية بالقاهرة؛ ويقع الكتاب في حوالي 860 صفحة؛ وقد اخترت الحديث في هذا البحث تركيز الحديث عن تجربتي في تحقيق مخطوط حاشية سليمان الجربي على مختصر التفتازاني (موضوع أطروحتي للدكتوراه) لأنها آخر عمل قمت به، صدر في صيف 2014 فهو حديث جداً، وحتى أبرز التجربة المتكاملة في تحقيق هذه المخطوطة المميزة.

5 - تجربتي في تحقيق مخطوط حاشية سليمان الجربي على مختصر التفتازاني

سليمان الجربي وحاشيته على مختصر التفتازاني:

هو سليمان بن عبد الرحمن بن سليمان المغربي الجربي السومني (أبو الربيع) الشهير بـ"سليمان الجربي"[16]، (ق: 10هـ/16م)، من علماء جربة بتونس، ابتدأ حياته العلمية بالدراسة في بلده، ثم بجامع الزيتونة، ثم انتقل إلى مصر سنة 916هـ/1510م، لينهل من معين جامع الأزهر العامر ومدرسة الجيعانية ببولاق على ضفاف النيل، على يد الشيخ أبي الحسن علي بن إبراهيم الكيلاني المصري،

وهناك أخذ العلوم العقلية حتى تضلع في بعضها، ولما رجع إلى جربة، وقد صار عالِماً مُحقِّقاً _كما وصفه بذلك أبو اليقظان_، درَّس بمدرسة الجامع الكبير بجربة.
ويعرّفه بدر الدين القرافي (ت: 1008هـ/1600م) في كتابه: "توشيح الديباج وحلية الابتهاج" بما يأتي: "الجربي: سليمان بن [عبد الرحمن] الجربي، كان كاملاً، فاضلاً، مشهور الفوائد، ثابت القدم في أشغال الطلبة، نزل بالشيخونية بمصر، وعكف الناس عليه، وصنَّف وأجاد؛ كتب حاشية على المتوسط، وأخرى على المختصر؛ شرح التلخيص شرحاً على إيساغوجي وشرحاً على الكافية، وغير ذلك، توفي رحمه الله"(17).
ومن أبرز تلامذة سليمان الجربي: زين بن أحمد بن موسى الجيزي (ت: 979هـ/1569م)؛ وقد وصفه بدر الدين القرافي في كتابه "توشيح الديباج" بما يأتي: "وأخذ العلم عن غيرهما أيضاً كالشيخ سليمان الجربي صاحب الحاشية على مختصر المعاني والمتوسط"(18)؛ وله تآليف عديدة أشهرها:
أ - شرح كتاب إيساغوجي(19)
هو شرحٌ لكتاب الشيخ أثير الدين الأبهري في المنطق، وقد اشتهر هذا الكتاب بـ"شرح سليمان الجربي"، وكان مُعتمداً في جامع الزيتونة لقيمته العلمية، وتوجد منه طبعة حجرية بالمطبعة التونسية 1347هـ (1928م)؛ وقد سمّى سليمان الجربي مؤلَّفَه هذا بـ"تقييدات" وسمّاه "رسالة"، وفي ذلك يقول في الديباجة: "...أما بعد؛ فهذه تقييدات على متن إيساغوجي للشيخ أثير الدين الأبهري _برّد الله ثراه_، وجعل الجنة مثواه؛ تجري منه مجرى الحاشية؛ جمعتها مما تلقيته من لفظ الأستاذ، آخر العلماء المتبحِّرين، قدوة المخلصين، ورئيس المحققين، جمال العرب والعجم، أبي الحسن علي بن إبراهيم الكيلاني بلداً ومنشأً، المصري داراً ومسكناً، لا زالت رباع العلوم بلطائف نكته ما هو له، وأرحام الحكم بعواطفه مبلوله، وكان أوّل مجلسٍ سمحت به الأيام في قراءتي هذه الرسالة عنده؛ يوم الإربعاء ثاني عشر صفر المبارك سنة ثلاث عشرة بعد التسعمائة من الهجرة النبوية...، وذلك بالمدرسة الجيعانية بشاطئ بحر النيل ببولاق من أعمال مصر المحروسة"(20).
وتوجد نسخ مخطوطة من هذا الشرح أو الحاشية بالمكتبة الأزهرية في مصر، ونسخة أخرى بنفس المكتبة، ومكتبة جدّة بالسعودية(21)، ونسخ أخرى عديدة مطبوعة ومخطوطة في مكتبات جربة بتونس، ووادي ميزاب جنوب الجزائر.
ب- حاشية المختصر للتفتازاني (مخ) وهي موضوع أطروحتي للدكتوراه.

لقد وقفت على نسخٍ عديدة من هذه الحاشية، فصورت بعضها وعرفت مكان تواجد معظمها، إذ انتشرتْ حاشية الجربي في أغلب أقطار العالم الإسلامي، وقطعت رحلة مكوكية في ظرف قياسيٍّ، وسارت إلى أوطان عدّة في نفس الفترة التي أُلّفت فيها، وهو ربما دليل على أهميتها ورواجها آنذاك، ونحن نعرف بأنه ليس كلُّ كتابٍ يُسافر أو يرتحل إلى الأوطان البعيدة.

وإذا ذهبنا نستقصي شأن هذه الحاشية وشأن مؤلِّفها، استغربنا من قلة ذكر واضعها في معاجم الأعلام التي جاءت بعده وفي كتب طبقات المؤلفين والمدرّسين في مصر؛ هنالك حيث برز وقضى ردحاً من الزمن، وفي جربة وتونس أين ولد وعاش بقية حياته؟! فلم يشتهر مؤلفها وظل مغموراً رغم رواج حاشيته، وهو ما يطرح أسئلة عدة حول شخصية الجربي وسبب غفلة أصحاب معاجم الأعلام عن ذكر هذا المؤلف ونشاطه الفكري والتعليمي في مصر وجِربة، وأملنا أنّ الأيام القادمة ستسعفنا بالمزيد من الحقائق عنه وعن أعلام آخرين في مثل حاله.

وقد رتبت النسخ المخطوطة بحسب أهميتها وأشرت إلى كلّ نسخة بحرف من اسم ناسخها أو مكان وجودها حتى يسهل التفريق بينها أثناء التحقيق ومقابلة النسخ، أمَّا الوصف فقد قيَّدت به عدد الأوراق، والمقياس، والمسطرة، مع ذكر اسم الناسخ وتاريخ النسخ والتملّك وتاريخه إن وُجد، وتاريخ التأليف إن جاد الناسخ به، مع الوصف الشكلي للنسخة على مستوى الخط وحالة المخطوطة، وذكر بعض المعطيات التقنية التي تكون واردة في المخطوطات كنظام التعقيبة، والطُّرر والتعاليق ونحوها.

النسخ المعتمدة في التحقيق:

لقد رمزت إلى كل نسخة مخطوطة بحرف هجائي يتناسب مع اسم صاحبها أو اسم المكتبة التي يوجد بها المخطوط، أو اسم البلد الذي فيه المكتبة، وهي منهجية معروفة في تحقيق النصوص[2]، إذ يختار المحقق أبرز حرفٍ في الكلمة التي اختارها لجلب الانتباه والتذكير مباشرة بالمخطوطة.

أولاً: النسخة **(أ)** وهي محفوظة في خزانة مخطوطات دار التلاميذ (إروان) بغرداية؛ تحت رقم: إ196.

وقد رمزت لها بالحرف (أ) نسبة إلى دار "إروان" أو دار التلاميذ.

معلومات النسخ: د.نا/ نهار الثلاثاء 20 صفر الخير 932هـ.

251ق، 23سطر، 20.7×15.7سم/نسخ مشرقي مصري واضح/أسود، قرمزي، أحمر/مبتور الأول.

* ح.ح متوسطة، الورق مصقول، والجلدة منفصلة وأقلُّ مقاساً، نظام التعقيبة متّبع ومتسلل.
ملاحظات:
* نقل الناسخ من نسخة المؤلف، وقد ذكر في آخر الحاشية تاريخ الفراغ من التأليف الموافق لليوم الرابع من جمادى الآخر بعد صلاة الجمعة من سنة 917هـ (29 أوت 1511م)، لكنه أثبت سنة النسخ كالتالي: "سنة اثنين وتسعمائة"، وهو غير معقول، والثابت أنه سهوٌ من الناسخ إذ لا يمكن الجمع بين هذا التاريخ وتاريخ التأليف المذكور والصواب هو: "اثنين وثلاثين وتسعمائة، بمعنى أنه سها عن تسجيل عشرات تاريخ النَّسخ.
* النسخة منقولة من نسخة المؤلف مباشرة، وهو ما يرفع من قيمتها العلمية والتاريخية.
* في الهامش تصحيحات وطُرر بخطين مغربيين أحدهما بقلم الشيخ ضياء الدين عبد العزيز الثميني(23).
* البتر في الأول قدر ثلاث كراريس، وفي الوسط بعد ق99 قدر كراسٍ واحدٍ.
* تتميز هذه ن(أ) ون(ف) باختصار بعض المفردات وبخاصة لفظتي: إلى آخره = إلخ؛ وحينئذٍ = ح.
* في وجه الورقة الأخيرة تملّك باسم عمرو بن محمد الشماخي الذي اشتراه من الشيخ علي البرادي، وفي ظهرها كذلك نقرأ ما يلي: "انتقلت هذه الحاشية المباركة من مالكها الأول إلى يد مالكها كاتب الحروف؛ بشراء صحيحٍ ومالٍ مقبوضٍ بالرضا والتسليم؛ أبي القاسم بن سعيد بن يحي الشماخي، في شعبان 1193هـ".
* تعمد الناسخ عدم تسجيل اسمه تواضعاً وتحقيراً لنفسه كما جاء في الأخير، وفي ظهر الغلاف نجد العبارة الآتية: "عارية بيد راجعاً إلى عمّنا عيسى بن عبد العزيز"؛ والرّاجح أنه عيسى بن الشيخ عبد العزيز الثميني _رحمه الله_.
ثانياً: النسخة **(ث)** وهي نسخة خزانة مخطوطات الشيخ بيانو(24)، ببني يزجن، بغرداية، وهي ضمن محفوظات مكتبة الشيخ الحاج صالح لعلي(25) ببني يزجن، بغرداية.
وقد رمزت لها بالحرف (ث) لما تحويه من طُرر عديدة بخط الشيخ ضياء الدين عبد العزيز الثميني، وهو ما يفيد مراجعته وتصحيحه لها، وربما قد درّس بها طلبته.
معلومات النسخ:

عدد الأوراق: 143ق، المقياس: 21.5×15.2سم، 27 إلى 34 سطر في الورقة، الخط مغربي مقروء، به عناوين جانبية كالفصول والأبواب، حالة الحفظ متوسطة، ببعض الورق تآكل في الأطراف والغلاف بجلدة واحدة.
معلومات النسخ: د.نا/ د.م.ن/ أوائل جمادى الثاني 1090هـ.
ملاحظات:
* في هامش النسخة طُرر وتعاليق متنوعة بخط الشيخ ضياء الدين عبد العزيز الثميني، وهو ما يفيد مراجعته وتصحيحه لها، ولفظة "قف" تتكرر بالهامش أيضاً وهو ما يفيد بأنه ربما كان يدرّس بها طلبته.
ثالثاً: النسخة **(س)** وهي محفوظة في خزانة الشيخ ازبار[26]، بمكتبة الشيخ بلحاج ببني يزجن، تحت رقم: 451، وقد رمزت لها بالحرف (س) نسبة إلى ناسخها: سعيد بن سعيد اللالوتي النفوسي[27].
معلومات النسخ: 238ق - 24س – 21×15.5/ن. مغربي واضح/ أسود وأحمر/ كامل.
الناسخ: سعيد بن سيعد اللالوتي النفوسي/ د.م.ن/الثلاثاء، آخر شهر صفر 1137هـ.
ملاحظات:
* ورد في ظهر الورقة الأولى: "هذه حاشية الشيخ سليمان الجربي، شارح إيساغوجي، ومحشِّي المحلي عن جمع الجوامع[28]، قدّس الله روحه وهدانا وإياه لدين الرضا والغفران".
* نسخ الناسخ الكاتب لصديق له هو: أبو القاسم بن محمد المصعبي؛ مما يدلّ على أنَّ المخطوط قد نُسخ في مصر ثم انتقل إلى "لالوت" بجبل نفوسة من القطر الليبي، وهو مسقط رأس سعيد بن سعيد اللالوتي النفوسي.
رابعاً: النسخة **(ك)** وهي محفوظة بمكتبة الإسكندرية، بجمهورية مصر العربية؛ نمرة وصول الكتاب: 62560، متسلسلة: 2041ج، الرف: بلاغة، رقم الكتاب: 33.
رمزت لها بالحرف (ك) نسبة إلى مكان وجودها: الإسكندرية، وأبرز حرف في الكلمة هو "الكاف".
معلومات النسخ:
229ق - 23س – 21×15.5/ن. مشرقي واضح/ أسود وأحمر/ كامل.
الناسخ: د.نا/ د.م.ن/د.ت.ن ولعله خلال ق 12هـ، ولعلها قدمت من الشام إلى العراق بحسب التمليكات.

ملاحظات:

* في وجه الورقة الأولى تمليكة فيها: "الحمد لله وحده، بعد أن ملكته بالشراء الشرعي بثمن قدره ثلاثة عروس، في أوائل شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين ومائة وألف (1137ه) وهبته بالهبة الصحيحة الشرعية...[ ] الباني[29]؛ جعله الله من العلماء العاملين، وأنا الفقير إلى كرم ربه...

* في وجه الورقة الأولى تمليكة أخرى فيها: "في نوبة فقير ألطاف الملك العلي، محمد البكري الحموي ابن السيد علي؛ في ربيع الثاني 1182هـ[30]".

* في حاشية الورقة الأخيرة من المخطوطة تمليكات وتوقيف في سبيل طلبة العلم، منها: "فاعلم أيها الناظر في هذا الكتاب قد أوقفهما الحاج عبد الله وأخيه الحاج محمد أمين أبناء المرحوم الحاج عمر التكريتي[31] على روح والديهم وقفٌ لله تعالى على طلبة العلم من أهل السنة والجماعات؛ وقفاً صحيحاً شرعيّاً... في جماى الآخر 1206ه"؛ (فبراير 1792م).

خامساً: النسخة **(ف)**؛ وهي من مقتنيات الخزانة الحسنية بالمشور الملكي بالرباط، المغرب. رقمها: 1891.

وقد رمزت لها بالحرف (ف) نسبة إلى ناسخها وهو: محمد بن علي الفرجي الغماري[32]؛ وهو من المغرب الأقصى.

معلومات النسخ:

بداية المخطوطة: "قال الشيخ الإمام العالم المتفنن؛ أبو الربيع سليمان بن عبد الرحمن بن سليمان الجربي _رحمه الله تعالى ورضي عنه_، قوله: نحمدك...".

آخرها: "...على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحيات؛ وذلك بمدرسة شيخون رحمه الله بالقاهرة المحروسة بالله تعالى؛ نجز والحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد نبيه وعبده؛ على يد عبيد الله وأقل عبيده؛ محمد بن علي الفرجي [الغماري] رضا الله له وعلمه علماً نافعاً بجاه سيد الأولين والآخرين سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم تسليماً؛ بفاس الجديد[33] _آمنه الله تعالى_؛ بمدرسته[34]؛ في السابع والعشرين من ذي القعدة الحرام سنة ثمانين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام"؛ (18 أبريل 1670م).

119ق - 35س – 21×15.5/ن. مغربي واضح/ أسود وأحمر/ كامل.

الناسخ: محمد بن علي الفرجي الغماري/ فاس الجديد؛ المغرب/ 27 ذي القعدة 1080هـ.

ملاحظات على النسخة:
* المخطوطة تقع ضمن مجموع به كتابين، وتبدأ الحاشية من 42ظ إلى 161ظ
* النسخة موثقة وعليها طُرر وتعاليق، كما يبدوا أنها قوبلت بنسخ أخرى.
* تتميز النسخة بكثرة العناوين الجانبية وهي مكتوبة بخط جليّ برتقالي اللون.
* الناسخ صاحب مدرسة بفاس الجديد كما أفاد بذلك وهو ما يرفع من قيمة المخطوطة.
* الراجح أيضاً وجود نسخ أخرى بالمغرب، لأنّ الناسخ قد نقلها من نسخة مغربية بفاس.

نسخٌ أخرى من حاشية الجربي في مكتبات عالمية:

وادي ميزاب؛ الجزائر:

ثلاث نسخ أخرى في خزانة دار التلاميذ أو الخزانة العامة بغرداية تحت رقم: 13إ - 46إ - 158إ

- 13إ : 8ق، نا: سليمان بن حرز الله القلالي(35) الجربي/ حوالي منتصف ق12هـ/ مبتورة الآخر.
- 46إ : 76ق، د.نا/د.ت.ن؛ حوالي ق11هـ/ ن.مغربي/ مبتورة الأول والآخر.
- 158إ : 91ق، د.نا/ د.ت.ن/ حوالي ق11هـ/ن.مشرقي/ مبتورة الأول والآخر.

تونس:

نسخة المكتبة الوطنية تونس أو دار الكتب الوطنية بتونس، رقم الكتاب: 18252. وقد رمزت لها بالحرف (ح) نسبة إلى آخر ملاّكها وهو: حسن حسني عبد الوهاب التونسي(36)؛ وقد كان هذا المخطوط ضمن مقتنيات مكتبته التي أهداها لدار الكتب الوطنية بتونس.

معلومات النسخ: 187ق - 23س – 21×15.5/ن. فارسي واضح/ أسود/ كامل.
الناسخ: د.نا/ د.م.ن/د.ت.ن ولعله خلال ق 12هـ، الراجح أنها قدمت من العراق أو بلاد فارس.

ملاحظات:

* في وجه الورقة الأولى تمليكات عدة منها: "دخل في سلك نوبة العبد الفقير إلى ربّ العباد: علي الحداد؛ بثمن قدره 25110، سنة 1230ه"؛ (1815م).
* في وجه الورقة الأولى تمليكة أخرى فيها: "قد دخل في سِلك مُلك الفقير إلى الملك القدير: علي بن صالح بن الحاج رجب بن حرم بن قورد علي؛ غفر الله له ولوالديه...".

* وآخر تمليكة فيها: "الحمد لله؛ اشتراه محمد بيرم الرَّابع[37] لطف الله سبحانه به؛ من كتب داود[38]، في جمادى الأولى عام 72هـ[39]؛ ثمنه: 306".
* على هوامش بعض الأوراق تعليقات وطُرر بخط مغربي مغاير للأصل المكتوب بخط فارسي.

مركز جمعة الماجد، دبي:

يحوي ثلاث نسخ مخطوطة استقدمت من سرايفو عاصمة البوسنة، مصدرها خزانة الغازي خسرو بيك[40]، وعليها ختم دائري وآخر مستطيل الشكل فيه عبارة باللغة البوسنية ثم لفظة: "SARAJEVO"(سرايفو).

1- النسخة رقم: 640256

عدد الأوراق: 188ق/ الناسخ: عبد الله بن صالح بن عبد الله/ تا.ن: 27 رمضان 1156هـ

* النسخة مكتوبة بخط الرقعة، وعليها حواشي وتعليقات بالخط الفارسي.

2- النسخة رقم: 638352

عدد الأوراق: 190ق/ الناسخ: محمد بن مصطفى بن محمود بن علي/ تا.ن: 20 صفر الخير 1135هـ

أولها: "حاشية المختصر لمولانا سليمان بن عبد الرحمن بن سليمان المغربي الجربي السمومني رحمه الله تعالى".

آخرها: "وقع الفراغ من إتمام تحرير هذه النسخة الشريفة علي يد العبد الضعيف المفتقر إلى رحمة ربه العلي: محمد بن مصطفى بن محمود بن علي [المفتي][41] بمدينة موستار[42]، [رزقنا مجري المتمكن طامعا] غفران الستار الغفار؛ ليلة الاثنين 20 من شهر صفر الخير سنة خمس وثلاثين ومائة وألف من هجرة من له العزّ والشرف".

* النسخة مكتوبة بخط الرقعة، وعليها حواشي وتعليقات بالخط الفارسي.
* الراجح أنّ هذه النسخة منقولة عن النسخة رقم: 638264.

3- النسخة رقم: 638264.

عدد الأوراق: 176ق/ الناسخ: شعبان وارادي [كذا]/ تا.ن: 5 ربيع الأول 1088هـ.

أولها: "هذه حاشية المختصر لمولانا سليمان بن عبد الرحمن بن سليمان المغربي الجربي السمومني رحمه الله تعالى، سنة 1084ه"، وغير معلوم سبب اختلاف التاريخ البداية عن النهاية.

آخرها: "قد وقع الفراغ من هذه النسخة اللطيفة في شهر ربيع الأول يوم الخامس منه وهو يوم الأحد وقت ضحوة الكبرى، سنة ثمان وثمانين وألف، على يد الضعيف: شعبان وارادي غفر الله له.
* النسخة مكتوبة بخط الرقعة، عليها طُرر وتعلقيات بخط فارسي.
* على النسخة أيضاً آثار رطوبة.
المملكة المغربية
نسختان أخريان في الخزانة الحسنية بالرباط، تحت رقم: 2093 و3854.
* النسختان تجاريتان فيما يبدو، ولا تحملان أية معلومات توثيقية عن ناسخيها ولا تاريخ النسخ ومكانه..، بالإضافة إلى ذلك فإنّ الحالة الصحية لإحدى المخطوطتين متردية، إذ اخترقت الأرضة أوراقها حتى فسد محتواها.
مركز نجيبويه
هو مركز الدكتور أحمد بن عبد الكريم نجيب للمخطوطات وخدمة التراث، مقرّه في دَبلن بأيرلندا.
ويحوز نسخة واحدة من حاشية الجربي، تحت رقم: القرص 157؛ ضمن الكتب والأجزاء المفردة.
عدد لوحات المخطوط 173/ د.نا/ د.ت.ن/ ن.مغربي/كامل.
* الحالة الصحية لهذه المخطوطة متردية، والورق مخروم من كل الأطراف والجوانب تقريبا.
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
حاشية على المختصر للتفتازاني
تأليف: سليمان بن عبد الرحمن بن سليمان المغربي
أوله: قوله: نحمدك يا من شرح صدورنا للمصنفين...
آخره: وكذا خواتم السور في غاية الحسن ونهاية الكمال، لأنها من أدعية ووصايا وفرائض.. والحمد لله رب العالمين.
تمت حواشي المختصر بحمد الله وتوفيقه على يد جامعها ومؤلفها أقل العبيد والباسط ذراعيه بالوصيد: سليمان بن عبد الرحمن بن سليمان المغربي الجربي السمومني، عامله الله بلطفه الخفي وأجراه على عوائد بره الخفي، بعد صلاة الجمعة رابع جمادى الأخير سنة سبع عشرة وتسعمائة؛ ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم؛ تمت بحمد الله.
ملاحظات:

* نسخة بخط نسخي معتاد، وبخط المؤلف[43] سنة 917هـ/ 216 لوحة/ رقم الحفظ: 9247.
* على الورقة الأولى هذه حاشية على المختصر للسعد لبعض العلماء وهو العلامة الجربي، والله تعالى أعلم.
* سبحان من نظم هذا الكتاب من فضله؛ في عضد ملك عبده الفقير محمد بن بدير، سنة 76هـ[44].
* على هامش الورقة الثانية في الأعلى: "وقف الفقير محمد بدير[45] على أولاده ثم على طلبة العلم بالمسجد الأقصى، ومقرّه الحِلَق [بداره][46]".
* في فهرس مكتبة الإمام محمد بن سعود ورد: النسخة مصورة عن مكتبة القدس.
المصدر: فهرس المخطوطات المصورة في الأدب والبلاغة والنقد، (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة شؤون المكتبات، قسم المخطوطات)، وضعه: د.عبد الرزاق حسين، ط1، 1987، ص 479.

مكتبة كوبرلي[47]

حاشية على المختصر للتفتازاني
تأليف: سليمان بن عبد الرحمن المغربي
أوله: قوله: نحمدك يا من شرح صدورنا للمصنفين في التلفّظ بالحمد صيغتان أحدهما التعجيز...
آخره: والحمد لله الذي جعلنا من المصلّين على أفضل المصلّين...
ملاحظات:
نسخة بخط النّسخ، ضمن مجموع به أربع كتب، الحاشية من 72 إلى 291.
المقياس: المثبت [11×17]، والراجح أنه 15×20.5 باعتبار الكتاب السابق وكون الكتب في مجموع واحد.
المسطرة: 21 سطراً، [د.ت.ن]، والراجح أنّ هذه الكتب قد نُسخت في القرن الحادي عشر.
ملاحظات:
* لم يعثر على ذكر الكاتب ومؤلفه في المراجع، (أي لم يعثر المفهرس في كتب المؤلفين والأعلام، وهو دليل على أنّ الكتاب أي الحاشية وصاحبها سليمان الجربي مغمورين، وغير معروفين عند المؤلفين).
* الكتاب ضمن مجموع به 4 كتب، وهو تحت رقم: 498.
* الكتب الأخرى حواشي أيضا على المختصر:

- حاشية على المختصر، لسيف الدين أحمد بن يحي الشهير بحفيد التفتازاني.
- حاشية على المختصر، لمولانا زاده نظام الدين عثمان الخطائي.
- حاشية أخرى على المختصر، لمولانا زاده نظام الدين عثمان الخطائي.
* مجموع الكتب غير مؤرخ لكنه يبدو أنه يعود إلى القرن الحادي عشر.

المصدر: فهرس مخطوطات كوبرلي، إعداد: د.مصطفى رمضان ششن، وجواد إيزكي، وجميل أفيكار، نشر: منظمة المؤتمر الإسلامي، استنبول، ط1، 1986، ج3، ص 223 - 224.

الأزهرية بمصر(48)

حاشية الجربي على المختصر للسعد التفتازاني على التلخيص.

تأليف: العلاّمة سليمان بن عبد الرحمن ابن الجربي المغربي السومني.

أوله: قوله: نحمدك يا من شرح صدورنا للمصنفين في التلفّظ بالحمد صيغتان...إلخ.

ملاحظات:

* نسخة في مجلد بخط فارسي.
* بآخرها نقص (خرم)، وبعض أوراقها مجدول بالمداد الأحمر.
* في 115ق/ مسطرتها 27 سطراً/ 21 سم.
* رقم الحفظ: 2127 بلاغة، رقم الحفظ العام: 53474.
* عليها تمليكات لكنها ممحوّة عمداً عند الأسماء، ومنها: "مما أودعه الله تعالى عند عبده الفقير [محمد حسين] الحاج محمد، الشهير بـ[محمداي البكرادي] بن محمد علي"، المحو واقع بالقوة على أسماء الأعلام بين قوسين.

المصدر: سلسلة فهارس المكتبات الخطية النادرة (55/11)، فهرس الكتب الموجودة بالمكتبة الأزهرية إلى 1947، (فنون علم اللغة والبلاغة والنحو والصرف والعروض والقافية)، مطبعة الأزهر، 1948، ج4، ص364.

لا أستبعد فرضية وجود مؤلفات أخرى لهذا العلم المغمور في أقطار مصر وجربة ومزاب بالجزائر، عسى الزمان يتحفنا بها إذا تجددت فرص البحث والتنقيب بتلك الحواضر العلمية واستمرت، وقد لاحظت كما لاحظ بعض المشتغلين بالتراث وفهرسة خزائن المخطوطات في وادي ميزاب وجود حواشٍ كثيرة لعلماء وطلبة مزابيين وجزائريين في تلك الفترة أي القرن 10هـ كانوا قد زاولوا دراستهم بجامع الأزهر بمصر والزيتونة بتونس، ومنهم من سجل وجوده بمصر وجربة في آخر بعض مؤلفاته، وهو ما يؤكد وجود حركة علمية وربما وجود منسوخاتٍ لأولئك الأعلام ما تزال مغمورة بتلك الحواضر.

قراءة في تمليكات وتوقيعات النسخ المخطوطة من تآليف الجربي

إنَّ معرفة أسماء الأشخاص الذين تملكوا النسخ المخطوطة بالنسخ أو الشراء أو الإهداء؛ يفيد في توثيق النسخة وتقويمها[49]، خاصة إذا عرفنا أنَّ انتقال النسخ المخطوطة من يد إلى أخرى ومن بلد إلى آخر أمرٌ مكلفٌ جداً آنئذٍ وربما ما يزال كذلك إلى اليوم.

بالنسبة لشرح الجربي على إيساغوجي؛ فقد وقفت بنفسي خلال زيارتي للقاهرة شهر ديسمبر 2012 على نسخ عديدة مخطوطة من هذا الشرح النفيس بالمكتبة الأزهرية ودار الكتب القومية؛ إذ بلغ عددها أزيد من عشرين نسخة، ويظهر من خلال وصفها أنها جُلبت جميعُها من أروقة "المغاربة" و"الأتراك" و"الأكراد" بالجامع الأزهر؛ وبعض النسخ جاءت ضمن مجاميع لكتب، أو حواشي على كتب في المنطق، وهو ما يبرز أهميتها وانتشارها آنئذ بين المهتمين بعلم المنطق، من ذلك نسخة من شرح الجربي على إيساغوجي بهامش حاشية الحنفي، وهي بخط مغربي[50]؛ ونسخة عليها تملّكات وتوقفات؛ أما التملك: فلمحمود بن أبي الحسن بن شمس الدين بن نور الدين المحلى، والتوقيف من: عبد اللطيف بن سالم النابلي، على: طلبة العلم و"رواق المغاربة"؛ ونسخة أخرى عليها تملك لـ: عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن إبراهيم الخطيب السروي؛ والتوقيف كان على: "رواق الأكراد"[51]؛ وبعضها نسخ في مدن مصرية كدمياط وطنطا والصعيد؛ والنسخ المتبقية من شرح الجربي على إيساغوجي والموجودة بدار الكتب المصرية فهي من دون ناسخ ولا تاريخ نسخ، والراجح أنها تعود إلى ق 12هـ.

أمّا النسخ المخطوطة لحاشية الجربي على مختصر المعاني للتفتازاني؛ فمن خلال نظرة فاحصة في أسماء النسّاخ والملاّكين والوقّافين للمجموعة التي بين أيدينا؛ نلاحظ وجود ألقاب عائلات علمية عدة هي: "البديري" في القدس الشريف بفلسطين، و"الباني" و"الحموي" في الشام، ووقف "التكريتي"(العراقي) في مصر، ونسخ اللالوتي النفوسي بليبيا، والقلاّلي في جربة بتونس، والفرجي الغماري في فاس بالمغرب الأقصى، ومحمد المفتي بموستار من إقليم البوسنة، ونسخة كوبرلي باسطنبول، وتمليكة "بيرم الرابع" أحد حكّام تونس بدار الكتب الوطنية بتونس، انتهاءً بنسخ وادي ميزاب المتميزة أيضاً؛ وعليها تمليكات أفاضل من عائلتي "الشّماخي" و"البرادي" الجربيتين...؛ ولاشك أنَّ التوصل إلى معرفة أنساب هؤلاء الأعلام سيفيدنا في توثيق النسخ وتقويمها[52].

كما أنَّ عبارات الوقف والتحبيس؛ وبخاصة ما نُسِب في تلك النسخ لجامع أو مكتبة أو مدرسة أو غيرها، يُسهم في معرفة قيمة تلك النسخ أيضاً(53)، وكمثال نجد تحبيس الشيخ محمد بن بدير نسخة الحاشية على حِلَق العلم بالمسجد الأقصى وقد حفظها بمكتبته "البديرية" بجانب الحرم المقدسي الشريف؛ وأحسب أنَّ عمليات التَّحبيس والوقف في حواضر العلم قد مكّنت هذا الكتاب من الانتقال بين مجموعة كبيرة من طلبة العلم؛ وأتاحت لهم فرصة النظر فيه، ولعل بعضهم قد اقتبس منه أو نقل منه، كما أعتقد أنَّ كثيرين قد لخصوه أو شرحوه...؛ وإن كان انتفاعهم منه لاشك سيكون بحسب قدرات كل فردٍ ومستواه العلمي والإدراكي؛ وممن اتصل بحاشية الجربي لما نزل مصر، نجد: يحي بن أبي القاسم بن يوسف المصعبي الغرداوي (حي في: 1024هـ/1615م) فقد اطّلع هذا الأخير على حاشية سليمان الجربي وأفاد منها، بل وضع بدوره حاشية على مختصر المعاني، وذكر بأنه نقل من حاشية الجربي وغيره؛ هذا ما وصل إلينا وعرفناه، أمّا بقية الذين زاروا حواضر مصر وأفادوا من حاشية الجربي بالنقل والاقتباس والتلخيص فلا نعلم عنهم شيئاً بعد، عسى أن يسعفنا مستقبل الأيام بالجديد في هذا الباب.

دون أن ننسى أيضاً الإشارة إلى التعاليق والطُّرر التي جاءت على هوامش بعض النسخ، ولعلّ أبرزها هو ما توصلنا إلى تحديد هوية صاحبه، وذلك بعد الفحص الدقيق للخطوط التي اشتهرت في مخطوطات وادي مزاب، وقد استعنت بأحد الخبراء المتمرّسين في فهرسة خزانات المخطوطات بمزاب، وبخاصة الأستاذ يحي بوراس الأكرم، إذ بواسطته عرفت بأنَّ بعض التعاليق والطُّرر التي جاءت خصوصاً في هامش ن(ث) هي من وضع الشيخ ضياء الدين عبد العزيز الثميني مؤلف كتاب النيل وأحد العلماء الثابتين في المعقول والمنقول، كما أن الأستاذ يحي بوراس لم يستبعد فرضية أن يكون الشيخ الثميني قد قابل ن(ث) بالأصل أي ن(أ)، وذلك بمقارنة الخطوط وبما توفر بين يديه من الأدلة المادية في المخطوطتين(54).

وستظل الأبحاث قائمة من أجل التعرف أكثر وتوثيق المزيد في هذا الشأن، كما أنَّ النظر في تواريخ تملك النسخ قد يفيد في معرفة بعض أسباب وأوان انتقال هذا المخطوط النفيس بين مختلف الأمصار الإسلامية قديماً وحديثاً.

إنَّ أهمية حاشية الجربي تكمن في قيمتها التاريخية والأدبية، وبالتخصص في علم البلاغة العربية، ولعل كون المؤلف في فترة زمنية مغمورة كان من أسبابه غفلة المؤلفين عن ذكر آثاره وتتبع نشاطه وأعماله؛ لتظل تلك الفترة التاريخية بحاجة إلى مزيد من العناية في البحث والدراسة، وتلحّ في استكشاف ما ظلّ مغموراً بها

من كتب الأدب وعلوم اللغة المتنوعة، وستظل تلك الآثار مغمورة بالرغم من حركة العلماء المغاربة في حواضر المشرق وبخاصة في مصر، ممن تخصصوا في علوم اللغة العربية وساهموا بإبداعاتهم في تنشيط الساحة الثقافية والفكرية في مصر وتونس والجزائر والمغرب خصوصاً، ووصلت آثارهم إلى أبرز بلدان أوربا الشرقية في أيام حكم العثمانيين لها.

خلاصة

لقد بالغ بعض الباحثين عندما عابوا على الفترات التاريخية المتأخرة بأنها عصر الشروح والحواشي، وأنه شابها الحشو والتكرار وجمود القريحة...إلخ، غير أنَّ المؤكد بأنَّ كثرتها في عصر الشيخ سليمان الجربي لم يكن إلاَّ وليد "الأمانة العلمية"، وحرصاً من أولئك المؤلفين على بقاء الأصول صافية كما هي، ومنسوبة إلى أصحابها، واحترام ما جادت به قرائح السابقين، ولعله جدير بالذكر أيضاً هو أنَّ هذه الشروح تتمتع بالأصالة العلمية، إذ قد يفوق شرحٌ أصلاً، وربما فاقت أيضاً حاشية شرحاً.

لقد كان الهدف من دراستي لحاشية الجربي هو إبراز شخصيته وإظهارها، حيث أنه لم يتناولها باحث بالدراسة المستفيضة والمتأنية من قبل، ولتتضح لنا كل جوانب شخصيته العلمية والأدبية.

من أجل ذلك فقد استقصيت كل معلومة يمكن أن تفيد في التعريف بهذا العالم من خلال آثاره وسعة انتشارها في الآفاق، وقد تحدثت في الدراسة عن البيئة والأحوال المحيطة بعصره والأمصار التي عاش بها، وعن نسبه ونشأته، وعن مصادر ثقافته وعوامل نبوغه وعن مشائخه وعلاقته بعلماء عصره، وعن نشاطه في التدريس بمصر وتلاميذه بها، وعودته إلى تونس ونشاطه بها أيضاً، ثم تحدثت بإسهابٍ عن آثاره العلمية، ووصفت النسخ المخطوطة التي وقفت عليها والتي اعتمدت عليها في تحقيق متن الكتاب، ثم أنهيت بإبراز بعض الخصائص الفنية في حاشية المؤلف، وكان من أهمها: سعيه إلى تيسير البلاغة لطالبيها والتنويع في الشواهد وتحليل الأمثلة والتحليل المنطقي للمسائل البلاغية وتنظيم مادة الكتاب...

خاتمة

وبعد فإنّ الذي رمته من وراء هذا العمل _على قلة جهدي فيه_ هو الوصول إلى اعتبار تلكم الجهود العلمية في التأليف والنسخ من المرجعيات العلمية التي لابد من وضعها في الحُسبان، عند دراسة التراث الجزائري والمغاربي عموماً لِمَا تضمَّنته تلك الجهود من معلومات قيمة انتقلت من بلدٍ إلى آخر؛ بحيث تؤكد مدى التلاحم

الفكري والثقافي بين الشعوب العربية والإسلامية، كما تبيّنت لي مجموعة من الحقائق يمكن أن ألخصها فيما يلي:

1- لقد حرص المغاربة عموماً على خدمة اللغة العربية وعلومها منذ القرون الهجرية الأولى؛ إذ سعى أصحاب الدولة الرستمية في تيهرت (160- 296هـ/ 777 – 909م) إلى إنشاء مكتبة "المعصومة"، وجلبوا إليها الكتب من كل مكان، فبلغت كتبها ثلاثمائة ألف مجلد في كل العلوم.

2- تظل مكتبات وخزائن وادي ميزاب العامة والخاصة شاهداً حيّاً على جهود علمائه في خدمة اللغة العربية وترقيتها، ولا أدلَّ على ذلك من وجودها في كل قرى الوادي والتي يزيد عددها اليوم عن 120 مكتبة وخزانة، ومما يدلّ على ذلك أيضاً أنَّ أهمَّ النسخ من حاشية سليمان الجربي توجد في خزانات ميزاب وتمَّ جلبها من أماكن بعيدة.

3- الذي يدرك موجبات وجود علاقات بين العلماء في مختلف الأقطار بإمكانه أن يتصور نمط الأعمال الفكرية الممكن تداولها ضمنها وهي عديدة ومتنوعة، وما بقي منها قد وصلنا من خلال الكتب وبعض الرسائل العلمية الموثقة، وإن المتأمل في رصيد الأعمال الفكرية الأدبية لعلماء المغرب الإسلامي قديماً وحديثاً يدرك عنايتهم الفائقة في اقتناء كتب علوم اللغة العربية ونسخها، وقد كان منشأ هذه العناية أوّلاً نصرة لغة القرآن وفهم تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، كما مرَّ معنا آنفاً، فلم يتعصبوا للسانهم البربري وهم الأمازيغ، بل نافحوا بكلِّ ما أوتوا من قوة في سبيل فهم علوم اللغة العربية وتدريسها، وقد برز من أصلابهم في العصر الحديث من خدم اللغة العربية وأعلى شأنها في الجزائر وخارجها.

4- لم يكن من اليسير الحصول على الكتب المشرقية في شمال إفريقيا، كما لم يتيسر للجميع فرص نسخ الكتب وتداولها بشكل موسّع، ورغم ذلك فقد توفر الإيمان بالمبدأ والإرادة والعزم الكبيرين عند الكثير من العلماء الأعلام، وقد بذل بعضهم في سبيل تحقيق ذلك الغالي والنفيس، ومن هؤلاء نجد القطب أطفيَّش الذي يقول في مراسلة من ميزاب إلى الشيخ السَّالمي في عُمان: "...وإني مُريدٌ لنفعكم لو كان لي مالٌ بمالي وبكتبي في كلِّ فنٍ، إلاَّ أن النَّسخ هنا بأُجرة غالية، ومثل شرحك القصيدة أو مثل الشيخ درويش أو النيل[55] ست عشرة ريالاً كبيرة فواتح في كلِّ واحدة، والناس لا يُعينوني في ذلك، ولا في مثله في إيقاف الكتب، وإني أعالج ما تيسَّر لي من الأرسال، يأتيكم إن شاء الله مختصر القواعد والحاشية، بزيادات مفيدةٍ كبيرةٍ جداً

على الذي عندكم، في الفقه وشرح أبي سليمان داود في النحو وغير ذلك شيئاً فشيئاً إن شاء الله عز وجل..."[56].

5- ازدهار حركة اقتناء الكتب وتبادلها بين علماء المغرب والمشرق؛ وبشكل ملفت للنظر خلال القرن التاسع عشر وبخاصة مع قطب الأئمة الشيخ امحمد بن يوسف أطفيَّش الجزائري.

6- لقد كانت مناسبة الحج إلى بيت الله الحرام فرصة لتلاقي العلماء الأعلام، وتعميق أواصر الصِّلة وتبادل الرأي والمشورة، وكذا تبادل الكتب والمراجع العلمية، وإقامة المناظرات العلمية وطلب الفتوى إلى غير ذلك..

7- كانت مصر المحروسة طريقا رئيسية تربط المشرق بالمغرب وملتقى يجمع مختلف الفئات إليه من التجار والحجيج وطلاب العلم، ومن الجاليات التي استقرت بها وأفادت من خيرها وفضلها الجاليات الجربية والمزابية، فقد كان لطلابها خانٌ (محل إقامة) يؤويهم، وانتظمت أحوالهم بها، وكوّنوا بها مكتبة عامرة بالمخطوطات غزيرة بالمصنفات وأمهات الكتب في شتى العلوم، وصارت موقوفة للدارسين والباحثين المقيمين بها، وإننا نرجو مواصلة البحث في استقصاء آثار المدرسة الإباضية في مصر المحروسة والتعريف بها في سبيل المعرفة والتعارف والاعتراف.

ملحق:



نفس الحاشية، نسخة المكتبة الوطنية بتونس، وهي بخط فارسي.



نفس الحاشية، نسخة الخزانة الحسنية بالرباط، وهي بخط مغربي.



نفس الحاشية، نسخة خزانة الشيخ أبانو ببني يزقن، ميزاب - الجزائر، وهي بخط مغربي.

6 - طموحات وآفاق مستقبلية:

لكل باحث متدرّج طموحات وآفاق يتطلع إلى تحقيقها بالتعاون مع المهتمين من أمثاله بحقل تخصصه؛ ومن جملة ما أتمنى تحقيقه مواصلة الجهود في إبراز الثروة الوطنية من المخطوطات في الجنوب الجزائري وتحقيق ما أمكن منه.

وكذا:

- المساهمة في إنشاء مخبر جهوي للمخطوطات، يُعنى بحماية وحفظ وترميم الثروة الوطنية من المخطوط في الجنوب الجزائري، وكذا التعاون مع مخابر ترعى نفس التوجه والطموح.
- العمل في ميدان تحقيق المخطوطات وحماية التراث المادي وغير المادي.
- المساهمة في النهوض بالبحث العلمي المتخصص في العالم العربي والإسلامي.

- المساهمة في وضع خريطة لخزانات المخطوط عبر التراب الوطني الجزائري وكذا المغرب الكبير.
- توطيد أواصر التواصل بين مختلف الجامعات الوطنية الجزائرية والمغاربية والإفريقية والعربية والإسلامية.
ومن التوصيات العملية:
1- الدعوة إلى إنشاء صندوق عربي وإسلامي خاص لتمويل حماية التراث المخطوط ونشره، تعضيداً للجهود التي تبذلها الحكومات والمؤسسات العلمية في هذا المجال، مع بعث تبادل الخبرات الفنية والبعثات التدريبية المتصلة بالمخطوطات، وتصويرها، وصيانتها، وترميمها، وتبادل الفهارس للتعريف بما تقتنيه كل دولة من مخطوطات، مع السعي لإنجاز الفهارس الموحدة بإشراف هيئات علمية متخصصة كمعهد المخطوطات العربية.
2- وضع قانون عربي موحد لحماية المخطوطات، كتتويج للقوانين الوطنية لكل دولة، ويشمل كل ما يتصل بأمن المخطوطات، وصيانتها، وإدارتها وملكيتها وسبل التعريف بها، وجمعها، وحفظها، وترقيمها، وتصويرها وتقييم الانتفاع بها إلى غير ذلك من الأمور بمشاركة المتخصصين في الأرشيف والمخطوطات ورجال القانون، ووضع العقوبات الرادعة لكل عمل من شأنه الإساءة إلى المخطوطات أو تهريبها، مع وضع المكافآت اللازمة لكل من يسهل جمع المخطوطات ووضعها تحت تصرف الجهات المسؤولة عن حمايتها ورعايتها.
3- الاستمرار في بذل الجهود على المستويات الوطنية للتعريف بأهمية المخطوطات في حياة كل أمة، ومتابعة السعي لاقتنائها، ورعايتها، وحفظها، وترقيمها والتعريف بها وفق أفضل السبل والوسائل.
4- إجراء مسح شامل على المستوى الوطني للمخطوطات المحفوظة في المكتبات العامة والخاصة، ونشر قوائم بها، تمهيداً لإصدار فهارس المخطوطات الموحدة على المستوى الوطني والعربي والإسلامي، وتصويرها بوساطة المصغرات الفيلمية، ووضع هذه الصور تحت تصرف الباحثين في كل دولة عربية وإسلامية، وكذلك نشر قائمة موحدة للرسائل الجامعية على مستوى الماجستير والدكتوراه التي تناولت تحقيق المخطوطات على مستوى الجامعات العربية أو الجامعات الأجنبية التي اهتمت بتحقيق مخطوطات عربية.

5- توجيه مزيد من الاهتمام لتحقيق المخطوطات ذات المحتويات العلمية والاقتصادية والاجتماعية والفنون العسكرية، نظراً لأهمية هذه الموضوعات، وقلة اهتمام الباحثين بها.
6- وجوب تعميم الطرق والوسائل العلمية الحديثة في حفظ المخطوطات وصيانتها، في مختلف المكتبات ودور الوثائق التي تقتني مخطوطات ما أمكن ذلك، ونشر المعلومات اللازمة حول هذا الموضوع.

الإحالات:

1 - سورة البقرة، الآية 282.
2- ملحق السير، إبراهيم أبي اليقظان، مخ، ص06.
3- يُنظر: بشير الحاج موسى، نحو دراسة حياة وآثار الشيخ سعيد بن علي الجربي، ص13.
4- يُنظر: ملحق السير، ص 27.
5- يُنظر: فهرس مخطوطات خزانة آت افضل ببني يسجن، جمعية التراث، ص40، المخطوط رقم: 137.
6- فهرس مخطوطات الخزانة العامة، قسم التراث والمكتبة، مؤسسة الشيخ عمي سعيد، ط1، أكتوبر 2002، ص: ج.
7- هي دار التلاميذ، باللغة المزابية.
8- حُجَّاج: لقب عائلي شهير بقصر غرداية إلى اليوم.
9 - هكذا ورد ذكرها في بعض المخطوطات، ويمكن أن تكون اسمًا ثانيا لخزانة دار التلاميذ أو خزانة الحجاج أو خزانة مشايخ غرداية.
10 - ينظر: فهرس مخطوطات الخزانة العامة، غرداية، التقديم.
11 - ينظر: أ.مصطفى ابن ادرسيو، فهرسة المخطوطات والمكتبات في وادي ميزاب، مقال، مجلة الحياة القرارة، عدد 12، أكتوبر 2008، ص198.
12 - ينظر: فهرس مخطوطات، خزانة أل يدّر ببني يسجن، التقديم.
13 - نسبة إلى عبد الله بن أبي الفضل أبي القاسم بن إبراهيم البرادي (ت بعد: 835هـ/ 1431م) ممن نشَّط الحركة العلمية بتونس، من تلامذته: ابنه يحيى، وأبو الربيع سليمان بن زكرياء الفرسطائي، وزكرياء بن أفلح الصدغياني، وأبو النجاة يونس التعاريتي...؛ وله كتاب شهير يعرف بـ"الجواهر المنتقاة"، وضع في آخره فهرسة مطولة لأشهر الكتب التي وجدت في زمانه، ومن هنا اقتبس الاسم؛ موقع الجمعية: http://www.elminhaj.org/
14 - http://www.elminhaj.org/erostomi/aide.php.
15- ينظر: ظاهر محسن جاسم، محاضرات في منهج البحث والمكتبة، قسم اللغة العربية، جامعة الكوفة، العراق؛ بحث مرقون، ص5.
16- معجم أعلام الإباضية، لجنة من الباحثين، نشر جمعية التراث غرداية، ط1، 1999، ج3، ص424، 425.

17- بدر الدين القرافي، توشيح الدّيباج وحلية الابتهاج، تحقيق أحمد الشتيوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1983، ج3، ص105.
18- بدر الدين القرافي، توشيح الدّيباج وحلية الابتهاج، ص102، وهذه الحاشية على المتوسط تظل مفقودة ولم يرد ذكرها إلا هنا.
19- إيساغوجي: لفظ يوناني معناه الكلّيات الخمس: الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام، وهو باب من الأبواب التِّسعة للمنطق.
20- سليمان الجربي، شرح على متن إيساغوجي في المنطق، المبطعة التونسية، تونس، ط1، 1347هـ، ص2 - 3.
21- عبد الله محمد الحبشي، جامع الشروح والحواشي (معجم شاهد لأسماء الكتب المشروحة في التراث الإسلامي وبيان شروحها)، طبع المجمع الثقافي أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2004، ص353.
22- صلاح الدين المنجّد، قواعد تحقيق المخطوطات، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط7، 1987، ص .24
23- (و: 1718م- ت: 1808م) أحد أبرز أعلام الإباضية في العصر الحديث، وهو من بني يسجن بمزاب، جنوب الجزائر، تفرّغ مبكّراً للتّأليف فأتحف المكتبة الإسلامية بمجموعة مؤلّفات منها ما هو عمدة المذهب الإباضي في الفقه ككتاب "النّيل وشفاء العليل"، وقد شرحه القطب أطفيَّش وطُبع في 17 مجلدا، وله "التّاج على المنهاج" في 26 جزءا، و"تعاظم الموجين" وهو شرح لمرج البحرين لأبي يعقوب يوسف الوارجلاني، وغيرها كثير ما يزال مخطوطا، كما ترك مكتبة عامرة بني يسجن، تعرف الآن باسم "مكتبة الاستقامة". ينظر: معجم أعلام الإباضية، ج3، ص 532- .534
24- محمد بن يوسف، ببانو (و: 1313هـ / 1896م - ت: 1409هـ / 1988م)، ولد بني يزجن بميزاب، درس بتونس، وبعد عودته إلى ميزاب درّس بالمدرسة الجديدة بجوار مسجد بني يزجن، وعيّن عضوا في حلقة العزَّابة ثم صار وكيلاً للمسجد ورئيساً للحلقة، وأنشأ لاحقاً المدرسة الجابرية للذكور، ترك مكتبة من أكبر مكتبات وادي ميزاب، وأغناها بالمخطوطات؛ ينظر: معجم أعلام الإباضية، ج4، ص407 وما بعدها.
25- صالح بن عمر بن داود، لَعْلي (و: 1287هـ/ 1870م - ت: 1347هـ/ 1928م) من أجلَّة علماء بني يزجن بميزاب، ابتلاه الله بمرض الجدري في الخامسة من عمره فأصيب بالعمى؛ درس عند القطب أطفيَّش، ثم سافر إلى تونس وحضر دروس الزيتونة، كما حضر دروساً في جامع الأزهر بالقاهرة عند مروره بها في طريقه إلى الحجّ، وحجَّ مرَّتين، وكان في كلِّ مرَّة يجتمع بعلماء الحجاز، أقام في الحجَّة الثانية عاماً كاملاً أمضاه في القراءة ومجالسة العلماء؛ خلف القطب أطفيَّش في الميدان بعد رحيله، أنشأ معهداً له عام 1307هـ/1889م، وأسندت إليه مشيخة العزَّابة ببني يسجن، وكان مهتمّاً بجمع الكتب وتأليفها، إذ يوجد بمكتبته _التي لا تزال قائمة إلى اليوم_ نحو ألفي كتاب بين مطبوع ومخطوط؛ ينظر: نفسه، ج3 ص475 وما بعدها.
26- محمد بن عيسى ابن عبد الله، آزْبَارْ (حي في: 1301هـ / 1883م) من علماء بني يسجن بميزاب، تتلمذ على يد علماء عصره بمسقط رأسه، ثمَّ هاجر إلى المشرق للاستزادة من علوم

النقل والعقل رفقة الشيخ إبراهيم بن يوسف أطفيَّش الشقيق الأكبر لقطب الأيمة، استقرَّ بعُمان مدَّة طويلة ينهل من معين فقهائها وعلمائها، ثمَّ عاد إلى وطنه، فعيِّن شيخا على مسجد بني يسجن، ثمَّ تولَّى منصب مشيخة وادي ميزاب، وقد عيِّن قاضيا في بني يسجن سنة 1883م، وهو أوَّل قاض من قضاة المحكمة الشرعيَّة بيزجن، جلب معه من عمان نفائس الكتب، وأنفق في سبيلها أموالا طائلة؛ وترك خزانة عامرة بهذه المخطوطات، وقد عادت بعد وفاته إلى عشيرته: «آل خالد»، ببني يزجن. ينظر معجم أعلام الإباضية، ج3، ص392.

27- سعيد بن سعيد اللالـوتي النفوسي، (أبو عثمان) الشهير بـ«مراح لالوت» (النصف الأول ق: 11هـ / 17م)؛ عالم جربي تونسي وأصله من نفوسة بليبيا، له مهارة ومعرفة في علم الفلك والمواقيت، يذكر ابن تعاريت أنَّه رأى له «أرجوزة في حساب الشهور، وأيام السنة العربية والعجمية»، وله غيرها. ينظر معجم أعلام الإباضية، ج3، ص173.

28- هذه النسخة الوحيدة التي وردت فيها هذه العبارة، ولم نجد بعدُ هذا الشرح رغم بحثنا الدقيق في العديد من فهارس خزائن المخطوطات.

29- للأسف فإنَّ الكلمة التي قبل هذا اللقب لا تظهر، وقد وقع محو مقصود للأسماء، الراجح أن المحو كان من طرف المالك الجديد، ولم يبق ظاهراً غير لفظة "الباني"، وهو لقب عائلة عريقة في دمشق الفيحاء، من نسلها الشيخ محمد بشير الباني (ت:2008م)، وهو عالم دين وقاضي، كان مستشار محكمة النقض بدمشق، ومن المؤسسين البارزين لمجمع الشيخ أحمد كفتارو بدمشق.

30 - في الموقع الإلكتروني لجامعة لايبزيك (بألمانيا) مخطوطة تحمل نفس اسم المالك وتوقيعه بنفس الخط، ولكن بفارق شهر بين تمليكة الكتاب الأول والثاني؛ (حاشيتنا موقعة من طرف نفس المالك في ربيع الثاني 1182هـ/1768م)، وهذا نصّ التمليكة: "في نوبة فقير ألطاف الملك العلي محمد البكري الحموي ابن السيد علي؛ في ربيع الأول 1182هـ"، وقد انتقلت المخطوطة التي كانت ضمن محتويات مكتبة الرفاعية في دمشق بسوريا إلى ألمانيا بعد أن باعها العثمانيون للقنصل الألماني ثم نقلت جميع محتوياتها إلى ألمانيا لاحقاً في 1853م؛ أنظر رابط المخطوطة الثانية في جامعة لايبزيك؛ ويوجد عليها تمليكات أخرى لأعلام شاميين، ولعل النسختين في الأصل من الشام وقد رحلت إحداهما إلى الديار المصرية فيما بقيت الأخرى بدمشق.

http://www.refaiya.uni-leipzig.de/content/below/research.xml?XSL.lastPage.

31- تكريت مدينة قديمة في العراق، تقع على مسافة 160كم شمال غرب بغداد على نهر دجلة، وهي مركز محافظة صلاح الدين، وقد ولد فيها القائد صلاح الدين الأيوبي، وقد شهدت في تاريخها القديم والحديث حياة فكرية زاخرة بالعلماء والمفكرين.

32- للأسف تظلّ تعوزنا _رغم البحث المتواصل_ المعلومات الكافية للتعريف بهذا العلم المغمور.

33- فاس جديد أو فاس الجديد هو أحد الأجزاء الثلاثة المكونة لمدينة فاس بالمملكة المغربية، شيده المرينييون سنة 1276م كمتمم لفاس البالي أو العتيق.

34- يبدوا واضحاً أنّ الناسخ صاحب مدرسة بفاس الجديد، وقد يكون علماً في عصره وهو ما بحثت عنه قصد التعريف به أكثر.

35- قلالة: حومة كبيرة في جنوب جزيرة جربة، وأهلها إباضيي المذهب ويتكلمون البربرية دون غيرهم من سكان الجزيرة.

36- حسن حسني بن صالح عبد الوهاب بن يوسف الصمادحي التجيبي (ت:1968/11/9م)، أديب ولغوي ومؤرخ تونسي، تقلب في عدة وظائف إدارية منها أنه عيّن رئيسا لخزانة المحفوظات التونسية، ثم قائداً أو والياً على إحدى المحافظات التونسية، كما عين رئيسا لجمعية الأوقاف، وبعد استقلال تونس على رأس المعهد القومي للآثار والفنون، فأسس المتاحف الإسلامية والرومانية، وكان إلى جانب عمله الإداري مولعا بجمع المخطوطات والكتب النادرة، وقد جمع خلال حياته عددا كبيراً من نفائس المخطوطات وقد أهداها إلى المكتبة الوطنية التونسية، ومن أهم أقدم نسخ القرآن بمكتبة حسن حسني عبد الوهاب في دار الكتب الوطنية، كما ترك آثاراً مؤلفة عديدة في تاريخ تونس وأعلامها. http://ar.wikipedia.org/wiki/

37- محمد بيرم الرابع (حي في 1272ه) من عائلة بني بيرم؛ وهو والد وعم محمد بيرم الخامس (1256-1317هـ/1840-1899م)، ولد في تونس (العاصمة)، تلقى الأصول الأولى للثقافة الإسلامية في مجالس العائلة عاش في تونس ومصر وتركيا، وزار عددًا من البلاد العربية والأوربية.

38- هكذا في الأصل، ولعله ذمّي من أهل الكتاب يهود تونس.

39- الراجح أن المقصود بالقول: "جمادى الأولى عام 72ه"؛ أن تكون سنة 72 من القرن 13هـ، أي: 1272هـ؛ (يناير 1856م)، وذلك بالنظر إلى طبيعة الخط، ثم بالقياس بين حياة بيرم الرابع وبيرم الخامس (ت:1317ه).

40- غازي خسرو بك أو غازي هسرو بيك في بعض المراجع (1480- 1541م) أشهر أمراء البوسنة والهرسك قاطبة وباني سراييفو الحديثة، خاض فتوحات ومعارك عدة في أوربا وكان لسيرته صدى إقليمي، كما قام بإعادة بناء مدينة سراييفو بشكلها الحالي وقد استلهم فيه نظام البناء في أغلب المدن الإسلامية، وأسس العديد من المشاريع الضخمة في مدينة سراييفو التي كانت عاصمة لولايته؛ بعد الحرب الأهلية 1992 – 1995 توجهت جهود عدة ثقافية وإنسانية دولية وإسلامية وعربية لإعادة إعمار سراييفو، إذ تم إعادة ترميم وإعمار مسجد غازي خسرو بك الكبير، وقد فوجئت الأوساط العربية الثقافية بكمّ المخطوطات العربية القديمة التي كان الأمير يحتفظ بها في صناديق مختلفة منها مخطوطات نادرة لا تتوافر في الأقطار العربية.

41 - هكذا في الأصل، ولم نجد بعد ترجمة لهذا العلم المغمور.

42 - موستار: مدينة سياحية كبيرة في قلب البوسنة، بها مساجد ومراكز إسلامية كثيرة، ما تزال قائمة وشاهدة على فترة ازدهار عمراني وحضاري كبير، أمّا توفرها على نسّاخ للمخطوطات فهو دليل آخر على ازدهار الحركة الفكرية والثقافية بها آنذاك؛ وأثر موقعها المتميز في شرق أوربا.

43- الراجح أنه توهم من المفهرس، لأنَّه قام بالنقل الحرفي لما ورد في آخر المخطوطة ونسبه للمؤلف، إذ لم ترد بالمخطوطة معلومات أخرى عن الناسخ وتاريخ النسخ، وهو ما أوهم المفهرس بأن هذه النسخة هي الأصل وهذا مستبعد.
44- الراجح أنها سنة 1176ه، لأنَّ واقف المخطوطة وهو: محمد بن بدير ولد سنة 1160هـ وتوفي سنة 1220هـ.
45- محمد بدير بن سيرين، الشهير بابن حبيش الشافعي المقدسي؛ مؤسس عائلة البديري في القدس وفلسطين عامة، عالم أزهري، وشيخ الطريقة الخلوتية؛ ولد بالمغرب في حدود سنة 1160 هـ/1747م، وقدم والده به إلى مصر وهو ابن سبع سنين، وأمضى في القاهرة ثلاثين عاماً يدرس في الأزهر وغيره من دور العلم، واتصل بالشيخ محمود الكردي الكوراني (العراقي) شيخ الخلوتية، فجعله من جملة خلفاء الخلوتية، وأمره بالتوجه إلى بيت المقدس، فقدم إليها وسكن في الحرم الشريف؛ ولمحمد بن بدير تآليف كثيرة منظومة ومنثورة في شئون الدين والأدب، منها نظمه قصيدة في هزيمة نابليون في عكا تتألف من 157 بيتاً من بحر البسيط، وقد بقيت آثاره مخطوطة في مكتبته، والتي أسسها بمنزله واقتنى لها الكتب المخطوطة والمطبوعة وصيّرها وقفاً من بعده، وتعرف اليوم باسم "المكتبة البديرية"؛ توفي سنة 1220هـ/1805م، ودفن في داره التي بقيت مسكناً لأفراد العائلة وزاوية المصوفية.
ينظر: موسوعة أعلام فلسطين في القرن العشرين، محمد عمر حمادة، سوريا، ط1، 2000، ص79 وما بعدها.
46- هذه العبارة تؤكد الترجمة التي تذكر بأن المكتبة البديرية .
47- مكتبة كوبرولو أو كوبورلي: هي مكتبة تقع في شارع ديوان أوغلو مقابل ضريح السلطان محمود الثاني في "أمين أونو" باسطنبول، أسسها فاضل أحمد باشا ابن الصدر الأعظم محمد باشا كوبورلو (1676-1635)بناءا على وصية والده، أكمل كوبرولو زادة فاضل مصطفى بناء المكتبة عام 1678م، وتحوي المكتبة أكثر من 3000 كتابا مخطوطاً و1500 كتابا مطبوعا بالتركية والعربية والفارسية، وقد طُبعت فهارسُها في ثلاثة مجلدات باللغة العربية سنة 1406 هـ/ 1986م، تحت إشراف منظمة المؤتمر الإسلامي العالمي.
ينظر: المكتبات العثمانية الوقفية بعد القرن العاشر الهجري، محمود السيد الدغيم، دار الحياة.كوم، الأحد 20 سبتمبر 2009.
48- هي خزانة مخطوطات جامع الأزهر بمصر وهي تضم مجموعات الكتب المخطوطة قبل سنة 1947، وقد لاحظت في فهارس المكتبة وفي الجزء الرابع وهو مخصص لفن البلاغة؛ لاحظت مئات الحواشي والتلخيصات والشروح في علم البلاغة والبيان لوحدة، بقطع النظر عن فنون العلم الأخرى.
49- محمد عبد السلام هارون، منهج تحقيق النصوص ونشرها، ص128.
50- سليمان الجربي، حاشية على شرح إيساغوجي، مخ، المكتبة الأزهرية، رقم: (82221 أتراك)/ نا.أحمد بن عبد الله/ ت.ن 1045هـ.
51 - نفس المؤلف، نسخة أخرى، مخ، رقم: (82209 أتراك)/ نا.الحبيب بن محمد الفريسي/ ت.ن 1244هـ.

52- نوري حمودي القيسي وسامي مكي العاني، منهج تحقيق النصوص ونشرها، مطبعة المعارف، بغداد، ط1، 1975، ص 128.
53- نفسه، ص129.
54 - لقد اجتمعت بالأستاذ يحي بوراس في لقاءات عدة، عاينت فيها برفقته النسخ المخطوطة لحاشية الجربي، وقد حباه الله تعالى دراية وقدرة في التعرف على خطوط المؤلفين والنسّاخ ونسبتها إلى أصحابها، وذلك من كثرة احتكاكه بالمخطوطات وتمرّسه الطويل في فهرسة خزانات مخطوطات وادي مزاب، وقد كان آخر لقاء جمعني به وسجلت فيه هذه الملاحظات بتاريخ: الإثنين 24 رمضان المعظم 1433هـ الموافق لـ 13 أوت/أغسطس 2012م، بمكتبة دار عشيرة آت فضل ببني يزجن، وقد كان حينها بصدد إعادة فهرسة خزانة مخطوطاتها؛ أما فهرسها الأوّلي فقد وضع في التسعينيات من القرن الماضي.
55 - يقصد كتابه شرح النيل والمسمى: "شرح النيل وشفاء العليل" ويقع في 18 مجلدًا.
56- ينظر: امحمد بن يوسف أطفيَّش، كشف الكُرب، ج1، ص 5، 6.

قائمة المصادر والمراجع:

1 - ملحق السير، إبراهيم أبي اليقظان، مخ، نسخة بمكتبة دار التلاميذ _إروان_ العطف، غرداية.
2 - فهرس مخطوطات خزانة آل افضل ببني يسجن، جمعية التراث، غرداية، 1999.
3 - فهرس مخطوطات، خزانة آل يدّر ببني يسجن، جمعية التراث، غرداية، 2002.
4 - فهرس مخطوطات الخزانة العامة، قسم التراث والمكتبة، مؤسسة الشيخ عمي سعيد، ط1، أكتوبر 2002.
5 - معجم أعلام الإباضية، لجنة من الباحثين، نشر جمعية التراث غرداية، ط1، 1999.
6 - سليمان الجربي، شرح على متن إيساغوجي في المنطق، المبطعة التونسية، تونس، ط1، 1347ه/1929م.
7 - مصطفى ابن ادرسيو، فهرسة المخطوطات والمكتبات في وادي ميزاب، مقال، مجلة الحياة القرارة، عدد 12، أكتوبر 2008.
8 - ظاهر محسن جاسم، محاضرات في منهج البحث والمكتبة، قسم اللغة العربية، جامعة الكوفة، العراق؛ بحث مرقون.
9 - بدر الدين القرافي، توشيح الدّيباج وحلية الابتهاج، تحقيق أحمد الشتيوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1983.
10 - عبد الله محمد الحبشي، جامع الشروح والحواشي (معجم شاهد لأسماء الكتب المشروحة في التراث الإسلامي وبيان شروحها)، طبع المجمع الثقافي أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2004.
11 - موسوعة أعلام فلسطين في القرن العشرين، محمد عمر حمادة، سوريا، ط1، 2000.
12 - محمد عبد السلام هارون، منهج تحقيق النصوص ونشرها، مكتبة الرسالة، القاهرة، ط4، 1994.

13- صلاح الدين المنجّد، قواعد تحقيق المخطوطات، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط7، 1987.

14 - نوري حمودي القيسي وسامي مكي العاني، منهج تحقيق النصوص ونشرها، مطبعة المعارف، بغداد، ط1، 1975.

15 - موقع جمعية الشيخ أبي إسحاق إبراهيم أطفيَّش لخدمة التراث، غرداية: http://www.elminhaj.org/

16 - محرّك البحث "الرستمي" جمعية أبي إسحاق أطفيش: http://www.elminhaj.org/erostomi/aide.php.

الأستاذ: إدريس بن خويا / الأستاذة.فاطمة برماتي
جامعة أدرار- الجزائر.

عنوان المداخلة:
خزانة الشيخ سيدي مولاي سليمان بن علي بأدرار ودورها في الحفاظ على المخطوطات

مقدمة:

نحمده سبحانه وتعالى حمدا جليلا يليق بعظمته، لا نحصي ثناء عليه كما أثنى على نفسه، له الملك في الأولى والآخرة، وهو على كل شيء قدير.

ونُصلي ونسلم على سيدنا محمد؛ الرحمة المهداة، وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين.

وبعد؛

فأنه لمن دواعي السرور أن أسلط الضوء ضمن هذا الملتقى على إحدى خزائن المخطوطات الواقعة ضمن زوايا منطقة توات، والتي تعتبر أول زاوية أنشأت بها، مبرزا مؤسسها والظروف التي دعت إلى ذلك التأسيس، مرورا بمراحل حياته، وتاريخ نشأة تلك الزاوية؛ ألا وهي زاوية الولي الصالح سيدي مولاي سليمان بن علي- ﷺ- الملقّب بـ"سلطان تيمي". الذي يعتبر أحد أقطاب منطقة توات، وأحد العلماء العاملين الأوائل الذين حلوا بالمنطقة التي كانت له بها أحداث وآثار سجلها التاريخ في ذاكرته وصلنا منها ما سمح به الدهر، وقد شهد له التاريخ بالسبق في تأسيس الزاوايا بالمنطقة.

المخطوطات والخزائن التواتية:

إن ولاية أدرار تتوزع على ثلاثة أقاليم، قورارة، توات، تيدكلت، وأن عدد الخزائن حسب إحصائيات آواخر التسعينيات التي قدمتها جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية تفوق ثلاثين خزانة، وأن عدد المخطوطات في تلك الفترة وصل إلى أزيد من 27000 مخطوطا، لكن لتعرضها للسرقة، والنهب من طرف الاستعمار

الجائر، ولتدخل العامل الطبيعي وتأثيراته، الذي سجل حضورا قويا في ضياع العديد منها وصل العدد إلى حوالي 3000 مخطوطا في تلك الفترة دائما، ولكن مع تقدم السنوات، وزيادة الوعي لدى مالكي المخطوطات أصبح العدد حاليا يفوق 4500 مخطوطا، وأن عدد الخزائن المصرح بها وصلت إلى أزيد من أربعين خزانة حسب إحصائيات المركز الوطني المخطوطات بأدرار.

ومن بين هذه الخزائن نجد خزانة مولاي سليمان بن علي، فمن هو هذا الولي الصالح؟.

مولاي سليمان بن علي في سطور:

نسبه:

أبو داود سليمان "الملقب بـ أوشن" بن مولاي علي الشريف بن أعمر بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن علي بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمان بن عيسى بن أبي القاسم بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبطي بن سيدنا علي بن السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وُلد حوالي سنة 549 هجرية الموافق لـ: 1154 ميلادية.

سبب مجيئه إلى أرض توات:

كان عالمنا سليمان بن علي من تلامذة الشيخ سيدي علي بن حرزهم دفين فاس النجباء المقبولين لديه الراضين عنه، وحدث أنه لما كان يقرأ عليه بعض دروسه حضر جماعة وطلبوا من الشيخ المدرس الحضور إليهم فاستخلف تلميذه سيدي سليمان لتدريس الطلبة صباحا، فلما انتهى من تدريس الطلبة أمره شيخه بالحضور للبيت لتناول الطعام، وبعد الانتهاء من تناول الطعام قال الشيخ لتلميذه: يا سليمان فحلان لا يهدآن في مراح، فانطلق إلى مكان عبادة أهله كلهم عباد؛ وهو قطر توات فقال له: توات بها أناس مساكين ولا طاقة لي بالزاد المبلغ إليها، فخرج الشيخ وتلميذه إلى مكان يسمى باب الكيزة بفاس المحروسة، وأعطى الشيخ تلميذه ما يحتاج من الزاد الموصل إليها، بعد ذلك سافر إلى عالمنا إلى غزوان؛ وهي مقر سكناه لزيارة والده مولاي علي فوجد معه إخوته وهم: السيد أبو بكر، والسيد موسى، والسيد محمد وبينما هو في منزله وردت رسائل إلى والده من مختلف جهات المنطقة تريد أحد أولاده للتبرك بآل الرسول صلى الله عليه وسلم فبعث الوالد أكبر أولاده أبابكر إلى تافيلات، ووجه السيد محمد إلى سوس بالمغرب وأمر السيد سليمان بالتوجه إلى توات وقال له: سمعاً وطاعةً فإن توات راحة لكل أحد.

أوصى الأب ابنه أن يحفر بئراً بكل مكان مرّ به، ويعيد إليه ترابه حتى إذا كان المكان الذي يستوعب ترابه فهو مكان إقامته.

وخرج السيد مولاي سليمان من غزوان بعد صلاة الجمعة شهر رجب عام 580هـ حوالي 1185م إلى أن وصل إلى قرية عريان الرأس بمنطقة تسابيت، فاستقبله هناك رجال من توات وقورارة وأكرموه، ثم انتقل إلى بن طلحة ففرحوا وحفروا البئر فزاد تراب البئر على الحفرة ثم ارتحل إلى قصر العوينات -أسبع حالياً-، ثم جدد المسير إلى قرية مقصودة الله ونزل بها ومنها تحول إلى بلدة تنيلان، وكان ذلك حوالي سنة 591هـ الموافق لـ 1195م، فأكرمه أهلها وزاد التراب على الحفرة، ثم توجه إلى منطقة تيمي ونزل بقرية أولاد عمور وحفر البئر، فكذلك استوى التراب مع البئر وقال أن هذا المكان هو أرض البركة وكان الاستقرار بها ودعا لتيمي بدعوات بقي بأولاد عمور إلى سنة 593هـ الموافق لـ 1197م.

تزوج مولاي سليمان بنت الشيخ أعمر وبقيت معه إلى سنة 595هـ؛ حيث أنجب منها ولدا سماه عيسى أكبر أولاده ثم ارتحل إلى أولاد أوشن سنة 594هـ فأقام بها وأسس زاوية للعلم وأهل السبيل وحفر فقارة أجدلاون وغرس أشجار النخيل المثمرة وسقاها من ينابيع هذه الفقارة.

كما أنه كان حاملا لراية العلم الظاهر والباطن، وكان يُعلّم القرآن للراغبين وعبادة الرحمان للمريدين، فأقبلت عليه الطلبة من أراض شاسعة، فكانت زاويته متكاملة عامرة بطلاب العلم وطلاب المائدة فخضعت له النفوس الأبية وأقبل على الأخذ مما منحه الله خلق كثير، واستمر على هذه الحال إلى أن ارتحل إلى جوار ربه سنة 670هـ حوالي 1271م وقبره معروف يزار له بأولاد أوشن.[1]

<u>ذريته:</u> وهم على التوالي:

السيد علي، والسيد عيسى، والسيد عبد الحق، والسيد عبد الله، والسيد عبد الصمد، والسيدة ستي التي توفيت في حياته مقبورة ببلدة أولاد عيسى وجعل زاوية لكل واحد من أولاده وسمى الزاوي باسم أحد أبنائه.

فالسيد عيسى أنزله بجانبه إلى أن عجز، فتحول إلى زاوية أولاد أوشن بعد خروجه من أولاد أعمر.

وأما السيد عبد الله القائل في وعظه: لا أَلِدُ للتراب ولا أبني للخراب، وهو مقبور بإمدري بقصر باعبد الله.

وأما مولاي علي فسكن عند أولاد مطاع المعروفة بأولاد علي حالياً، وأما مولاي عبد الحق فبقي بأولاد أوشن وبقي كل واحد في زاويته، وأما السيد عبد الصمد خرج صغيرا إلى أرض السودان وذريته بأرض التكرور.

وللولي الصالح سيدي مولاي سليمان كرامات عديدة ومشهودة منها جفاف الماء من السبخة بعدما كانت تقطع بالقوارب.

ويقول فيه عبد القادر بن عمر بن عبد الرحمان التينيلاني : "وكان ذو منزلة عظيمة في النفوس، ومن كبار المشايخ صاحب الآيات والكرامات، وقبره أحد المزارات، واستمرت الولاية في أولاده، وكان للناس اعتقاد في تعظيمه، وكان مع صلاحه فيه فضيلة". [2]

تاريخ نشأة الزاوية:

وقبل الخوض في تسليط الضوء على هذه الزاوية وتقديمها للقارئ الكريم، يتوجب علي أن أعرف مفهوم مصطلح زاوية حتى يتسنى للقارئ معرفة مضامين الزاوية والأسس التي ترتكز عليها.

الزوايا في المفهوم اللغوي هي جمع زاوية مشتقة من زوى؛ أي جمع لأن فيها تجتمع الضيوف والفقراء وطلبة العلم، ويجمع المال بالطرق لمشروعة لتمويلها وتسيير نُظُمها.

أما من حيث المفهوم الاصطلاحي فهي مؤسسة دينية روحية، اجتماعية وإسلامية. [3]

إن جل المخطوطات التي وقفنا عندها تؤكد السبق للولي الصالح سيدي مولاي سليمان بن علي- ﷺ- في تأسيس الزوايا بمنطقة توات، وأول زاوية أنشأت للعلم، وإذا كانت هناك زوايا أخرى أسست قبله بالمنطقة فلم تُعرف، ولم نجد لها أي ذكر أو أثر يدلان على ذلك.

وبالتالي، فإنّ زاوية مولاي سليمان بن علي أول زاوية أسست على المبادئ التي ذكرها الرسول ﷺ ؛ أي في معنى الحديث، إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث؛ ولد صالح يدعو له، وعلم ينتفع به، وصدقة جارية.

ويرجع تأسيسها إلى القرن السادس للهجرة (6هـ). وبذلك، فإن مولاي سليمان بن علي بدأ تدريسه وتعليمه للطلبة القرآن الكريم قبل وضعه الحجر الأساس لهذه الزاوية بداية من سنة 581هـ، إلى أن وضع الحجر الأساس، أو الانطلاقة الفعلية لتشييدها سنة 593هـ بقصر أولاد أوشن-أدرار.

وأما عن حُبس الزاوية، فيقول بنفسه: "كما حبس الديار والقصر، وأماكن الطلبة وجميع المرافق التي تحت أيدينا على الزاوية لوجه الله العظيم، وعلى أولادي عبد الحق، وعلي، وعيسى، وعبد الصمد، وعبد الله وليس لهم سوى القوت والمسكن واللباس، وأريد والله يريد ويفعل ما يريد أن لا ألقى ربي وكل واحد من أبنائي له زاوية والله على ما أقول شهيدا". [4]

وفتحت أبواب الزاوية لتعليم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، والفقه، وإطعام الطعام، وإيواء الضيوف. [5]

ويمكن القول، إن زاوية مولاي سليمان بن علي هي زاوية جمعت بين تغذية الروح وتغذية الجسد. وتعتبر مقرا للعلم والتعليم، ومكان للعبادة والتصوف، فرحم الله من رجل علم الناس أمور دينهم، ونفع الطلاب والمتمدرسين.

وقد تميزت زاويته بكثرة الانفاق والإطعام للفقراء والمعوذين، فضلا عن قوافل الحجاج التي كانت تقصد زاويته لراحة والتخفيف، ورغبة في معرفة الكثير عن مسائل الحج وفتاويه.

ومما زاد أهمية وفضلا هو احتواؤها على مكتبة تنوعت عناوينها، وتعددت محتوياتها، فكان فيها العديد من الكتب الفقهية والنحوية، وغير ذلك من الطب والفقه والحساب. [6]

وهناك قصيدة مدح في سيدنا سليمان بن علي لسيدي البكري بن عبد الرحمان التينيلاني، [7] وهي:

سيدي سليمان نجل علي وفسيل ابن حرزهم في الطريقة
فُقت مجداً وسؤدداً وكمالاً وسلوكاً شريعة وحقيقة
قد حللت توات كالبدر يسري تهزِمُ الظلمات منه الشريقة
ومَلَكت أزمّة العِزّ والتصريف فيها مع الصّفات الأنيقة
وَبَسطتَ يديكَ بالجود تُعطي كلّ ذي أمال ثيابا صفيقة
ومنحتَ الزوار كلّ مرامٍ دُوحَهُ سُرَّ بالغصون الوريقة
وهدَيْتَ من الخلائقِ جمّاً للهُدى بعد هونهم بسحِيقة
مثل سَيّدي الأحسنيّ [8] فأضحى بالولاية ذِكرُه في الخليقة
بعد ما كان في حضيض انقطاع فارتقى بعدُ في المراقي الشريقة
وعلى قبرك المعظّم نورٌ ظاهرٌ لذوي الفُهوم الدقيقة
حُرمَة عظّم الإله حِماهَا مَالَها في كثيرها من شقيقة
كُلّ مَن لَمْ يكن له أدبٌ في حوزِها فصَمَ الإلهُ وثيقة

سَند المستغيثُ كُن لي غياثا في عويض الخُطوب تَضحى طليقة
أنت حامي الدِّمارَ حاشاكَ رُكني أن أكونَ مِن الجُمُوع الغَرِيقة
في حِماك الضعيفُ مادِح معناكَ البُكَيْرُ [9] الفقير حالُكَ فِيقة
ضانَهُ الله مِن شياطين جِنّ مع إنسٍ بنيرَات عَتيقة

المخطوطات المتواجدة بزاوية مولاى سليمان بن علي:[10]

إنّ زاوية مولاي سليمان بن علي تحتوي على كم هائل من المخطوطات، ونظرا لتشتتها بين أحفاده لم يصلنا منها إلى القليل، وهو ما وجدته مجموعا ضمن خزانة سميت باسم الولي الصالح سيدي مولاي سليمان بن علي.

مفهوم المخطوط:

إن جل التعريفات التي وقفت عليها عند مفهوم المخطوط وجدت أنه هو ما خط باليد أو رقم بالآلة ومضى على تدوينه خمسون عاما فأكثر سواء نشر فيما بعد أم لم ينشر وسواء أكان في مكتبة رسمية أو خاصة أو لدى الهيئات أو شخص بعينه. [11]

موقع الخزانة:

تقع خزانة الولي الصالح سيدي مولاي سليمان بن علي بقصر أدغا – جنوب ولاية أدرار التي تبعد عن الولاية بثلاثة كيلومترات تقريبا، ومقرها هو منزل الأستاذ: سليماني علي؛ الذي يعتبر المؤسس الأول لها والمشرف عليها إل غاية اليوم. وهو من أحفاد الولي الصالح سيدي مولاي سليمان بن علي.

كما يمكن أن نعتبر أن المخطوطات المتواجدة بها –تقريبا- جُمعت من أحفاد الولي الصالح سيدي مولاي سليمان بن علي عن طريق الوراثة.

حالة المخطوط بالخزانة:

وعند إطلاعنا على تلك المخطوطات وجدنا أن كلها تحتوي على عناوين مع أسماء مؤلفيها، فقط أن البعض منها يحتاج إلى صيانة ووضع الأغلفة عليها حتى لا تخضع للضياع والتلف، وخصوصا أن المشرف على الخزانة –جزاه الله عنا كل خير- يبذل جهدا كبيرا من أجل المحافظة عليها بتغليفها وفهرستها، وإعادة كتابة المخطوط باليد إذا كان في حالة غير جيدة، وغير صالح للقراءة، وذلك دون تأثير على محتواه العلمي.

وهناك من الخطوطات مكتوبة بالورق الصغير، والبعض منها مكتوب بالحجم المتداول والمتعارف عليها، مع اختلاف في نوعية الخط، ولونه مابين الأحمر والأسود.

فهرس المخطوطات بالخزانة:

إن المهمة التي يقوم بها صاحب الخزانة من أجل المحافظة عليه هو تدوين البيانات الوصفية عن المخطوط بذكر عنوانه وموضوعه ومؤلفه، والعصر الذي عاش فيه ومسطرته وعدد أوراقه وناسخه والمعلومات الأخرى المثبتة عليه من تملك ووقف وبيان حالته المادية وما يحتوي عليه من ميزات فنية، وذلك بتدوينه في سجل خاص بالخزانة.

مميزات الخزانة:

إن من مميزات الخزانة هو أنها الوحيدة –على ماأعتقد- على مستوى الولاية أنها تملك أقدم مخطوط للقرآن الكريم أو أقدم نسخة ترجع إلى عهد عثمابن بن عفان –رضي الله عنه-.

عدد الخطوطات بالخزانة:

حيث تصل عدد المخطوطات بها إلى أزيد من 200 مخطوط. اشتملت على مجموعة من العلوم، منها: علوم اللغة، الفقه، علوم القرآن، الرحلات، السير والتراجم، الطب، وعلم الفلك.....

ومن عناوين هذه المخطوطات نجد:

- أدوية؛ لعبد الرحمان بن محمد بن مسعود الفارسي.
- تفصيل القرآن الكريم؛ محمد بن المحفوظ بن محمد الوشاني.
- شرح كلمة الإخلاص؛ محمد الصافي بن البركة.
- علم الفلك هدية السالك إلى الربع الكامل؛ بدر الدين المارديني.
- الفتح المغتبط في شرح المغتبط؛ محمد بن أبي التواتي.
- تحفة الأحباب في هيئات النبات والأعشاب؛ الإمام أبي الحسن.
- نيل المراد في كيفية عقد ألوان المزاد؛ الصافي بن البركة.
- رحلة سيدي عبد الرحمان بن عومر.
- رحلة عبد القادر بن عمر المهداوي.
- رحلة أحمد بن هاشم.
- رحلة عبد الله الفلاني لعبد الله الفلاني.
- قصيدة في مدح الرسول ﷺ؛ محمد البكري بن عبد الرحمان بن الطيب.
- الطرائف والتلائد؛ سيدي المختار الكنتي.
- غاية الأماني في أجوبة إلى زيد التنلاني؛ محمد عبد الكريم البلبالي.
- نقل الرواة فيمن أبدع قصور توات؛ محمد بن عومر بن محمد البوداوي.

- شجرة أنساب آل البيت؛ محمد علي السنوسي.
- نازلة فقهية؛ عبد الرحمان عمر التواتي.
- نازلة فقهية؛ محمد بن محمود نغيع.
- المحن والشدائد بتوات؛ عبد الرحمان الأدغاغي.
- حاشية شرح الرسالة؛ الأجهوي المالكي.
- قصيدة التداوي من العمى؛ عبد العزيز بن سعيد الشاطبي.
- شرح مثلث قطرب؛ محمد بن أب الزموري.
- أرجوزة في علم النحو؛ عبد الرحمان المالقي.
- كيفية استخراج حروف الفاتحة؛ محمد الطيب بن الحاج المكي.
- شرف الطالب إلى أسنى المطالب؛ أبو العباس بن الخطيب القسنطيني.
- كشف الأسرار عن حروف الغبار؛ علي بن محمد القلصادي.
- شرح العبقري؛ محمد بن أب المزمري.
- رد على اعتراض السيد محمد بن محمد العالم الزجلاوي في مسائل الحبوس؛ محمد بن عبد الرحمان بن عومر التنلاني.
- إتمام المقتبس في ثبوت التحبيس؛ محمد بن عبد الرحمان بن عومر التنلاني.
- رفع الحجاب وكشف النقاب في ثبوت التحبيس؛ محمد بن عبد الرحمان بن عومر التنلاني.
- مرثية الغرناطي بعد سقوط الأندلس؛ الشريف الغرناطي.
- تعليق على شرح الأربعين الإدريسية؛ أحمد زروق....

ولذلك، فإن هذه الزاوية هي متواجدة لحد الساعة داخل قصر أولاد أوشن الذي يتواجد به ضريح الولي الصالح سيدي مولاي سليمان بن علي، وتقام له الزيارة سنويا بتاريخ 16 ماي، وتأتيه الوفود من كل منطقة للتبرك به.

رحمه الله برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جنانه، ورزقنا وأنفعنا وأياكم بعلمه وجعلنا من المحبين لعباده الصالحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الحواشي

[1] - درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق، مخطوط بخزانة سيدي أحمد بن ديدي (تمنطيط)، وينظر كذلك في نسبه وحياته إلى زهرة الأخبار في تعريف أنساب آل بيت النبي المختار، للعلامة المدقق والمحقق أبي عبد الله أحمد بن المقري التلمساني(مخطوط)، وأنساب الشرفاء لأبي بكر بن محمد السيوطي (مخطوط).

[2]- الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية، عبد القادر بن عمر بن عبد الرحمان التينيلاني المهداوي (مخطوط بخزانة الوليد بن الوليد).

[3]- أهداف نشأة الزوايا وواقعها في المنطقة، الشيخ محمد باي بالعالم، ص**01**، محاضرة ألقيت بالملتقى الوطني الأول للزوايا بأدرار، **1-2-3** ماي **2000**.

[4] - نسخة من مخطوط نُقلت على يد شاهدها على نفسه أحمد بن أعلي أحمد، ومحمد المهدي بن محمد عبد الرحمان الوشاني، وبه محمد السالم بن محمد الطيب الوشاني، في آخر من ربيع الأول من سنة ثلاثة وخمسين وألف **1053**هـ.

[5]- النسخة نفسها.

[6] - ينظر في النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن **09** إلى القرن **14**هـ، عبد الحميد بكري، ص **74-75**.

[7] - نسخة مخطوطة موجودة بخزانة باعبد الله-أدرار، لصاحبها الوليد بن الوليد-رحمة الله عليه-.

[8] - كان ضالا عن الطريق، فهداه مولاي سليمان بن علي إلى الطريق المستقيم.

[9] - نسبة إلى ناظمها.

[10]- متواجدة بخزانة أدغا- أدرار، لصاحبها سليماني علي.

[11] - من موقع http://213.136.192.26/2001jaz/aug/26/wo5.htm

الأستاذ: حمزة قريرة
جامعة قاصدي مرباح – ورقلة
كليّة الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المداخلة: الحاج أحمد مصطفى الشاعر الفقيه تحقيق وقراءة في قصيدة : "أبكي على الذنب"

مدخل

عاشت ورقلة كغيرها من مناطق الوطن أوضاعا عصيبة إبان الاحتلال الفرنسي، من تهميش وقهر واضطهاد، ومحاولات لطمس الهوية الوطنية من لغة ودين، فقد حاول المحتل الفرنسي بكل ما أوتي من جهد وأساليب القضاء على مقوّمات العربية والإسلام في المنطقة وجنّد كل طاقاته المادية، فاستخدم الترغيب والترهيب، وممن وظفهم المحتل نجد المبشرين الذين تغلغلوا في عمق المجتمع الجزائري بقصد تحريف مساره والأخذ به نحو المسيحية، وأمام هذه الأوضاع برز رجال عظام في مختلف أقطار الوطن للتصدي لهذه الحملة وتنبيه الغافلين من الشباب، ففي ورقلة برز عدد من المشايخ في مختلف الأنحاء هرب لهم الناس بدينهم واستفتوهم في مسائل حياتهم، ومن بين هؤلاء نذكر الشيخ الحاج: أحمد مصطفى - 1313هـ-1404هـ- (1895م/1984م) الذي حمل على نفسه وتحمل الصعاب من أجل تثبيت الناس على قول الحق ودعوتهم للعودة للدين والتبرؤ مما كان يدعوهم المبشرون، وسنحاول خلال هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على بعض الجوانب

من حياة هذا الرجل، كما نقدّم تحقيقا في أحد قصائده ونحاول الاقتراب منها فنيا لنبيّن الأثر الديني والوطني العميق لدى الشيخ أحمد مصطفى.

1- الحاج أحمد مصطفى، حياته* وأسفاره:

الشيخ الحاج أحمد مصطفى من بلدة متليلي الشعانبة (ولاية غرداية) ولد سنة 1895م وهو ينحدر من عائلة سيدي الزغيم المعروفة بأولاد عمر بن موسى نسبة إلى ادريس الأصغر ابن ادريس الأكبر بن محمد التاتاي بن البسطاوي.



صورة الشيخ الحاج أحمد مصطفى

بدأ تعليمه في مسقط رأسه فحفظ القرآن الكريم صغيرا، وسنه لم يتجاوز الرابعة عشر، وقد تتلمذ على يد مشايخ عصره في المنطقة خصوصا مشايخ أدرار الواقعة في الجنوب الغربي الجزائري، ومن بينهم الشيخ مولاي عبد السلام ومحمد عبد الله الألوسي الشنقيطي ومولاي الأخضر بن عبد الرحمن. وقد أتم تفسير القرآن وسنه سبع عشرة سنة. كما تلقى على يد علماء عصره الفقه والفرائض وعلوم الحديث والتعمق في اللغة العربية والأصول وغيرها، وفي سنة 1934 توجه الشيخ إلى جامع الزيتونة بتونس، فعمّق هناك معارفه العلمية كما نال فيها شهادة التحصيل وزار على اثرها البقاع المقدسة مؤديا فريضة الحج. وفي أواخر 1937 زار مصر والتقى فيها العديد من العلماء والشيوخ وأخذ منهم، ليزداد علمه اتساعا ولسانه إقناعا. ولعل ذلك ما جعله أكثر تواضعا وميلا للزهد في الدنيا ورغبة في الآخرة من خلال تقديمه العلم والمعارف لطلبته، فكان منشغلا بأداء رسالته التربوية التي كلفته بها جمعية العلماء المسلمين على مستوى جهات الجنوب الجزائري باعتباره عضوا بارزا فيها، وهذا ما زاد من حقد المحتل الفرنسي على الشيخ، فحاول بكل

الطرق النيل من رسالته، ووصل الأمر إلى أن أحد المبشرين وهو القس **بيير راكان** أسس سنة 1947 مدرسة بالقرب من منزل الشيخ الواقع بحي القصبة بورقلة، والذي كان بمثابة مدرسة يؤمها الأبناء القاطنون بالجهة، وتم تأسيس مدرسة القس بهدف عزل الشيخ بتعاليمه عن محيطه وتعميق مفاهيم التربية النصرانية في الوسط الاجتماعي عن طريق تكثيف الدروس ومضايقة الشيخ وتوسيع الإغراء المادي للمواطنين الذين يعانون من ظروف مادية سيئة. لكن الشيخ وتلامذته الأوفياء تصدوا إلى ذلك وقاوموا كل الأساليب، لإيمانهم بأحقية رسالتهم، واستمرت مقاومة الشيخ العلمية مع طلبته الذين اصبحوا بمثابة درع حامي للقيم والمبادئ الدينية فقد تحوّلوا بمرور الزمن إلى مشايخ في مناطقهم يقودون المقاومة الفكرية ضد المحتل الغاصب.

إضافة للمقاومة الفكرية فقد عمد الشيخ إلى تأسيس نواة لنشر الدين، فأسس مسجدين الأول بمدينة ورقلة سنة1954 والثاني بناحية **سبسب** بمدينة متليلي سنة 1955، ولم تقتصر وظيفة المساجد في تلك الفترة على أداء وظيفة الصلاة بل تعدت ذلك إلى تثقيف الناس وحثهم على الوقوف في وجه المحتل.

كما نشير إلى أن الشيخ أحمد مصطفى قد اشتغل بالقضاء بين 1933 و1936 ولم يستمر في الوظيفة طويلا، فقد أقال نفسه وذلك بسبب الممارسات الاستعمارية القاسية التي تملي على القضاة ما يفعلون.

ومن الشهادات المهمة التي نذكرها في هذا المقام رسالة الشيخ محمد عبد الله الخرسي العلوي الشنقيطي من دكار، التي بعث بها للشيخ أحمد مصطفى يسأله عن حاله وحال أصحابه ويشهد له بالعلم والورع.

وفي الأخير ننوّه إلى أن جهد الشيخ أحمد مصطفى لم يكن فرديا طيلة حياته بل كان عمله جماعيا فكل أطياف المجتمع في تلك الفترة أعانته على تصديه للمحتل ومقاومته للجهل والأمية، وعليه فالأهالي في ورقلة وغيرها من المناطق عملوا

كأمة واحدة انطلاقا من حسهم الجماعي وإيمانهم بمصيرهم المشترك، فواجهوا المحتل بكل الأساليب.

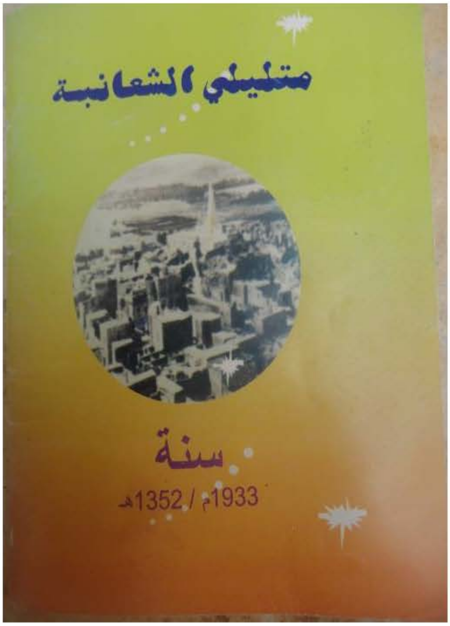
2- الحاج أحمد مصطفى الشاعر الفقيه:

من خلال حياة الشيخ المليئة بالعلم والمعارف خصوصا الدينية منها فقد برع في ميدانه، فكان له باع قوي في الفقه المالكي، كما كتب في الشعر قصائد كثيرة أغلبها في موضوعات دينية أو حماسية، أو وصف للأوضاع التي عاشها المجتمع الجزائري، وذلك بأسلوب ينتمي إلى مرحلته التقليدية المحافظة، فالشعراء في زمنه لم يختلفوا عن شعراء الاحياء في المشرق العربي، الذين قاموا بإحياء التراث الشعري القديم – من الشعر الجاهلي إلى العباسي- معتقدين أن مستوى الشعر في تلك العصور كان رفيعا ويجب محاكاته والاقتداء به في كل شيء، مسقطين بذلك المرحلة التي تفصلهم عن تلك العصور، حيث اعتبروها مرحلة انحطاط شعري، وسعوا إلى ترسيخ قواعد النص القديم بمختلف مقوّمات بنيته، بهذا لم يكن للتقليدية سلالة شعرية حديثة تتكأ عليها[1]. والشاعر أحمد مصطفى لم يختلف عن تصوّر الاتجاه الإحيائي سواء على مستوى المضمون أو البناء اللغوي، فوظف كل مكتسباته الدينية ومواهبه في فن الشعر لتقديم نص شعري إرشادي، ولعل اعتماده على فن الشعر لما له من منزلة وقوة تأثير في نفوس الشباب، لهذا فقد وظفه الشيخ أحسن توظيف لتقديم نصائحه ومجابهته لأساليب المحتل، كما حفظ بشعره عدة وقائع تاريخية مهمة في حياة المنطقة والجزائر والعالم بأسره، كما قدّم لنا رؤية الإنسان الجزائري لمختلف الأوضاع المحيطة به في تلك الفترة. وعبر هذه المداخلة نحاول تتبع أحد قصائد الشيخ بالقراءة والتحليل بعد إثبات نسبها إليه وتحقيقها.

3- عرض عام للقصائد التي تركها الحاج أحمد مصطفى:

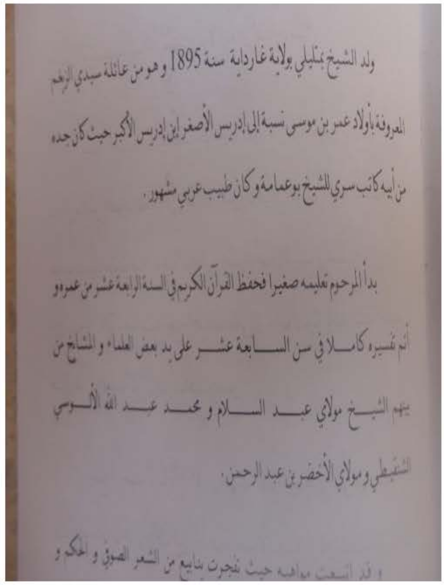
ترك الحاج أحمد مصطفى إضافة لآرائه ومواعظه في توجيه الشباب ضد التنصير والبعد عن الدين، عدة قصائد في موضوعات مختلفة أهمها الوعظ

والإرشاد بحكم وظيفته الدينية، كما دعا في قصائده إلى الثورة ضد المحتل، كما وصف فظائعه ودول الحلف، وبين أيدينا ديوان للشيخ مرقون يحمل خمس قصائد طوال مع تقديم وبعض التعليقات لمعارف الشيخ وأحفاده، والكتاب يحمل 50 صفحة من الحجم المتوسط، وهو من دون طبعة ولا دار نشر، فهو جهد فردي لابن الحاج أحمد مصطفى وهو عبد العزيز المولود سنة 1941م بمتليلي، وقد جمع الابن عددا من قصائد والده وكتب بعضه بخط يده، ومن خلال هذه الدراسة سنركّز على أحد قصائد هذا الديوان المرقون، وهي قصيدة "أبكي على الذنب" وتبدأ من الصفحة 29 في الديوان المروقون، ويعود اختيارنا لهذه القصيدة بالتحديد لأننا وجدنا نسخة أخرى منها كُتبت بخط اليد لتكون أصلا وهي قريبة من **المخطوط الأم**[2] كما يمكننا اعتبارها في أحد المراتب المتقدّمة من حيث الصحة فالشاعر أملاها[3] وكتبها ابنه الذي اعتمدنا عليه لنحقق القصيدة ونبيّن مدى صلتها بصاحبها والتاريخ الذي كُتبت فيه. وفيما يلي نقدّم صورة عن الكتاب المرقون:



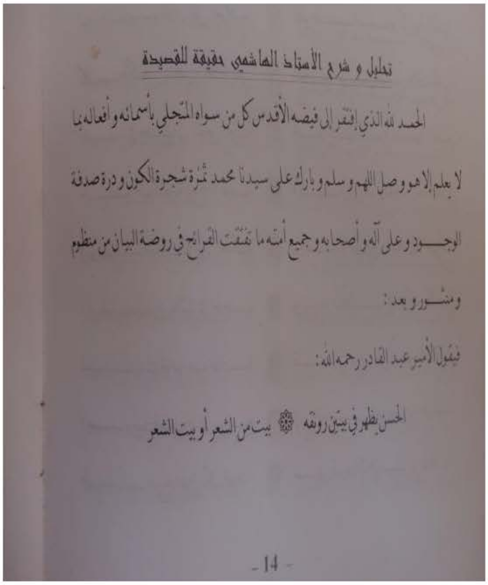


- من صفحات الكتاب المرقون:


ولد الشيخ بمليلي بولاية غارداية سنة 1895 و هو من عائلة سيدي الزعيم المعروفة بأولاد عمر بن موسى نسبة إلى إدريس الأصغر ابن إدريس الأكبر حيث كان جده من أبيه كاتب سري للشيخ بوعمامة و كان طبيب عربي مشهور.

بدأ المرحوم تعليمه صغيرا فحفظ القرآن الكريم في السنة الرابعة عشر من عمره و أتم تفسيره كاملا في سن السابعة عشر على يد بعض العلماء و المشايخ من بينهم الشيخ مولاي عبد السلام و محمد عبد الله الألوسي الشنقيطي و مولاي الأخضر بن عبد الرحمن.

و قد انبعثت مواهبه حيث تفجرت ينابيع من الشعر الصوفي و الحكم و


تحليل و شرح الأستاذ الهاشمي حقيقة للقصيدة

الحمد لله الذي إفتقر إلى فيضه الأقدس كل من سواه المتجلي بأسمائه و أفعاله بما لا يعلم إلا هو و صل اللهم و سلم و بارك على سيدنا محمد ثمرة شجرة الكون و درة صدفة الوجود و على آله و أصحابه و جميع أمته ما تفتقت القرائح في روضة البيان من منظوم و منثور و بعد:

فيقول الأمير عبد القادر رحمه الله:

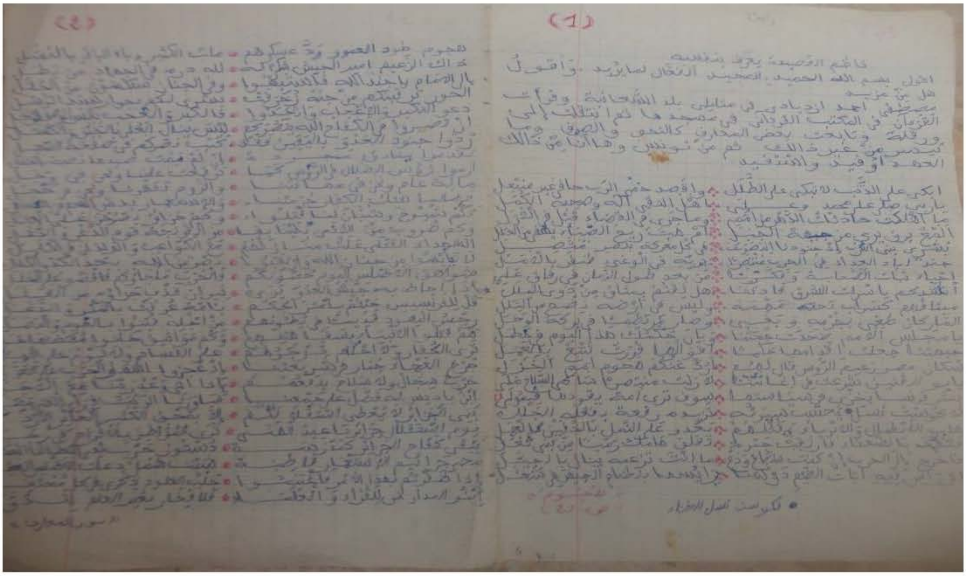
الحسن يظهر في بيتين رونقه ۞ بيت من الشعر أو بيت الشعر

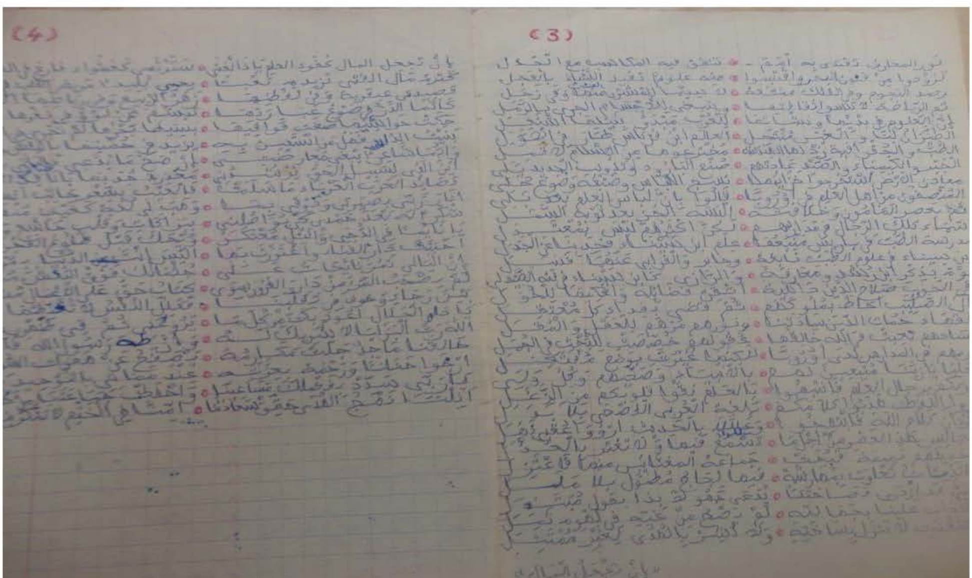
- 14 -

4- قصيدة أبكي على الذنب:

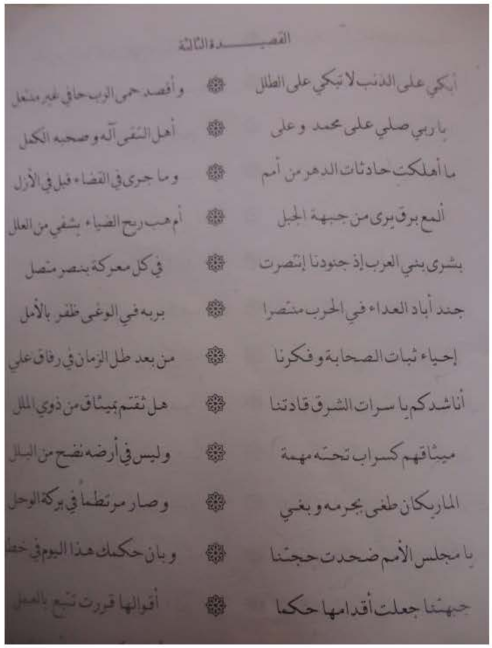
هذه القصيدة الثالثة في الديوان المرقون وقمنا بعنونتها بصدر البيت الأول، لأننا لم نجد عنوانا لها في الديوان ولا المخطوط، فقد اكتفى الراقن بوضع ترتيب للقصيدة وسماها "القصيدة الثالثة". وفي ما يلي نقدّم القصيدة في شكليها في الديوان والمخطوط.

- **عرض المدوّنة المخطوطة:**

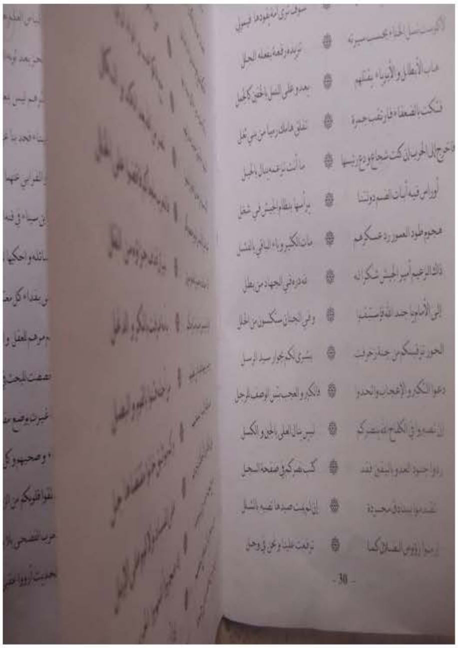




- القصيدة بنسختها المرقونة:

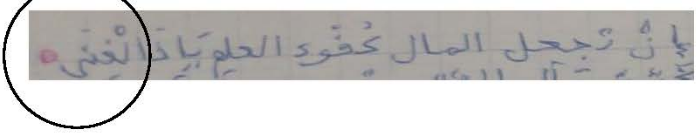

القصيدة الثالثة

أبكي على الذئب لا تبكي على الطلل *** وأقصد حمى الوب حافي غير منتعل
يا ربي صلي على محمد وعلى *** أهل التقى آله وصحبه الكمل
ما أهلكت حادثات الدهر من أمم *** وما جرى في القضاء قبل في الأزل
ألمع برق يرى من جبهة الجبل *** أم هب ريح الضياء يشفي من العلل
بشرى بني العرب إذ جنودنا إنتصرت *** في كل معركة بنصر متصل
جند أباد العداء في الحرب منتصرا *** بربه في الوغى ظفر بالأمل
إحياء ثبات الصحابة وفكرنا *** من بعد طل الزمان في رفاق علي
أناشدكم يا سرات الشرق قادتنا *** هل تقتم بميثاق من ذوي الملل
ميثاقهم كسراب تحته مهمة *** وليس في أرضه نضح من البلل
الماريكان طغى بجرمه وبغي *** وصار مرتطما في بركة الوحل
يا مجلس الأمم ضحدت حجتنا *** وبان حكمك هذا اليوم في خط
جبهتنا جعلت أقدامها حكما *** أقوالها قورت تبع بالعمل



بعد التدقيق في القصيدة وقراءتها في المخطوط بتمعّن والحذر من تشابه خطها المائل إلى الخط المغربي، ومحاولة الابتعاد عن الانطلاق الخاطئ فالخطأ لا ينتج إلا خطأ[4] كما يرى شيخ المحققين عبد السلام محمد هارون، لهذا تتبعت أهم أسطرها والحروف المتشابهة خصوصا الغين والفاء وتعد هذه الأحرف الأكثر عرضة للخلط والتداخل[5]، وعبر تتبعنا لأغلب الأبيات نجد فعلا تداخلا بين الحرفين الفاء والغين والخطأ يظهر بجلاء بين النسخة المخطوطة والمرقونة ومن عينات ذلك نذكر البيت:

إن تجعل المال كفوء العلم يا ذا **الفتى** *** سترتمي كعشواء فارغ في الهمل



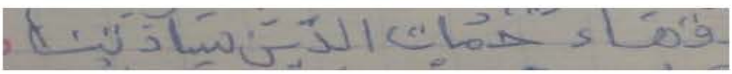
والصحيح "الغنى" فاختلط على الراقن بين حرفي الفاء والغين، وزاد النقطة على النون.

وصف المخطوط:

انطلاقا مما تقدّم نلاحظ أن القصيدة مشكّلة في المخطوط من أربع صفحات من الحجم الكبير 21×30 سم أما في الديوان المرقون فجاءت في سبع صفحات من حجم 15×21 سم. وما يهمنا أكثر في هذا المقام المخطوط باليد، أما المرقون فتتم مقارنته وملاحظة الاختلافات فقط. كما نشير إلى أن المخطوط لم يتم نشره من قبل فقد عمدنا إلى البحث في بعض المصادر كما سمعنا من ابن الشيخ الذي أفادنا بأنه لم ينشر أحد قبلنا هذا المخطوط. وأمر أسبقية النشر يعد من محاذير هذا العلم[6]، لهذا فقد تحرينا أمره قبل العمل، وفيما يلي سأقدّم وصفا ماديا لحالة المخطوط، ثم الانطلاق في نقل لغته وتدقيقها.

- **حالة المخطوط:**

المخطوط بحالة جيّدة خصوصا أنه كتب على ورق حديث نسبيا يعود للثمانينات من القرن الماضي، كما أن الحبر الأزرق والأحمر الذي كتب به حديث مما حافظ على بهائه ونظارته، وانطلاقا من حالتها ومقارنتها بالنسخة المرقونة لم نجد اختلافات تُذكر، إلا في بعض الكلمات التي وقع فيها تحريف، ككلمة حماة التي كُتبت بالتاء المفتوحة



أو خطأ في النقل وقلبه للحروف ككلمة **دحضت** التي كتبها **ضحدت** في البيت:

يامجلس الأمم **ضحدت** حجتنا *** وبان حكمك هذا اليوم في خطل

كما نجده في مواضع يزيد المرقون ما هو غير موجود في المخطوط ككلمة رئيسها في قوله :

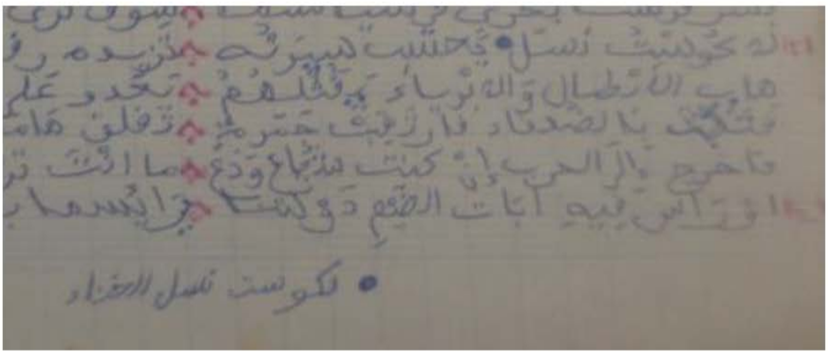
فاخرج إلى الحرب إن كنت شجاع ودع **رئيسها** *** ما أنت تزعمه ينال بالحيل

فكلمة رئيسها غير موجودة في المخطوط وزيدت في المرقون، كما يظهر الخطأ رفع خبر كان شجاع والأصح "شجاعا".


فاخرج إلى الحرب إن كنت شجاع ودع رئيسها ما أنت تزعمه ينال بالحيل



وفي بعض الأحيان سقطت كلمات من المخطوط وتمت الإشارة لها في الحاشية السفلية ومنها كلمة "الخناء" في البيت السادس عشر بعد "لاكوست نسل"



كما نجد عدة أخطاء نحوية وتركيبية في بعض الأبيات كرفع المنصوب أو العكس، ومن ذلك الحال في كلمة "حافي" فجاءت مرفوعة في القصيدة، كذلك فعل الأمر المجزوم بحذف حرف العلة في البيت الثاني :

يا ربي صلي على محمد وعلى ***أهل التقى آله وصحبه الكمل

والصحيح "صل" وتأتي هذه الأخطاء وغيرها بسبب الشفهية في النقل فالابن الخطاط يكتب ما يسمع لهذا نجده يضيف أحيانا حروف العلة وأحيانا أخرى يضع الهمزة على النبرة وتحتها نقاط الياء كما في قوله "قصائد العرب" ووضع نقاط الياء تحت النبرة وهذا يعود للثقافة الدينية المرتبطة بالمسجد والكتاتيب فأغلبهم يكتبون بذات الصفة.

وفيما يلي نقدّم بعضا من الأخطاء بين النسخة المخطوطة والمرمقونة:

إلى الأمام يا جند الله فاستبقوا *** وفي الجنان **ستكتسون** من الحلل (ستكسون)

مائة عام ونحن في **مهانتها** *** والروم تقهرنا ونحن في خجل (مهانتنا)

لا تيأسوا من حنان الله وارتقبوا *** **نصر** من الله بعد الكد والكلل (نصرا)

إن تجعل المال كفوء العلم يا ذا **الفتى***** سترتمي كعشواء فارغ في الهمل (الغنى)

حكت حواشيها صغت قوافيها ***بسيطا بحرها لم تجري في الوشل (بسيط- تجر) في المخطوط

أرجوا حنانا ورحمة بعزته*** عند مماتي بالتوحيد يختم لي (أرجو) في المخطوط

كما نشير إلى أن النص المخطوط جاء زائدا ببيت شعري فقد بلغ 102 بيتا بينما النسخة المرقونة فيها 100 وبيت واحد، والبيت الزائد هو:

إن البالي تمر نائحات على * جثمانك فوق النعش محتمل**

وهو مواصلة لمواعظ الشيخ ونصائحه في آخر القصيدة التي تعد من المطولات وهي طبيعة النص التقليدي والإحيائي بشكل عام، فتعبر عن تمسّك الشاعر برؤية فيها قداسة للماضي، ودلالة على الرغبة في العودة إلى الأصل، كما تُمكّن الإطالة من تحقيق وظيفة النص التواصلية، فالعرب تطيل ليُسمع منها[7]. والشاعر استغل ذلك لتوجيه خطابة للجيل الجديد وحثه على العلم والمعرفة ونبذه للأخلاق السيئة وساعده على ذلك إطالته وانتقاله من موضوع لآخر.

وانطلاقا من العدد الكبير لأبيات القصيدة نكتفي بما قدّمنا من نماذج فيها خطأ في المخطوط وذلك تماشيا والحجم النصي المتاح في هذه الورقة البحثية، وفيما يلي نعرض جزء من القصيدة بعد تصحيحه، ومنه تتم عملية القراءة.

- عرض جزء من القصيدة بعد التصحيح والتدقيق:

لقد قمت بترقيم الأبيات الشعرية ليسهل التعامل معها وفق قواعد التحقيق[8]، ولتتم مقارنتها بين المخطوط والمرقون في النسخة الثانية.

يبدأ المخطوط بالبسملة والحمد ثم التعريف بصاحب القصيدة وذكر جزء من حياته ثم تنطلق أبياتها، وفي النسخة المرقونة تمت عنونتها بـ "القصيدة الثالثة" وهو عنوان ترتيبي وضعه ابن الشيخ ليرقم قصائد والده. والقصيدة كما في المخطوط كالتالي:

1- ابكي على الذنب لا تبكي على الطلل *** و أقصد حمى الرب حافيا غير منتعل

2- يا ربي صل على محمد وعلى ***أهل التقى آله وصحبه الكمل

3- ما أهلكت حادثات الدهر من أمم*** وما جرى في القضاء قبل في الأزل

4- ألمْع برق يرى من جبهة الجبل *** أم هبّ ريح الضياء يشفي من العلل

5- بشرى بني العرب إذ جنودنا انتصرت *** في كل معركه بنصر متّصل

6- جند أباد العداء في الحرب منتصرا *** بربه في الوغى ظفر بالأمل

7- إحياء ثبات الصحابة وفكرنا*** من بعد طول الزمان في رفاق علي

8- أناشدكم يا سرات الشرق قادتنا *** هل تقتم بميثاق من ذوي الملل

9- ميثاقكم كسراب تحته مهمه *** وليس في أرضه نضح من البلل

10-الماريكان طغى بجرمه وبغى *** وصار مرتطما في بركة الوحل

11-يا مجلس الأمم دحضت حجتنا *** وبان حكمك هذا اليوم في خطل

12-جبهتنا جعلت أقدامها حكما *** أقوالها قررت تتبع بالعمل

13-سكان مصر زعيم الروس قال لهم *** أرد عنكم هجوم أمم الخزل

14-يا بو القنين شرعت في إغاثتنا *** لازلت منتصرا شاكي السلاح ملي

15-بشر فرنسا بخزي في سياستها *** سوف ترى أمة يقودها فيمولي

16-لاكوست نسل الخناء يحسب سيرته *** تزيده رفعة بفعله الجلل

17-هاب الأبطال والأبرياء يقتلهم *** يعدو على النمل بالخفين كالجمل

18-فتكت بالضعفاء فارتقب جمرة *** تفلق هامك رميا من بني ثغل

19-فاخرج إلى الحرب إن كنت شجاعا ودع *** ما أنت تزعمه ينال بالحيل

20-أوراس فيه أبات الضم دولتنا *** يرأسها بنظام الجيش في شغل

21- هجوم طود العمور رد عسكرهم *** مات الكثير وباء الباقي بالفشل

22-ذاك الزعيم أمير الجيش شكرا له *** لله دره في الجهاد من بطل

23-إلى الأمام يا جند الله فاستبقوا *** وفي الجنان ستكسون من الحلل

24-الحور ترقبنكم من جنة زخرفت *** بشرى لكم بجوار سيد الرسل

25-دعوا التكبر والإعجاب واتحدوا *** فالكبر والعجب بئس الوصف للرجل

26-إن تصبروا في الكفاح الله ينصركم *** ليس ينال العلى بالجبن والكسل

27-ردوا جنود العدو باليقين فقد *** كتب نصركم في صفحة السجل

28-تقدموا ببنادق مجردة *** إن لم يمت صيدها تصبه بالشلل

29-ارموا رؤوس الضلال كما *** ترفعت علينا ونحن في وجل

30-مائة عام ونحن في مهانتنا *** والروم تقهرنا ونحن في خجل

31-فطالما هتك الكفار حرمتنا *** والاستعمار يدس السم في العسل

32-فكم شيوخ وشبان لنا قتلوا *** وكم حرائر يصرخن على العيل

33-وكم ضروب من الأذى بلينا بها *** من الفرنجه قوم الدغر والدغل

34-الشهداء القتلى علت منازلهم *** مع الكواعب والولدان في الكلل

35-لا تيأسوا من حنان الله وارتقبوا *** نصرا من الله بعد الكد والكلل

36-شواهق الأطلس اليوم حصونكم *** فالحرب ملجأكم فاقضوا على الخلل

37-إذا أحاط به جيش العدو يرى *** نيران قذف جزاؤه من القلل

38-قل للفرنسين خبتم بامتزاجكم *** بأمة عرفت بالمكر والدغل

39-رجس اليهود قديما في بطونهم *** من أجله فتنوا بالفوم والبصل

40-هم قتلوا الأنبياء بسفاهتهم*** وكم مواثيق خانوا مقتضاها جل

41-ترى الكفار ولا أحكام تزجرهم ***** على الفساد ولا لوم على الإبل

42-جرح العجماء جبار في شريعتنا *** إذا عجزوا أشهروا الحرب على العزل

43-حرب سجال ولا سلاح يدفعهم **** إذا أتى وعد ربنا مع الأجل

44-ابن باديس له فضل على جمعنا *** ساورنا الريب في رأي الفتى مصل

45-بني الجزائر لا يعطى استقلالكم *** إلا بمحق الكثير الخائن الأرذل

46-يوم استقلال جزائرنا عيد الهنى *** ترى المواطن بالأفراح في زجل

47-يبقى كفاح الجزائر كمدرسه *** دستور حرب لدى أبطالنا البسل

48-محى جراثيم الاستعمار قاطبة *** شتت شمل دعاة الأطلس الفشل

49-إذا ظفرتم بهذا الأمر فاغتنموا *** جلب العلوم ذكرى في كل محتفل

- **قراءة في القصيدة:**

القصيدة مزيج من الموضوعات تنطلق تقليدية من إشارتها للطلل ثم الثناء على الدين والصلاة على النبي وهي عادة أغلب القصائد التراثية في ذلك العهد، وهنا تظهر ثقافة الشاعر الدينية الخالصة خصوصا عبر تناصه مع القرآن والحديث النبوي الشريف، كما وظف المعجم الديني بشكل عام :

يا ربي صل على محمد وعلى ***أهل التقى آله وصحبه الكمل

ثم تنطلق القصيدة في ذكر مجموعة من الأحداث التاريخية العربية والعالمية كقرارات مجلس الأمم المتحدة وغيرها،وتبدأ في تعداد فظائع الاحتلال ووصف بطولات الجزائريين، وتستمر في تعداد مكارم العلم والدين إلى أن تختم بجملة من النصائح والحكم. وانطلاقا من الأحداث المختلفة التي أشارت لها القصيدة يبدو أنها كتبت وفق احتمالين:

- الأول أن الشيخ نظمها عبر فترات مختلفة لأنه عبّر عن أحداث في أوقات متباعدة ونلمس نوعا من التجربة والحرقة في تعبيره مما يدل على معايشته الشخصية للحدث.

- أما الاحتمال الثاني هو أنه نظمها معا بعد الاستقلال، بعدما جرّب وعانا مع الشعب الجزائري فجاء نصه تلخيصا لتاريخ مرير عاشه الشعب الجزائري.

ونرجّح أنه نظم أغلبها بعد الاستقلال إلا بعضا منها وذلك لوجود قرينة لغوية تدل على أن الاستقلال لم يتحقق بعد أثناء قول القصيدة والبيت يحمل شرطا:

إذا ظفرتم بهذا الأمر فاغتنموا *** جلب العلوم ذكرى في كل محتفل

فيظهر بوضوح شرط الاستقلال مما يدل أن الجزائر ما زالت تحت نير المحتل في تلك الفترة.

- **أهم موضوعات القصيدة:**

يمكننا تقديم أهم موضوعات هذا النص حسب الأفكار التي انتقل بينها الشاعر ونلخصها فيما يلي:

1 – الأبيات السبعة الأولى هي عبارة عن مدخل وتمهيد للقصيدة حيث انطلق كما يفعل الشعراء القدامى من البكاء ولكن على الذنب لا على الطلل:

ابكي على الذنب لا تبكي على الطلل *** و أقصد حمى الرب حافي غير منتعل

وهذا يعكس الثقافة الدينية للشاعر كما يذكرنا ببعض شعراء العصر العباسي الذين رفضوا النسق القديم في بناء القصيدة وتمرّدوا على المطلع الطللي كأبي نواس:

عاج الشقي على دار يسائلها*** وعجت أسأل عن خمارة البلد[9]

ولكن بحكم تديّن الشاعر فقد رفض النسق القديم واستبدله حسب مرجعيّته الدينية، ثم يستمر في تكريس الرؤية الدينية عبر توظيفه لعدة عبارات وألفاظ من القرآن والحديث "التقى، الذنب، حمى الرب..." بهذا يظهر الموضوع الديني بجلاء في مطلع هذه القصيدة، والأمر لا نعتبره ظاهرة أسلوبية مميزة إذا ما اطلعنا على القصائد الأخرى لذات الشاعر أو من عاصره، فالجميع ينطلق تلك الانطلاقة، ولعل ذلك من باب التقليد أو من باب الحصول على مصداقية المتلقين، خصوصا أن المجتمع في ذلك العهد متمسك بالقيم والتعاليم الدينية رغم بساطته وأمية أغلبه، لهذا فتوظيف الدين في مقدمة القصائد يجلب الجمهور ويؤثر فيه، بهذا عملت هذه التيمة على الإشهار، فكانت عتبة مهمة لتقديم ما سيأتي.

2- انطلاقا من البيت الثامن إلى الرابع عشر يبدأ الشاعر في تقديم جملة من الأحداث التاريخية التي عاصرها كميثاق الأمم المتحدة أو ربما يقصد عصبة الأمم التي كانت قبل الحرب العالمية الثانية:

يا مجلس الأمم دحضت حجتنا *** وبان حكمك هذا اليوم في خطل

كما يشير إلى اجتماعات العرب ووثوقهم بالغرب:

أناشدكم يا سرات الشرق قادتنا *** هل ثقتم بميثاق من ذوي الملل

ثم يصف الولايات المتحدة الأمريكية ويوظف في وصفه كلمة عامية متداولة وهي **الماركان** ولعل وقعها يكون أكبر على الجمهور من استخدامها فصيحة:

الماريكان طغى بجرمه وبغى *** وصار مرتطما في بركة الوحل

كما يشير في بيته، إلى العدوان الثلاثي على مصر وكيف ساهم الاتحاد السوفياتي في رده:

سكان مصر زعيم الروس قال لهم *** أرد عنكم هجوم أمم الخزل

ويبدو من مختلف الأبيات التي تصف الأحداث التاريخية أنها دخلت في الخطابية ولغة السرد وابتعدت عن الشعرية، وهو أمر بديهي لشاعر يكتب لفترات زمنية متباعدة كما يحاول شرح التفاصيل شعرا، ولعله بذلك يحاول تسجيل التاريخ نظما ليُحفظ.

3- ينتقل من بعض الأحداث التاريخية العربية والعالمية إلى فرنسا وثورة الجزائر، فيصف المحتلين بأسمائهم، كما يفخر بالثوار، وهذا بعد البيت الخامس عشر:

15- بشر فرنسا بخزي في سياستها *** سوف ترى أمة يقودها فيمولي

16- لاكوست نسل الخناء يحسب سيرته *** تزيده رفعة بفعله الجلل

ويستمر الشاعر في تعداد مناقب الجزائريين وفظائع المحتل الفرنسي، كما يشير لعلاقة المحتل باليهود ومكرهم، ولعل ذلك الحكم انطلاقا من البعْد السلبي للشخصية اليهودية في الموروث الثقافي والشعبي لأهل المنطقة:

38- قل للفرنسين خبتم بامتزاجكم *** بأمة عرفت بالمكر والدغل

39- رجس اليهود قديما في بطونهم *** من أجله فتنوا بالفوم والبصل

40- هم قتلوا الأنبياء بسفاهتهم*** وكم مواثيق خانوا مقتضاها جل

ويستمر في تعداد جرائم المحتل إلى أن يصل إلى ذكر علماء الجزائر وعلى رأسهم ابن باديس ثم فرحة الاستقلال:

44- ابن باديس له فضل على جمعنا *** ساورنا الريب في رأي الفتى مصل

45- بني الجزائر لا يعطى استقلالكم *** إلا بمحق الكثير الخائن الأرذل

46- يوم استقلال جزائرنا عيد الهنى *** ترى المواطن بالأفراح في زجل

4-ينطلق بعد كلامه عن الاستقلال في جملة من النصائح للأمة والجيل الصاعد فيحثهم على طلب العلم والمعارف والتزوّد من كل العلوم:

تزوّدوا من فنون البحر واقتبسوا***منه علوم تفيد النشئ بالعجل

رصد النجوم وفي الفلك منفعة***لا سيما المشتري منها وفي زحل

5- كما يشير لعدة منجزات إسلامية في مجالات المعرفة وفضل العرب على الغرب، وبذلك يبين رؤية العربي، في ذلك العهد، وهو المعتز بتراثه وتاريخه المجيد وأسبقيّته على الآخر:

إن العلوم في بدئها ونشأتها*** للعرب مبدأ بنيلها اشتغل

الطيران لنا والغير منتحل*** العالم ابن فرناس طار في الأول

6- ثم يواصل نصائحه للشباب لتجنب مجالس السوء والنميمة ويحثهم على الفضيلة:

تخيّروا اللفظ هذبوا كلامكم ***بلغة العرب الفصحى بلا بدل

....

تخلّ مجالس هذا العصر من أجل ما*** تسمع فيها ولا تغترّ بالعذل

7- كما يشير في آخر قصيدته لنظمها والبحر الذي جاءت عليه، وهي عادة المطوّلات من القصائد المنظومة:

قصيدتي عبقرية وفي لفظها*** زهر الربيع وفي رياضها انتقل

...

حكتُ حواشيها صغت قوافيها ***بسيط بحرها لم تجر في الوشل

8- وفي الأخير ينهيها بالثناء على الله عز وجل وطلب العفو والصفح، وهذا أيضا حسن الختام بالنسبة لقصائد تلك الفترة، فتبدأ بالتوجه الديني الخالص وبه تنتهي:

أرجو حنانا ورحمة بعزته*** عند مماتي بالتوحيد يختم لي

يا رب سدد بفضلك مساعينا***واحفظ جماعتنا من طرق الزلل

بهذا يظهر البعد الديني للقصيدة وطبيعتها الإرشادية فهي مملوءة بالوعظ، وهذا ما جعلها فنيا بسيطة وسطحية، لدخول الخطابية عليها. فالشاعر يفقد تعالقه بنصه فتهتز التجربة كلما مضى في التوجيه أو سرد الأحداث التاريخية. وهذا ليس عيبا في تأليف تلك الفترة فالشعراء قدّموا ما استطاعوا في ظروف لم تسمح لهم بأكثر مما قدّموا، للنهوض بالشعر، والوصول به إلى مستوياته الراقية التي بلغها ذات يوم على أيدي كبار الشعراء القدامى[10]، وتعد محاولة الشاعر أحمد مصطفى من نهج ما قدّمه أعلام الشعر الجزائري التقليدي في تلك الفترة أمثال محمد العيد آل خليفة وعبد الحميد بن باديس وغيرهما.

-الاقتراب من بناء القصيدة:

نحاول في هذا العنصر الاقتراب أكثر من بناء هذه القصيدة الطويلة عبر تتبّع أهم بنياتها اللغوية وأهم المظاهر الأسلوبية البارزة والظاهرة للمتلقي، كما نشير إلى أن الدراسة هدفها التعريف بالنص وصاحبه أما الجوانب اللغوية البنائية وتحليلها فمن باب التعرّف على بعض المظاهر اللغوية في مستويات البناء المختلفة من الصوتي إلى التركيبي النحوي والبلاغي:

1- المستوى الصوتي والصرفي:

سنتعرض فيه إلى نوعين من الموسيقى؛ الداخلية التي نقوم فيها بتقطيع القصيدة حسب تقطيع مارتينيه[11] المزدوج، أي إلى فونيمات ومورفيمات، أما النوع الثاني من الموسيقى فهو الموسيقى الخارجية التي سنحدد فيها وزن القصيدة.

فأما الموسيقى الداخلية فنجد فيها الأصوات الأكثر حضورا في القصيدة وهي المجهور والشديد وهو أمر منطقي إذا عدنا لأهم أغراض القصيدة وهي الوعظ والإرشاد والثورة ضد المحتل والمبشرين وهذا يتطلّب شدة وجهر في القول، ومن الكلمات الحاملة لهذه الأصوات نذكر "شجاع، الرجل، العجماء، بطل...". أما مورفيمات القصيدة فنجد الأسماء منها تطغى على عدة أبيات ويعود ذلك لكثرة الوصف وقلّة الحدث الفعلي، "الطيران لنا... الطب والجغرافيا... الجبر والكيمياء... معادن الأرض... مدرسة الطب..." وغيرها من النماذج التي يطغى عليها الحضور الاسمي الذي جعل من النص أكثر سكونا لعدم ارتباطه بالزمن والتحوّل، وفي ذلك يقل الفعل ويدل الحدث على الاستقرار وهو ما أراده الشاعر من إثبات العلم وأصوله للعرب وفضلهم على باقي الأمم. كما نجده يوظف أسماء الأعلام وهذا ما زاد الحضور الاسمي قوة "ابن باديس.. ابن فرناس.. ابن سينا.. صلاح الدين.. لاكوست..". وقد أثرت كثرة الأسماء على فنية القصيدة التي صرّحت في الكثير من مقاطعها وابتعدت عن الشعر، فكانت مجرّد نظم لحقائق تاريخية في قالب عروضي. ففقد توظيف الأسماء بعْده الرمزي والسيميائي لكونه جاء مباشرا دون إيحاء. أما حضور الأفعال فنجده في اللحظات الأكثر نشاطا في القصيدة خصوصا في حالات الغضب والثورة التي تتبعها الحركة والنشاط "فتكت

بالضعفاء... فاخرج للحرب....لا يعطى استقلالكم...يبقى كفاح الجزائر..." فيظهر الاضـــطراب والحركة في توظيف الفعل الذي قدّم حدثا وزمنا حرّكا النص. كما نســـجّل في الأفعـال ظـاهرة توظيف الأمر والنهي "دعوا... ردوا...تقدّموا... ارموا... لا تيأسـوا... " وهذا يتماشـى والطابع الإرشـادي التعليمي والتوجيهي في القصيدة، فهو يتطلب الأمر والنهي.

أما عموم معجم القصـــيدة فهو معجم ديني تاريخي ســـواء على مســـتوى أســـماء الأعلام أو الألفاظ الأخرى ومن ذلك "التقى، الصـــحابة، حادثات الدهر، حمى الرب، رجس اليهود، الرازي ، الفارابي..." وهذا عمّق الاتجاه التعليمي في هذه القصيدة التي تحوّلت إلى درس في التاريخ والنصائح منظومة في قالب شعري.

أما مستوى الموسيقى الخارجية للقصيدة فنبحث فيه عن بحرها وأهم ما اعتراه من زحافات ومنها نختار البيت الأول:

ابكي على الذنب لا تبكي على الطلل *** واقصد حمى الرب حافي غير منتعل

اه اه ااه اه ااه اه اه ااه اااه*** اه اه ااه اه ااه اه اه ااه اااه

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن *** مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن

(الصحيح في حافي هو – حافيا- لكن يسبب كسرا عروضيا)

من خلال الوزن يظهر البحر البسيط بوضوح ، وهو ما صرّح به الشاعر في أحد أبياته:

حكت ُحواشيها صغت قوافيها ***بسيط بحرها لم تجر في الوشل

وعبر تتبع مختلف أبيات القصيدة نجد الكثير من الكسر العروضي في طياتها ويعود ذلك لعدة أسباب منها سوء النقل الشفاهي، وأحيانا توظيف بعض الكلمات العامية أو أسماء الأعلام الأعاجم "الاكوست، فيمولي.." وهذا أدى إلى اضطراب الوزن، ومن الأبيات التي ظهر الاضطراب فيها بشكل واضح نذكر:

لا كوست نسل الخناء يحسب سيرته***تزيده رفعة بفعله الجلل

اه اه اه اه اه ااه اه ااه اااه اه ااه *** ااه اه ااه اه ااه ااه اااه

يظهر بجلاء تكسر الوزن خصوصا لما ارتبط بالاسم الأعجمي، وهذا نجده بكثرة في معظم الأبيات الحاملة لتلك الألفاظ، كما يظهر من خلال قراءتنا المتكررة للنص أنه تم تقديمه مشافهة في أغلب مراحله فالكثير من الألفاظ أثّر نطقها على الكتابة فتوهّم الكاتب أو الشاعر بأنها تنطق وفق تقطيع صوتي معيّن ليستقيم وزنه، لكنه أخطأ التقدير وأثرت على الوزن وكسرته في مواضع لا يصح فيها الزحاف ولا العلة. لكن يظل أغلب النص محافظا على وزنه رغم انتشار الزحافات والعلل بشكل ملفت، وهذا راجع لطبيعة التأليف في زمن الشاعر والانتقال الشفهي للنص مما أثر على الكثير من الألفاظ.

2- المستوى التركيبي:

من خلال أبيات القصيدة يظهر سيطرة الجمل الاسمية على المشهد وهي ما يناسب عملية الوصف بشكل عام خصوصا أن الأبيات أتت على عدة أحداث تاريخية مهمة في تاريخ الجزائر والعرب:

13- سكان مصر زعيم الروس قال لهم *** أرد عنكم هجوم أمم الخزل

أما الجمل الفعلية فنجدها في مواضع الحركة والتحوّل الفعلي والزمني وفيها اضطراب وفعل، كقوله مخاطبا لاكوست العدو:

19- فاخرج إلى الحرب إن كنت شجاعا ودع *** ما أنت تزعمه ينال بالحيل

أما على مستوى التصوير البلاغي فنجد أغلب صور القصيدة تقليدية فلم تخرج من التشبيه وبعض الاستعارات والكناية كقوله:

30- مائة عام ونحن في مهانتنا *** والروم تقهرنا ونحن في خجل

أو قوله في التشبيه السطحي المباشر:

47- يبقى كفاح الجزائر كمدرسه *** دستور حرب لدى أبطالنا البسل

وفي عموم القصيدة لم يستخدم الترميز ولا الصور البيانية الأكثر تعقيدا ربما ذلك راجع لطبيعة المتلقين في ذلك العهد والهدف من وراء القصيدة هو الإرشاد والوعظ أكثر منه الجانب الفني التصويري، وعبر هذه الوظيفة التبليغية للُغة القصيدة فقد جاءت صورها قريبة ومباشرة ولا تتطلب كثيرا من إعمال الفكر.

في آخر تتبعنا لبعض جوانب البناء اللغوي لهذا النص يبقى ما قدّمناه مجرّد إضاءة بسيطة لمجاهيل هذه القصيدة التي تحمل الكثير بَعْد لتقوله للمتلقي العربي والجزائري على وجه الخصوص، ونظرا للمساحة المتاحة في هذه الدراسة أوقفنا رحلة البحث والتتبع لأهم المظاهر البنائية اللغوية لهذا النص راجين أن نتمكن من تقديم المزيد حوله وباقي المخطوط في دراسات لاحقة إن شاء الله.

الإحالات:

* في التعريف بالشيخ تم الاعتماد على رواية ولده عبد العزيز، ومقال منشور بجريدة الشعب العدد11/في13 أفريل 1986م. الملحق الثقافي.

[1] ينظر، محمد بنيس، الحق في الشعر، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب ، ط7، 2001، ص68.

[2] ينظر، إياد خالد الطباع، منهج تحقيق المخطوطات، دار الفكر، دمشق/ سوريا، ط1، 1423هـ، ص 26، ص 27.

[3] ينظر، عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، مكتبة الملك فهد الوطنية، دط، 1415هـ، ص 122.

[4]ينظر، عبد السلام محمد هارون، تحقيق النصوص ونشرها، مكتبة الخانجي، القاهرة/مصر، ط7، 1998م، ص 53.

[5]ينظر، المرجع نفسه، ص .53

[6] ينظر، إياد خالد الطباع، منهج تحقيق المخطوطات، دار الفكر، دمشق/ سوريا، ط1، 1423هـ، ص 23.

[7] ينظر، مشري بن خليفة، الشعرية العربية، مرجعياتها وإبدالاتها النصية، دراسة، صدر عن وزارة الثقافة بمناسبة، الجزائر عاصمة للثقاة العربية 2007م، دط. ص 94.

[8] ينظر، صلاح الدين المنجد، قواعد تحقيق المخطوطات، دار الكتاب الجديد، بيروت/ لبنان، ط6، 1982م، ص .22

[9] ينظر، الموسوعة العالمية للشعر العربي، أدب، من موقع، www.adab.com، أبو نواس.

[10] ينظر، عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الثقافة، بيروت، لبنان، دط، ص 43.

[11] ينظر أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.ط2 .2005. ص 151.وما بعدها.

الأستاذ سرقمة عاشور
كلية الآداب واللغات جامعة غرداية

عنوان المداخلة: المخطوطات الأدبية بمكتبات وخزائن غرداية، واقعها وأهم أعلامها.

نص المداخلة:

تحتوي المكتبات الخاصة والعامة بمناطق الجنوب الجزائري ـــ خصوصاً بغرداية (وادي مزاب) ـــ على عدد كبير من المخطوطات الأدبية النثرية الشعرية، أما النثرية فمنها المتعلقة بالسير والتراجم والقصص والأمثال والحكم، أما الشعرية فهي موجودة على شكل دواوين تامة أو نتف منها عبارة عن قصائد شعرية لشعراء جزائريين من الجنوب الجزائري، أو لشعراء آخرين ممن وفدوا إلى هذه المناطق لسبب أو آخر.

وتطرح هذه المخطوطات الأدبية النثرية والشعرية عدة قضايا تتعلق بجمعها وفهرستها وتصنيفها، وأخرى مرتبطة بتحقيقها ودراستها والتعريف بها، حيث توجد هذه المخطوطات في مكتبات خاصة وعامة في وضعيات أقل ما يُقال عنها أنها مزرية للغاية.

ولعل من أهم القضايا التي تواجه الباحثين في هذا المجال؛ خصوصاً ما يتعلق بالدواوين الشعرية المخطوطة؛ هي مسألة نسبة بعض القصائد إلى مؤلفيها خصوصاً تلك الموجودة في مجاميع أو نتف متفرقة، حيث يُضطَرُّ الباحث حينها

إلى الاعتماد على بعض القرائن الإبداعية الشعرية واللغوية في نسبة هذه القصيدة إلى هذا أو ذاك من الشعراء.

وقد كانت لنا تجربة في هذا المجال من خلال إشرافنا بجامعة غرداية على فرقة بحث بعنوان: واقع التراث المخطوط وآفاقه بمناطق الجنوب الجزائري: مخطوطات اللغة والأدب عينة، سنحاول عرض تجربتها في ورقتنا البحثية.

وستتوقف في مداخلتنا عند الجوانب الآتية:

- التعريف بمنطقة غرداية
- أهم مجالات المخطوطات الأدبية واللغوية
- بعض المخطوطات اللغوية وأهم أعلامها.
- واقع البحث في المخطوطات اللغوية والأدبية وآفاقه بغرداية.

غرداية الموقع والجغرافيا:

أما منطقة غرداية (وادي مزاب) فيَبعد مقر ولاية غرداية عن العاصمة الجزائر بمسافة قدرها 600 كلم نحو الجنوب.

تقع الولاية وسط شمال الصحراء الجزائرية، وتتربع على مساحة تقدر بـ86105 كلم2 تضم حوالي أزيد من 334754 نسمة، تتفرع إدارياً إلى تسع دوائر، وتشتمل على ثلاث عشرة بلدية وهي: غرداية، بنورة، العطف، ضاية بن ضحوة، بريان، القرارة، متليلي، زلفانة، حاسي لفحل، منصورة، سبسب، المنيعة، حاسي القارة.

تحد المنطقة من الشمال ولاية الأغواط ومن الشرق ولاية ورقلة ومن الجنوب ولاية أدرار ومن الغرب ولاية البيض، وإذا ألقينا نظرة خاطفة على موقعها نلاحظ أنها تتوسط عدة ولايات متميزة بثقافاتها المتنوعة.

وهذا الثراء الثقافي انعكس في عدة مكتبات عامة وخاصة تهتم بالتراث المخطوط، ومنها:

مكتبة الشيخ الحاج صالح بن عمر لعلي ت 1347 ه بني يزقن

مكتبة الشيخ محمد بن سليمان ابن ادريسو ت 1313 ه بني يزقن

مكتبة عشيرة آل يدّر بني يزقن

مكتبة عشيرة آل فضل بني يزقن

مكتبة الشيخ الحاج محمد بن عيسى ازبار ت 1307 ه بني يزقن

مكتبة إروان (دار التلاميذ) العطف

مكتبة البكريّ ت 1406 ه العطف

مكتبة الشيخ عمّي سعيد الجربيّ ت 898 ه غرداية

مكتبة الحاج عيسى بوعيس ت 1410 ه بني يزقن

مكتبة الشيخ حمو باباوموسى، ومكتبة معهد عمّي سعيد، ومكتبة الحاج مسعود بابكر الغرداويّ، بغرداية.

مكتبة القطب الشيخ اطفيش[1]، ومكتبة الاستقامة، ومكتبة الحاج إبراهيم أوزكري، ببني يزقن.

مكتبة السلف، بمليكة.

مكتبة الشيخ بالحاج، بالقرارة.

مكتبة النهضة، بالعطف[2].

إضافة إلى عدد من المكتبات الخاصة الأخرى بكل من متليلي والمنيعة وبريان...

وتضم جميعها مخطوطات في شتى المعارف والعلوم من فقه وحديث وتاريخ، ومتون، وشروح، وحواشي، ومختصرات، إضافة للرسائل، والأجوبة، والردود، إضافة إلى المخطوطات اللغوية والأدبية، ويبلغ عددها بجميع تلك المكتبات ما يفوق اثنا عشر ألف مخطوط (12000).

وإذا أردنا الحديث عن أهم مجالات المخطوطات الأدبية واللغوية؛ فإنه يُمكننا حصر أهم الأجناس الأدبية التي تحتوي عليها المخطوطات اللغوية والأدبية في مكتبات وخزائن غرداية فيما يلي:

القصائد، والنظم، والأراجيز وكلها ضمن ثلاثة عناوين كبرى هي: " علوم اللغة العربية" و"الأعمال النثرية" و" المنظومات والقصائد والأراجيز"، وتغلب الأعمال الشعرية على الآثار النثرية، ويمكننا بذلك أن نُحدد عدد المخطوطات اللغوية والأدبية بمكتبات غرداية بما يفوق خمسة آلاف مخطوط، أي بنسبة 33%، من المجموع العام للمخطوطات بالمنطقة.

وتضم " علوم اللغة العربية" بعض المخطوطات في النحو والصرف والبلاغة... أما "الأعمال النثرية" فمنها الخطب والوصايا والأمثال... أما " المنظومات والقصائد والأراجيز فهي متعددة الموضوعات والمجالات منها التعليمية

في علوم الحديث والتوحيد والعقائد، وعلم الميقات، والسيرة النبوية، ومنها في الحكمة والرثاء والوصف والغزل والمديح النبوي والابتهالات.

فمن المخطوطات اللغوية نجد: مخطوط " إيضاح الدليل إلى علم الخليل" يعني علم الخليل بن أحمد الفراهيدي، وهو كتاب ما يزال مخطوطاً؛ وَقَفْتُ على نسخة منه بمكتبة جمعية أبي إسحاق اطفيش بغرداية الجزائر.

ويحتوي هذا الكتاب على أربع وعشرين ومائة صفحة، قام فيه بوضع حواشٍ موجزةٍ على شرح الخزرجية المسمى بـ" فتح رب البرية بشرح القصيدة الخزرجية "للعلامة أبي يحيى زكرياء الأنصاري، ويَذكر أنه انتهى من كتابتها في ثامن يومٍ من ذي الحجة عام ألفٍ ومائتين وثلاثة وسبعين.

وأظن أن القطب قصد بإيضاح الدليل إلى علم الخليل: إيضاح الطريق أو المنهج للمبتدئين والمتعلمين إلى علم الخليل ويقصد به علم العروض.

وقد شاعت في المغرب العربي ظاهرة "الشرح على الشرح"، فكثيراً ما تجد ـ كما لاحظنا ـ عدة شروح على كتاب أو متن واحد، بل قد تجد شرحاً على شرحٍ آخر، أو هامشاً على هامش آخر...، ولكن أهمية كتاب الشيخ اطفيش ـ رغم أنه شرح على شرح ـ هو أنه كان يستهدف مباشرة ما أشكلت من القضايا أو احتاجت إلى توضيح أو التي أضافها هو؛ دون إعادة ذكر جميع القضايا التي تمَّت الإشارة إليها في الشرح الأول، فتجد الشيخ اطفيش يقول مثلاً: « فائدة الظاهر أنه لا يجوز لنا أن نكتب مثل قوله في حق الناظم طيب الله ثراه... »[3].

أو قوله: « تنبيه زعم بعض أن حرف المد في آخر البيت عوض عن المحذوف في الخرم... »[4]

أو كقوله: « ظهر لي أنه يُحتمل أن الناظم لم يذكر مذهب الخليل في التشعيت، وأن قوله شعت أمرٌ بمطلق التشعيت، وبيَّنه بثلاثة أقوال بعد ذلك... »[5]

ومن الأعمال النثرية نجد: خطبة " عيد النحري" لمجهول مالكي، ورد في مطلعها «... وسماه تعظيما بيوم الحج الأكبر، وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن أعظم الأيام عند الله يوم النحر...) واستغفروا الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين».

ومن الوصايا وصية أحمد زروق البرنسي الفاسي أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى (ت 899هـ/ 1493م)، والتي يقول في بعضها: « الحمد لله، أصول طريقتنا خمسة أشياء: تقوى الله في السر والعلانية، واتباع السنة في الأقوال والأفعال... عمل فيه وعومل بالأخوة في الباقي، انتهت الأصول المذكورة...».

أما الأعمال الشعرية فمنها ما هي لشعراء معروفين مشهورين مثل: ألفية ابن ، لابن مالك محمد (ت 672ه/ 1274م):

قال محمد هو ابن مالك أحمد ربي الله خير مالك

وآله الغر الكرام البررة وصحبه المُنتخبين الخيره

وأيضاً لامية في أحكام الجُمل للمجرادي، محمد بن محمد بن عمر أبو عبد الله (ت 778ه/1376م):

حمدت إلهي ثم صليت أولا

على سيد الرسل الكرام ذوي العُلا

وأزواجه والآل طُراً وصحبه

أولي الفضل والإحسان والمجد والعُلا

وأيضاً لامية الأفعال للطائي محمد بن عبد الله بن مالك (ت 672ه/ 1274م):

الحمد لله لا أبغي به بدلا حمداً يبلغ من رضوانه الأملا

وأن يُيسر لي سعياً أكون به مستبشراً آمناً لا باسراً وجلا

وأيضاً الجوهر المكنون في صدق الثلاثة الفنون للأخضري عبد الرحمن بن صغير (ت983ه/ 1575م):

الحمد لله البديع الهادي إلى بيان مهيع الرَّشاد

ثم بشهر حجة الميمون مُتيِّم نصف عاشر القرون

وبعض تلك القصائد لشعراء من غرداية، منهم: صالح بن قاسم بن الشيخ صالح الغرداوي (حي في 1280ه/ 1864م):

طال وجدي بوهجتي وبُكاء من مفاقدتي مصابح الظلماء

مادامت الدنيا تدوم صلاتُه في كل يوم بكرة ومساء

وقصائد أخرى لشعراء مجهولين أو مُختلف في نسبتها لشعراء معينين أو أسماؤهم غير مُكتملة مثل:

نظم لشاعر يدعى المنوفي عبد الخالق بعنوان: " طويل النوى لاشك للمرء قاتل:

طويل النوى لاشك للمرء قاتل

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن

وإن أشكلت في الشعر غامض نُكتة

إلى النظم نلجأ حين تقرر في الشعر

وتوجد أيضاً دواوين وكراريس قصائد وأزجال لشعراء مجهولين منها أرجوزة مطلعها:

الله يرحم اللي بنا عليك القبة بلجير

زادها بزلزالي من دار الزليج والاسواني

وتجدر الإشارة إلى أن من أقدم المخطوطات اللغوية والأدبية بمكتبات وخزائن غرداية هو مخطوط "مغني اللبيب" لابن هشام الأنصاري، إذ يعود نسخه إلى سنة 913هـ ، نسخ محمد بن أبي المعالي السنوسي بخط مغربي واضح، والموجود بمكتبة خزانة دار "إروان" أو "دار التلاميذ" بالعطف (تجنينت).

ملاحظات عامة حول المخطوطات اللغوية والأدبية بمكتبات وخزائن غرداية (وادي مزاب):

ـ بعض تلك الآثار الأدبية في مجاميع وبعضها في أوراق ووثائق متفرقة.

ـ بعضها معروفة المؤلف ومُعظمها مجهولة المؤلف، مما يَطرح عدة مشكلات في نسبتها إلى هذا الكاتب أوذاك، ويُمكن الاعتماد على بعض القرائن الفنية أو اللغوية من أجل الاطمئنان في نسبتها إلى مؤلف ما.

ـ بعضها لعلماء من غرداية، وبعضها لعلماء وأدباء من خارج غرداية، مما يُعبر عن ذلك التواصل العلمي والحضاري الذي كان يربط غرداية بغيرها من الحواضر العلمية الأخرى.

ــ بعض أولئك الأعلام عثرنا على تراجمهم، والبعض الآخر لم نجد لهم ترجمة، فبعضهم معروف وبعضهم الآخر مغمور.

ــ أغلب تلك المخطوطات مُفهرسة لكنها غير مُحققة.

ــ تحتوي تلك المخطوطات على أمهات الكتب والأراجيز والقصائد الشعرية التي كانت وما تزال تُدرس في المساجد والزوايا في مناطق الجنوب الجزائري عموما وبغرداية على وجه الخصوص.

ونشير إلى أننا اعتمدنا في إنجاز هذا البحث على مجموعة من الفهارس لمكتبات وخزائن مخطوطات بغرداية منها:

- الخزانة العامة لمؤسسة الشيخ عمي سعيد.
- خزانة الشيخ حمو بن باحمد بابا وموسى.
- الخزائن الثلاث: اشقبقب وبوكرموش والشيخ صالح.

- خزانة الأستاذ محمد بن ايوب الحاج سعيد.
- خزانة دار التعليم لآل موسى وعلي.
- خزانة الشيخ أبي بكر بن مسعود الغرداوي.
- خزانة دار التلاميذ (إروان) بجامع غرداية الكبير.
- خزانة الشيخ اطفيش القطب ببني يزقن.
- خزانتا الشيخين: بنوح مصباح وصالح بابهون.

توصيات:

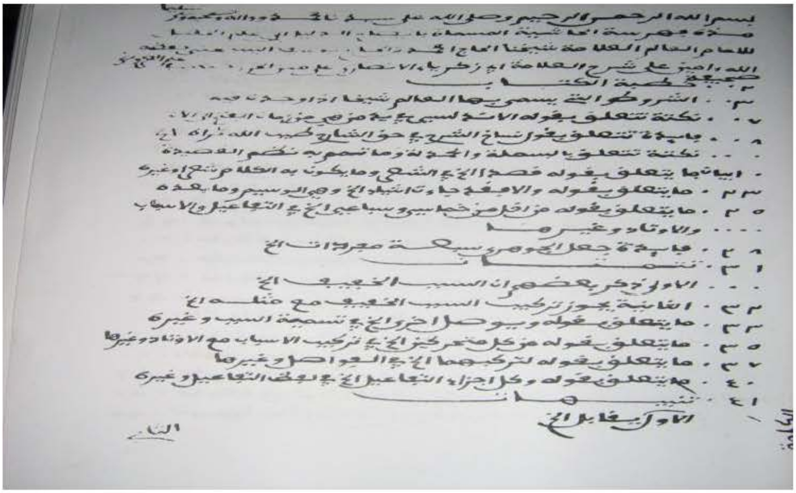
ـ ضرورة التنسيق بين مُلاك الخزائن العامة والخاصة، وبين الجامعات خصوصاً الإقليمية منها.

ـ تشجيع الطلبة والباحثين على الاهتمام بهذا الموضوع، واختيار بحوثهم جمعاً وفهرسة وتحقيقاً ودراسة، للمؤلفات والأعلام الذين كبوا في اللغة والأدب، وذلك لعدم وجود إحصاء دقيق لأهم العلماء والكُتاب الذين كتبوا في اللغة والأدب، في غرداية على وجه الخصوص، وفي الجزائر عامة.

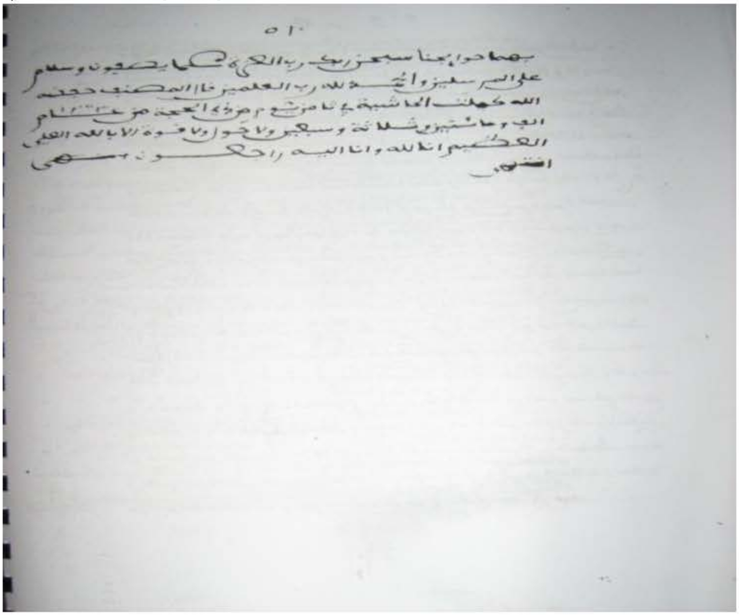
ـ إنشاء فرق بحث ومخابر بحث تهتم بهذا الموضوع.



الورقة الثانية من مخطوط به قصائد للشاعر والفقيه عمرو بن رمضان التلاتي الجربي (ت 1187ه/1773م).


بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله [illegible]
هذه فهرسة الحاشية المسماة [illegible]
للإمام العالم العلامة شيخنا الحاج [illegible]
الله آمين على شرح العلامة أبي زكرياء الأنصاري [illegible]
خطبة الكتاب
الشروط التي يسمي بها العالم شيخنا [illegible]
نكتة تتعلق بقوله [illegible]
فائدة تتعلق بقول [illegible]
نكتة تتعلق بالبسملة والحمدلة وما تمم به نظم القصيدة
أبياتها يتعلق بقوله قصد الخ في الشعر وما يكون به الكلام شعرا وغيره
ما يتعلق بقوله [illegible] وما بعده
ما يتعلق بقوله [illegible] في التفاعيل والأسباب
والأوتاد وغيرها
فائدة جعل الجوهري سبعة [illegible] الخ
تنبيهات
الأول ذكر بعضهم أن السبب الخفيف الخ
الثانية يجوز تركيب السبب الخفيف مع مثله الخ
ما يتعلق بقوله [illegible] في تسمية السبب وغيره
ما يتعلق بقوله [illegible] في تركيب الأسباب مع الأوتاد وغيرها
ما يتعلق بقوله [illegible] في الفواصل وغيرها
ما يتعلق بقوله وكل أجزاء التفاعيل الخ في بعض التفاعيل وغيره
تنبيهات
الأول [illegible] الخ

الصفحة الأولى من مخطوط " إيضاح الدليل إلى علم الخليل" لأمحمد بن يوسف اطفيش.



الصفحة الأخيرة منه

الإحالات:

1/ يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب: دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، ط3، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 2014، ص: 188.

2 مصطفى بن الحاج بكير حمودة، المخطوط في منطقة وادي ميزاب، صفحة الويب: http://tourath.halamuntada.com/t55-topic

[3] / امحمد بن يوسف اطفيش، إيضاح الدليل إلى علم الخليل، مخطوط بمكتبة جمعية أبي إسحاق اطفيش، غرداية، دون رقم، و 8.

[4] / نفسه، و 243.

[5]/ نفسه، و 258.

الأستاذ: الميلق عبد القادر.

جامعة عمار ثليجي الأغواط
عضو مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الاسلامية.

عنوان المداخلة: المخطوطات العربية الإسلامية في الجنوب الجزائري: محاولة إحصاء وتعريف

الملخص:

تعتز الأمة بتراثها العلمي والثقافي، وتفتخر بأنها من أكثر الأمم تراثا من حيث الكمية والقيمة العلمية، ويقتضي الاعتزاز بهذا التراث الرجوع إليه جمعا وبحثا وتأصيلا، ولهذا نشطت حركة البحث عن المخطوطات والتنقيب عنها وجمعها وتحقيقها وإنشاء المراكز المتخصصة للعناية بها، كل ذلك من اجل الحفاظ على التراث والاستفادة من قيمته العلمية.

و الجدير بالذكر، أن حواضر الجنوب الجزائري تتوفر على رصيد وثائقي هام من التراث المخطوط، ممّا يعكس عمق الاهتمام بالمقروء لدى سكان تلك الحواضر الصحراوية عبر تاريخهم؛ إنتاجا وصناعة ومعرفة.

وتحاول هذه المداخلة أن تبرز الواقع الماثل للتراث المخطوط في بعض حواضر الجنوب الجزائري، بالتعريف والتقديم، وذلك في مختلف المدن والقرى والواحات، من خلال بعض النماذج.

كما سنعمد بالدراسة إلى محاولة إبراز آفاق العمل حولها، وهو ما يدعونا إلى استقراء بعض الدراسات الأكاديمية والإفادات المتنوعة عن كل واحدة منها.

تقـــديـــم عـــام:

يتميّز التراث المخطوط بغناه وتنوعه، سواء على المستوى المعرفي أو على المستوى الجمالي. بل ظل يُشكّل دوماً ذاكرة علماء الجزائر بامتياز، عند الخاصة والعامة على حد سواء.

ويتوزع الرصيد الوثائقي للتراث المخطوط بالجنوب الجزائري بين مكتبات (خزائن[1])عامة وخاصة، نذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر: خزائن الجنوب الغربي للجزائر(الساورة- توات)، وخزائن الجنوب الشرقي للجزائر(سهل وادي ميزاب كأنموذج) .

وهناك خِزانات تابعة لبعض الزوايا المنتشرة عبر الحواضر العلمية في الصحراء الجزائرية، إضافة إلى مكتبات خاصة هي ملك لأفراد أو عائلات.

إن الهدف الأساس الذي ترمي إليه هذه المداخلة، هو محاولة اكتشاف الكنوز المغمورة في بعض الحواضر العلمية بصحراء الجزائر، وحفظ مخطوطاتها وديمومتها، واستعمال التقنيات التكنولوجية الحديثة لتسهيل تعامل الباحثين والدارسين معها.

وجدير بالذكر، أن التأريخ للخزائن العلمية هو تاريخ للفكر الإنساني في مسيره ومصيره، ذلك أن خزائن الكتب، كانت وما تزال وستظل معقلا لهذا الفكر تحافظ عليه وتقدمه من جيل إلى جيل على مر العصور.

وقد تميّزت الحواضر العلمية الصحراوية بجنوب الجزائر بكثرة خزائنها؛ الأمر الذي جعل العلماء يُنمُّونها، ويبحثون دائما عن الجديد، ممّا أعطى دفعا قويا لحركة التعليم، وشجّع على الاهتمام بفنون العلم والتفقه في أمور الدين الإسلامي. وقد كثر طلاب العلم ونشطت بذلك حركة التأليف والاستنساخ، حتى غدت تلك المناطق كالشعلة التي يستضاء بها[2].

وتعد المكتبة أو "خزائن الكتب" أداة هامة من الأدوات التعليمية التي ساعدت طلبة العلم في التحصيل على مرّ العصور والأزمنة التاريخية للدولة الإسلامية؛ حيث توجد في أغلب المدارس والزوايا خزائن تضم مختلف الكتب والمخطوطات لتكون عوناً للطالب على فهم الكم العلمي، الذي يتلقاه خاصة وأن اقتناء الكتب كانت تكلف مبالغ باهضه، حالت دون امتلاكها من قبل الأغلبية. كما أنها تعتبر مؤسسة علمية وثقافية مكمّلة لدرس الأستاذ (الشيخ)؛ فتُيسر للطالب نهل العلوم من مصادرها، والاحتكاك بالعلماء والمشايخ القائمين عليها[3] .

وتعتبر المخطوطات رصيدا علميا هاما يظهر مراحل تطور تلك المجتمعات الصحراوية، من خلال تتبع مراحل نشأتها؛ إذا ما استغلت بطرق عصرية ذات أبعاد حضرية تستمد مقوماتها من خلال التفكير في خلق مفكرة تربط مقومات المجتمع الماضية بأسسه الحاضرة[4].

وتجدر الإشارة إلى أن جل الإنتاج الفكري والأدبي والديني قد ضاع من خزائن توات، وذلك بفعل عوامل الطبيعة القاسية، وإلى عملية النهب أثناء دخول الاستعمار الفرنسي للمنطقة، فقد أحصى (مارتن) كل الخزانات وحمل الكثير منها وألّف كتابه الموسوم بـ " أربعة قرون من تاريخ المغرب و الصحراء ابتداء من سنة1504م إلى سنة 1902 م "[5].

إن الحركة الثقافية التي صاحبت نشاط التجارة وانتقال الحجيج عبر منافذ عديدة زادت في عزيمة سكان تلك المناطق- ولا سيما طلبة العلم- على التحصيل المعرفي، فتنقل هؤلاء عبر الحواضر العلمية المختلفة، كتوات و ورقلة و تقرت، و وادي سوف، وتلمسان بالجزائر. ومراكش، وفاس ، وشنقيط ، وتونس، وليبيا بالمغرب العربي. ومصر، والحجاز بالمشرق العربي . وفي بلاد السودان الغربي، نجد كل من حاضرة أروان و تمبكتو وغيرها. وقد صاحب هذه الرغبة التعليمية حب استنساخ المخطوطات وقراءتها[6] .

- مراكز خزائن المخطوطات:

أ) **- خزائن ولاية أدرار(إقليم توات):**

تزخر واحات توات بثروة ثقافية عالية منذ أقدم العصور من جوانب مختلفة، ومن أهمها ما وجد مسطورا من مخطوطات ووثائق تاريخية متنوعة في مكتبات المساجد ولدى الأسر والأفراد، وهي تتعلق بمختلف المواضيع كالبيوع والميراث والحبس والمراسلات، وتعود إلى مختلف الفترات، وكذلك حركة النسخ التي قد يستغرق الكاتب فيها شهورا وسنوات في كتابة المخطوطات ونسخها وبيعها، ونقل الثقافة العامة من جهة إلى جهة ومن جيل إلى جيل حسب التجارة القديمة، وازدهارها عبر العصور عن طريق القوافل الصحراوية.

وفي هذا الصدد يقول المؤرخ المرحوم **أبو القاسم سعد الله**: "الغالب أن الزوايا هي التي كانت ترعى المكتبات؛ لاتّصالها بالدين والعلم، وقد عرفت منذ

القدم بأنها سوق رائجة للكتب، وأنّ بعض عائلاتها الدينية قد كوّنت مكتبات معتبرة، وكانت صلة أهل توات بجامع القرويين وعلماء المغرب وعلماء افريقيا وتلمسان قد جعلتهم في مكانة يغبطون عليها، إضافة إلى علماء توات الذين كانوا يؤلفون الكتب ويستنسخونها من بعضهم، أو من علماء آخرين"[7].

ويمكن للباحث أن يصنّف خزائن إقليم توات (ولاية أدرار حاليا)حسب مناطقه الثلاث إلى النحو الآتي:

1. **خزائن منطقة قورارة:**

- **خزانة المطارفة**[8]:

ويوجد في هذه الخزانة حوالي ثمان مائة(800) مخطوطة، تشمل كل فنون العلم والمعرفة، وكثير منها لعلماء المنطقة، ومما تحتفظ به:

- شرح الرسموكي على لامية المجرادي: للرسموكي.
- نوازل السجلماسي: لابن هلال الفولاني.
- نوازل القباب: لعبد القادر الفاسي.
- شرح الملوي على ألفية بن مالك: للملوي.
- تفسير القرآن: لابن عطية.
- - نوازل المغارسة لعبد الرحمن الفاسي.
- نوازل الحطاب على مختصر خليل.
- شرح الخرشي على خليل .
- الميارة الكبرى على ابن عاشر.
- الميارة الصغرى على ابن عاشر.

- خزانة سيدي الحاج بلقاسم[9]:

وتوجد هذه الخزانة بزاوية سيدي الحاج بلقاسم بتيميمون، وتضم أكثر من مائة مخطوط، وتشمل مواضيع مختلفة، كالقرآن وعلومه، و الحديث وعلومه، والتوحيد، والعقائد، و النحو والصرف، وعلم المنطق، وعلم الفلك، وتضم أيضا تراجم لعدد من العلماء والفقهاء ومشايخ المنطقة.

ومن الخزانات الأخرى بمنطقة قورارة: خزانة زاوية الدباغ[10]، وخزانة بادريان[11]،

وخزانة أولاد سعيد[12]، وخزانة فاتيس[13]، وخزانة تينركوك. وأغلب المخطوطات الموجودة بهذه الخزانات تشمل علوم الدين، وبعض تراجم لعلماء ومشايخ المنطقة المشهود لهم بالعلم والصلاح.

2- **خزائن منطقة توات الوسطى**: ومن أبرز خزائنها، نذكر:

- الخزانة البكرية بتمنطيط:

تُعد من أقدم وأغنى المكتبات الموجودة بالمنطقة، ومؤسسها الأول هو الشيخ سيدي ميمون بن عمرو (تـ 890هـ)، وذلك في أواخر القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي[14]. وقد بلغ عدد مخطوطاتها إلى ما يربو عن الألف مخطوط في شتى فنون المعرفة، وذلك في عهد مؤسسها الثاني الشيخ سيدي البكري (تـ1133هـ/1720م).

وظلّت الخزانة البكرية حوالي مدة ثلاثة قرون مجموعة وموحدة، يشرف عليها عالم من أبناء العائلة ،ممن يشهد له عدول عصره بالتبرز في العلم والتفرد بالنجابة والتقوى، فيعمل جاهدا على إحاطتها برعاية فائقة مدققة ، ولا يمنع منها منتفعا، ولا يُمكّن منها مبتدعا[15].

- خزانة ملوكة[16]**:**وتضم هذه الخزانة ما يزيد عن ثلاثمائة مخطوطة، لكن الكثير منها تعرض للتلف والنهب، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

- الدرة الفائقة في ذكر سيد الخالقة: للسيد مسعود بن محمد.

- منهج البادية في الإنسانية العالية لعبد الله بن محمد بن عبد القادر الفاسي.

- تحفة اللبيب في جمع الطرر المعلقة على شرح ابن النجيب، تحقيق الحاج ابن عبد الرحمان البلبالي.

- الغنية البلبالية[17]: للحاج عبد الرحمان الملوكي البلبالي.

- نوازل المعيار في فتاوى علماء إفريقيا والأندلس: للونشريسي.

- تبصرة الحكام في أصول الفقه ومناهج الأحكام: لابن أبّ[18].

- عيون المذاهب المجهول (؟).

- **خزانة كوسام:**

سطع نجم كوسام مع نهاية القرن الثالث عشر للهجرة /التاسع عشر الميلادي، وأضحت بمرور الوقت مركز إشعاع علمي وحضاري يؤمه طلاب العلم، ويرجع الفضل في هذه المكانة التي تبوّأتها كوسام في تلك الفترة إلى أحد الأعلام البلباليين البارزين وهو العلامة سيدي عبد الله بن أحمد حبيب البلبالي (ت1353هـ/1934م) وتقع هذه الخزانة بكوسام[19]، ويتولى شؤونها حاليا الشيخ سيدي محمد الطيب شاري، تضم في رفوفها ما يزيد عن مائتين وخمسون (250) مخطوطة، في شتى فروع المعرفة الإنسانية، وقد ضاع منها الكثير. وممّا تحتفظ به على سبيل المثال:

- كمال فتح المقيت في شرح المواقيت، لأحمد بن محمد بن عومر.
- الخزرجية في العروض والقوافي.
- العيون الغامزة على خبايا الرامزة، لمحمد بن أبي بكر بن عمر المخزومي الدماميمي.
- وسم المعاسي في شرح تحفة ابن عاصي على الأرجوزة، لمجهول (؟).
- **خزانة بني تامر:**[20] ومن مخطوطاتها نذكر:
- تفسير القرآن: للبغوي.

- التحفة العلية في آداب الدين والدنيا: لأبي الحسن علي بن حبيب.
- شرح المرفوق في المنطق: لمجهول (؟).
- **خزانة زاوية سيدي حيدة[21] ببودة:** وتوجد هذه الخزانة بقصر بودة السفلانية، ومن مخطوطات هذه الخزانة:
- مقدمة ابن أجروم: لابن أبّ.
- الزرقاني في الفقه.
- تحرير الكلام في مسائل الالتزام لمجهول (؟).

وعلى العموم فإن هذه المخطوطات تتناول مواضيع مختلفة كالقراءات، التوحيد، الحديث وعلومه، العقائد وأصول الدين، التصوف، الفقه وأصوله، التاريخ، وأغلب هذه المخطوطات في حالة يرثى لها وأوراقها تأثرت بعوامل الطبيعة وتقلبات الجو[22].

- **خزانة زاوية كنتة[23]:** وتتميز مخطوطاتها بتناول العلوم الشرعية واللغوية وتاريخ وتراجم للأعلام الكنتيين، ومن أهم مخطوطاتها:
- الطرائف والتلائد في مناقب الشيخين الوالدة والوالد، للشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكبير، ويشتمل على تاريخ سيد المختار الكبير وشيوخه، وقد تضمن مقدمة وسبعة أبواب.
- فتح الودود في المقصور والممدود للشيخ سيدي المختار الكبير الكنتي، ويقع في (462) صفحة.
- النوازل: للشيخ باي الكنتي.

والغالب أن موضوعات هذه المخطوطات الموجودة بهذه الخزانة تدور حول علوم الشريعة الإسلامية واللغة والنحو والتراجم والتاريخ، وحسب الحديث الذي دار بيننا وبين القائم على هذه الخزانة[24]، وهو شيخ مدرسة سيدي أحمد الرقادي، فإن أغلب المخطوطات قد ضاع بسبب قساوة الطبيعة وعوامل التعرية، كما أن بعضها الآخر تعرض لعملية النهب عقب الاحتلال الفرنسي للمنطقة.

- **خزانة زاوية الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي:**

يعود تاريخ تأسيس هذه الخزانة إلى القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي، وذلك بعد عودة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي من السودان الغربي. وكانت تضم كل مؤلفاته[25]، وهي توجد قرب ضريح الشيخ ،وتحتوي على الكثير من المخطوطات ،ونذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر:

- أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي[26].

- البدر المنير في علوم التفسير، يدور حول علم التفسير.

- شرح مختصر خليل و حاشية عليه، سماها الإكليل لمغني النبيل على مختصر خليل.

- منظومة سماها منح الوهاب في المنطق المبلّغ للصواب، وعليها ثلاثة شراح له.

- فصل الخطاب في رد الفكر إلى الصواب، وتدور حول المنطق وهو شرح لأرجوزة منح الوهاب.

ومن الخزانات الأخرى **خزانة زاجلو** بمنطقة توات الوسطى، وتحتوي على أكثر من سبعين مخطوطة في شتى العلوم الدينية والمعارف.

3- خزائن منطقة تيديكلت:

تحتوي منطقة تيديكلت على العديد من المخطوطات، وتعد خزائنها من أغنى وأخصب الخزانات الشعبية ثراءًا بالمخطوطات، وكثير منها من إنتاج علماء المنطقة، ومن هذه الخزائن نذكر:

- **خزانة السيد بن مالك عبد الكريم بأقبلي:**

وتوجد بقصر ساهل، وتشتمل على عدة مخطوطات، منها ما هو بخط الجد الأعلى للفلانيين، السيد محمد بن مالك بن أبي بكر بن أيوب بن حماد بن جلول بن طلحة[27]، ومنها ما هو بخط الشيخ محمد بن محمد العالم[28].

وحسب التقاييد التي اطلعنا عليها في حواشي بعض المخطوطات، تبيّن لنا أن العديد منها قد جلب إليها من طرف السيد عبد الرحمان بن الحاج أحمد حفيد الشيخ المؤسس، وبعض المخطوطات هي بخط الشيخ حمزة بن الحاج أحمد، كما جلب لها أيضا الشيخ محمد الحسن (ت1352هـ/1933م) عدة مجلدات.

ويوجد بالمكتبة شروح للحديث وتفاسير للقرآن ومؤلفات في الفقه والنحو. وبقي الآن منها ما يقارب مائتي (200)كتاب مخطوط في الخزانة؛ بعد أن ضاع منها الكثير وتبعثر بسبب الكوارث الطبيعية[29].

ومن مخطوطات هذه الخزانة، نذكر:

- منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب: لمحمد بن عبد الكريم المغيلي.
- شرح الميارة: للفاسي ومعه ألفية في غريب القرآن.
- شرح الولائي على نظم المكودي: بخط بن مالك سنة (1309هـ/1891م).
- بغية السالك في أشرف المسالك: لمحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمان.
- شرح ابن مهيب المسمى بالطريقة المثلى إلى الوسيلة العظمى: لمحمد النجيب بن محمد شمس الدين بن محمد النجيب بن محمد بن عبد الصمد (؟)
- الجامع الصغير من حديث البشير: فرغ من تأليفه في 907هـ/1501م، ونسخ في 1201هـ/1786م.

- خزانة زاوية شيخ الركب سيدي أبي نعامة الكنتي بأقبلي:

أسّسها الشيخ أمحمد بن عبد الرحمان الملقّب بأبي نعامة، المولود سنة (1060هـ/1650م)، المتوفي سنة (1163هـ/1749م) .

و تشتمل خزانة الشيخ على قرابة ثلاثمائة مخطوط في فنون شتى، نذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر:

- كشف الشبهات بالبراهين والبينات: للشيخ المختار الكنتي الكبير.
- نصائح للشيخ المختار وولده محمد في التصوف.
- نسيم الرياض في شرح الشفاء للقاضي عياض.
- الديباج المرقوم في أصول علم النجوم.
- الرسالة الغلاوية: للشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار ولها ستة عشرة (16) صفحة.
- الكوكب الوقاد في فضائل المشايخ وحقائق الأوراد: للشيخ سيدي المختار الكبير.
- قصائد في الشعر الشعبي الديني تخص ركب الحجيج ومدح المصطفى: للشيخ ولد سيد الحاج الكنتي.
- كتاب الطرائف والتلائد، يتضمن أخبار الوالد والوالدة ومعه أخبار الأولياء والعلماء والأتقياء وبعض من أخبارهم للشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكبير وتفادياً للتطويل أذكر أن الخزانة تحتفظ بعدد كبير من المخطوطات في الحديث والعبادات والمعاملات، ولا سيما مخطوطات فقه الامام مالك.

- خزانة المنصور[30] بأقبلي:

وقد أسّسها السيد الحاج محمد بن الحاج أعلي، أحد تلاميذ الشيخ المختار الكبير الكنتي، و تضم الخزانة ما يزيد عن عشرين مخطوطا في فنون مختلفة، منها على سبيل المثال:

- الكوكب الوقاد على شرح الأوراد: للشيخ المختار الكبير الكنتي.
- الجرعة الصافية والنفحة الكافية: للشيخ المختار الكبير.
- المقصور والممدود: للشيخ المختار الكبير الكنتي.
- المهجة من تلخيص البهجة في مناقب سيدي عبد القادر الجيلاني: للإمام نور الدين أبي الحسن علي ابن يوسف النحوي المقري اللّخمي.

وفي الخزانة مخطوطات كثيرة مجهولة المؤلفين في علوم شتى.

- **خزانة أركشاش[31] بأقبلي:**

تأسّست هذه الخزانة على يد السيد محمد التهامي،الذي يمتلك أبناؤه اليوم مقتنياتها ،وتضم عددا من المخطوطات؛ ولعل أهمها هو المصحف الشريف الذي يعرف بـ " **تينغ بويا**" بمعنى قتل بويا ، وهو عبارة عن كتاب قرآن [كذا كتب عنه]، وهو يقع في (480) صفحة، نسخه إسماعيل بن أحمد بن حسن الأزهري سنة 872هـ/1367م (؟).

وقد كتب في آخره: «ليعلم الواقف عليه أنّ هذا المصحف ملّكه الله للحاج محمد بن الحاج علي المايخاني أصلاً، عبيد ربه تعالى محمد الأمين بن علي ابن محمد بن محمد بن الحاج محمد".

ويوجد عليه ختمٌ لملك غير واضح الاسم هو الملك" **الطام أبو سعيد تمرنغا**"، وقصة تسميته بهذا الاسم أنّ متخاصمين لزمهما القسم فاتفقا أن يحلفا عليه، وكان الكاذب اسمه بويا فمات بعد الحادث، فسموا الكتاب بـــــ **"تينغ بويا"**، وهو محفوظ بطريقة جيدة بمسجد أركشاش[32] . ويوجد بنفس الخزانة أيضا:

- نضار الذهب في كلّ فن منتخب: للشيخ سيدي المختار الكبير الكنتي، فرغ منه في 1278هـ/1861م.

- **خزانة الشيخ محمد باي بلعالم[33] بأولف:**

وهي مكتبة حديثة، أقامها الشيخ محمد بن عبد القادر بلعالم الملقب بـ"باي"، وحاول الشيخ سعيا منه، إلى جمع أكبر قدر من المخطوطات، قصد تجميعها في مكان واحد في محاولة منه للحفاظ عليها وصيانتها، ومن ثمّ تمكين الباحثين من الاستفادة منها.

وتتناول تلك المخطوطات مواضيع مختلفة، وهي الحديث و علومه، التوحيد والعقائد، التفسير والقراءات، التصوف، الفقه المالكي على مختصر سيدي خليل. و قد نسخ أغلبها ما بين القرن العاشر والرابع عشر الهجري، ومن مخطوطاتها:

- بلوغ الغاية على الوقاية، للشيخ محمد بن بادي الكنتي، وهو في اللغة العربية يقع في (290) صفحة وأوراقه من الحجم المتوسط.
- روضة النسرين في مسائل التمرين (اللغة)
- النفحة الرندية على شرح التحفة الوردية (اللغة)

- الروض الخصيب في شرح نفح الطيب في الصلاة على النبي الحبيب، لمحمد بن الشيخ المختار الكبير الكنتي، انتهى منه في 1219هـ/1804م، ويقع المخطوط في (690) صفحة.

كما توجد في مدينة أولف خزائن أخرى ، وهي ممتلكات أسرية؛ كخزانة أولاد بولحية في زاوية حينون، والتي أسّسها الشيخ محمد بولحية، وهي الآن بيد أولاده، وخزانة الشيخ بختي أحمد العالم[34].وقد خلّف الشيخ أبا الأنوار بن عبد الكريم التنيلاني خزانة كتب، إلا أنها ليست متاحة للباحثين، ويجهل مكانها[35].

وللإشارة فإن أغلب هذه المخطوطات الموجودة داخل الخزانات الشعبية والمؤسسات الدينية، قد تنامت مقتنياتها وتطورت بفضل العلماء الذين تعاقبوا على توات على مرّ الأزمنة والعصور، ولم تتوقف عملية جلب المخطوط، بل تخصّصت بعض المراكز في عملية النسخ[36]. وكانت تلك الخزانات مرتبطة ارتباطا وثيقا بوجود الزوايا التي انتشرت في كل مناطق إقليم توات(أدرار).

ب) خزانة الزاوية الزيانية القندوسية[37](ولاية بشار):

تضم هذه الخزانة حاليا حوالي أربعة وثمانون(84) مخطوطة في شتى حقول المعرفة، كالمديح، والتصوف، والتاريخ والفقه المالكي والنحو والصرف، وعلوم الحديث. الخ. وممّا يؤسف له أن العديد من مخطوطات الزاوية المذكورة، قد تعرض إلى السرقة والتلف عبر السنون والأيام[38].

ج) خزانة زاوية كـرزاز[39] بالدار البيضاء(ولاية بشار):

كانت تحتوي هذه الزاوية على حوالي مائة مخطوط، إلا أن أغلبها ضاع بعد إتلافه من طرف قوات الاحتلال الفرنسي في سنة1957م.وقد تمكّن بعض القائمين عليها من تجميع عدد لابأس به، وصل في مجموعه إلى حوالي خمسة وثلاثين مخطوطا، تشمل علم الحديث، والتصوف، والفقه المالكي، وتفسير القرآن، وكتاب في النوازل[40].

وهناك العديد من المخطوطات متفرقة حاليا على بيوتات البلدة ومشايخ وأتباع الزاوية، عسى أن تكلل جهود الحريصين والمهتمين لجمعها مستقبلا في خزانة الزاوية ، لتسهيل مهمة الاطلاع عليها ودراستها من قبل الباحثين المتخصصين.

د) خزائن ولاية غرداية (وادي ميزاب):

تتميز منطقة وادي ميزاب برصيد ثري وبكميات معتبرة من الوثائق

والمخطوطات، حيث يقدر إجمالي مخطوطاتها بأكثر من ثمانية آلاف (8000)مخطوط[41]، ومن أبرز خزائنها نذكر:

- **خزائن سهل وادي ميزاب:**

و تضم مخطوطات عدّة، أغلبها كتب ألّفها علماء إباضيون في القرون الماضية، والتي لا زال الكثير منها ينتظر من ينفض عنها الغبار ويخرجها من محبسها إلى الوجود. ومن أبرز هذه الخزائن نذكر[42]:

. خزانة القطب (الشيخ أمحمد بن يوسف اطفيش): بني يزقن .
· خزانة آل خالد. : بني يزقن .
· خزانة صالح بن عمر لَعلي: بني يزقن .
· خزانة الشيخ الثميني. : بني يزقن .
· خزانة المسجد العتيق: العطف .
· خزانة البكري (الشيخ عبد الرحمن بكلي) :العطف .
· خزانة النهضة: العطف .
· خزانة معهد الإصلاح: غرداية .
· خزانة معهد عمي سعيد: غرداية .
· خزانة محمد الحاج أيوب: غرداية .
· خزانة الشيخ بالحاج: القرارة .
· خزانة معهد الحياة: القرارة .
· خزانة جمعية التراث: القرارة .
· خزانة باعمارة : مليكة .
· خزانة النصر : مليكة .
· مكتبة جمعية أبي اسحاق لخدمة التراث .

وقد تمّ فهرسة تسع مكتبات، و التي هي حاليا في متناول الباحثين والدارسين، وهي مرتّبة كالآتي[43]:

رقم المكتبة	صاحب الخزانة	مكان الخزانة(القصر)	عدد مخطوطاتها
01	الشيخ الحاج صالح بن عمر لعلي ت 1347 ه	بني يزقن	1210
02	الشيخ محمد بن سليمان ابن ادريسو ت 1313 ه	بني يزقن	811
03	عشيرة آل يدّر	بني يزقن	594

04	عشيرة آل فضل	بني يزقن	508
05	الشيخ الحاج محمد بن عيسى ازبار ت 1307 ه	بني يزقن	490
06	إروان (دار التلاميذ)	العطف	288
07	البكريّ ت 1406 ه	العطف	135
08	الشيخ عمّي سعيد الجربيّ ت 898 ه	غرداية	91
09	الحاج عيسى بوعيس ت 1410 ه	بني يزقن	58
المجـــــــمـــــــوع			4185

أما الخزائن التي لم يتمّ إنجاز فهارس علميّة لها، فهي في حدود تسعُ مكتبات، وهي:

- مكتبة الشيخ حمو بابا وموسى، ومكتبة معهد عمّي سعيد، ومكتبة الحاج مسعود بابكر الغرداويّ، بغرداية.
-مكتبة القطب الشيخ اطفيش، ومكتبة الاستقامة، ومكتبة الحاج إبراهيم أوزكري، ببني يزقن.
- مكتبة السلف، بمليكة.
- مكتبة الشيخ بالحاج، بالقرارة.
- مكتبة النهضة، بالعطف.

وبالجملة، فهي مكتبات لا تقـــــــلّ أهميّة من حيث كمية المخطوطـــــــــات عن المكتبات المفهرسة؛ بالإضافة إلى مكتبات أخرى عديدة لم تَفتح بعدُ أبوابها، في جميع قـــــــــرى وادي ميزاب؛ ممّا يجعل تقديرنا لعدد المخطوطات الموجودة الآن بمنطقة وادي ميزاب هو في حدود عشرة آلاف مخطوط[44]. وتقـــــــوم في الوقت الراهن جمعيات عــــــديدة في المنطقة بجهود لحصرها وفهرستها.

و ممّا يؤسف له أن مخطوطات متليلي، قد تعرض أغلبها إلى النهب و الاتلاف، من طرف الغزاة و قوات الاحتلال الفرنسي ، نظرا لسياسة الاطباق أو الحصار الخانق المفروض على أهالي المدينة آنذاك.

وتحرص حاليا بعض النوادي و الجمعيات الفاعلة بمدينة متليلي لجمع أكبر عدد ممكن من المخطوطات والوثائق الأرشيفية ، بُغية الحفاظ على الذاكرة الشعبية والوطنية للمنطقة.

وفي ختام هذه المحاولة، يمكن القـــــــول أنه بالرغـــم من إشـــــاعة الثقافة التراثية في بعض المناطق(مجال الدراسة)، إلا أننا لم نتمكن من معـــــــرفة محتويات بعض الخـــــــزائن الخاصة ، ونتمنى أن تبذل الجهود وتتكاثف جميعها مستقبلا من أجـــل بعث ونشر محتوياتها وإتاحتها للدارسين و الباحثين .

ثم إن المتصفح – اليوم - للمخطوطات المتبقية في الكثير من تلك الخزائن ، يجد أن الزمن قد فعل فعلته بصفحاتها الأولى، إلى درجة التمزق لمجرد لمسها، لكن الغائب الأكبر أمام هذا الوضع هي العناية بما فلت من أنياب الدهر، واخراجها من محبسها الذي لازمته لقرون، وإعادة ترميمها وفقا للمقاييس العلمية وإعادة نسخها، كي يتسنى للباحثين الاطلاع عليها وتحقيق ما يمكن تحقيقه منها.

ولنتساءل أخيرا: هل يمكن اقتراح بطاقة نموذجية لفهرسة المخطوط العربي تأخذ في الاعتبار كل المعطيات العلمية والتقنية الحديثة، قبل أن نحدد مفهوم الفهرسة تحديدا نهائيا يجمع عليه العلماء والمختصون، ويحظى بقبول كل المهتمين بالمخطوطات في جميع المراكز والمكتبات العربية والاسلامية؟.

وفي اعتقادنا أنه لا يمكن اقتراح أي نموذج للبطاقة الفهرسية قبل تحديد مفهوم الفهرسة تحديدا علميا يتم في حدوده، وفقا لشروطه، وصف المخطوط العربي.

لذا نوصي بضرورة العمل على مواصلة جرد وفهرسة مخطوطات كل الخزانات عبر التراب الوطني بصفة عامة، ومناطق مجال الدراسة بصفة خاصة. مع ضرورة التعاون بين المحققين والفهرسيين وحتى الأثريين، وذلك بغية الاستفادة من المخطوط بكل جوانبه، يُضاف إلى جانب ذلك تنظيم دورات تدريبية حول ترميم المخطوط ورقا وغلافا، بالإضافة إلى العمل على تنظيم ندوات علمية تتناول علم المخطوطات بكل مجالاته، وإنشاء مشاريع بحث مع أساتذة مشاركين متخصصين في مجال المخطوط.

وفي الأخير يجب التذكير بأن مسألة الحفاظ على هذا التراث المخطوط والعمل على صيانته يُعد من أولويات الفترة الراهنة، حتى يسهل على الباحثين والدارسين

نشره ودراسته، ويندرج كل ذلك في سبيل المحافظة على هويّتنا الثقافيّة العربية والإسلامية.

الإحالات:

1 المراد بكلمة (خزانة) في لسان سكان مناطق الجنوب الجزائري، وكذا في المغرب الأقصى: المكتبة الشعبية التي تحتوي على عدد من الكتب المخطوطة سواء أكانت هذه الخزانة داخل القصر أو في المسجد أو في بيت من البيوت.

2يذكر الدكتور مختار حساني" أن أغلب الواحات الصحراوية كانت تزخر بخزائن الكتب، وقد تحولت مقرات الزوايا بها إلى مدن مثل عين ماضي وتماسين وطولقا وأولاد جلال وتيميمون وأدرار ووادي الساورة". مختار حساني:" تاريخ المخطوطات"، (ضمن أعمال الملتقى الثاني للبحث الأثري والدراسات التاريخية، أدرار: 29 ماي- 02 جوان 1994م، وزارة الثقافة والاتصال، الجزائر)، ص ص 65-66.

3أنظر: محمد عطا زبيدة، مكتبات المدارس "خزانة الكتب في العصرين الأيوبي والمملوكي"، في أبحاث ندوة: (تاريخ المدارس في مصر الإسلامية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1992من ص221.

4مبروك مقدم،" المخطوطات داخل الخزانات الشعبية بتوات وتيديكلت"، (أعمال الملتقى الثاني للبحث الأثري ودراسات التاريخية)، وزارة الثقافة والاتصال الجزائر، ص ص 75-.76

5 للتأكد والتحقق راجع كتابه: A.G.P. Martin, Quatre siècles d'histoire, Paris 1923 .

وصاحب الكتاب ضابط فرنسي شارك في جيش الاحتلال الفرنسي للمناطق الصحراوية التواتية، وكان من فرقة الضباط المترجمين.

6 عبد الكريم عوفي، "مراكز المخطوطات في الجنوب الجزائري، إقليم توات نموذجا"، في مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، العدد34، الإمارات العربية المتحدة، دبي 2001م، ص128.

7 ينظر: أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص371.

8تبعد المطارفة- حاليا- عن مقر ولاية أدرار ب 99كلم وتوجد هذه الخزانة بيد أبناء عبد الكريم بن عبد الكبير.

9يُعد الشيخ سيدي الحاج بلقاسم من أعلام القرن العاشر الهجري، عرف بشيخ ركب الحجيج تخصص له زياة (وعدة) للاحتفال بأسبوع المولد النبوي الشريف، وهو احتفال منصوص عليه في أحباس الزاوية، يرثها الأبناء عن الآباء والأجداد كوعد سنوي لا يجب تجاوزه، وفيها ترفع جميع ألوية الأولياء الصالحين الذين شاركوه في الحفل التأسيسي لهده الزيارة، وما يعرف عن الشيخ أنه علم طريق الحجيج ومنازلهم لأبنائه (المتوفين). ولموسم زيارة سيدي بلقاسم شهرة عالمية. ينظر: سلسلة النواة ،ج2،ص ص 12-17

10 توجد هذه الخزانة – حاليا – بيد السيد الدباغ أحمد بن محمد.

11 توجد هذه الخزانة – حاليا – بيد السيد الصوفي محمد السالم.

12 توجد هذه الخزانة – حاليا – بيد السيد الجوزي عبد الرحمن وبها أكثر من (200) مخطوطة.
13 توجد هذه الخزانة – حاليا – بيد السيد أحمد بن العربي.
14عبد الحميد بكري، مرجع سابق، ص 49.وانظر أيضا: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص297.
15ويذكر أنه في سنة 1244هـ/1824م قد تم تقسيم محتويات المكتبة بين أفراد العائلة قسمة تراضاها الجميع. فكانت في تمنطيط خزانة الشيخ سيد احمد ديدي، وخزانة الشيخ سيدي الحاج محمد القاضي، وخزانة الشيخ سيدي محمد الصالح.
16 توجد هذه الخزانة بقصر ملوكة التابع حاليا لبلدية تيمي، يبعد عن مدينة أدرار بـ: 5كيلومتر، وكانت ملوكة مقراً للعلماء، وقد برزت كمركز إشعاع علمي وحضاري مع منتصف القرن الثاني عشر الهجري (18م)، ويرجع الفضل في ذلك إلى الشيخ سيدي الحاج محمد بن عبد الرحمان البلبالي (ت 1244هـ). ينظر: جوهرة المعاني، مصدر سابق، ص 13. الرحلة العلية، ج1، ص 48. الصديق حاج أحمد، التاريخ الثقافي، ص101. عبد الكريم عوفي، مرجع سابق، ص 124.
17 تضمن هذا المؤلف مجموعة من النوازل وهي عبارة عن مجموعة من القضايا والفتاوى والمسائل المعقولة من سجلات القاضي عبد الحق بن عبد الكريم الذي شكل مجلس شورى من أربع فقهاء لمشاورتهم في القضايا التي تستشكل عليه. وكان بيدكل واحد منهم سجل يقيّد فيه أحكامه وفتاويه وقام الشيخ عبد العزيز بجمع أحكام السجل التي قيّدها والده وقام بترتيبها على حسب أبواب خليل (المرجع الفقهي المعتمد)، وتوجد نسخة من نوازل الغنية البلبالية في خزانة ملوكة وكوسام وأطلعنا الأخ عبد الحميد بكري على نسخة خاصة بخزانة جده سيدي أحمد ديدي بتمنطيط.
18 نسب هذا الكتاب إلى الشيخ إبن أبّ المزمّري .وحسب اطلاعنا على مؤلفات الشيخ لم نعثر على عنوان هذا الكتاب ضمن مؤلفاته المخطوطة بخزانة الشيخ محمد باي بلعالم. ونرجّح أنه قد يكون خطأً في النسخ.
19كوسام حاليا تابعة لبلدية تيمي، وتبعد عن مقر الولاية أدرار بـ 3 كيلومتر.
20تقع بني تامر شرق بلدة تيمي، وهي تابعة لبلدية تيمي وتوجد هذه الخزانة بيد حفيده السيد مبدوبي امحمد، وقد أصاب هذه الخزانة التلف والضياع بسبب العوامل الطبيعية والبشرية ولم يبقى منها إلا الشيء القليل.
21يرجع تاريخ تأسيس الزاوية إلى القرن الحادي عشر الهجري (17م)ن وقد أسسها الشيخ سيدي احمد الملقب بأبي سبع حجات وكان من العلماء الذين نبغوا في العلم، التف حوله طلاب كثيرون، وكان يحضر مجلسه أكثر من مائة طالب، أسس سبع زوايا، أشهرها بقصره الذي سمي باسمه زاوية سيدي حيدة، تصغير أحمد، كان يقود الركب، وسمي بشيخ الركب، خلف مكتبة أوقفها على إبنه الأفقه فكانت من نصيب إبن إبنه الشيخ سيدي محمد بن مبروك. ينظر:. أحمد جعفري، محمد بن أب المزمري، ص50. سلسلة النواة، ج1، ص107. عبد الكريم عوفي، مرجع سابق، ص 127.

22عاين أحد الباحثين هذه الخزانة ولاحظ الحالة التي وصلت إليها فقال: أنها في حلة يرثى لها وهي من بين الخزائن التي تحتاج إلى تدخل لانقاد ما تبقى منها بعد ترتيب أوراقها المبعثرة في الخزائن. ينظر: مختار حساني،" تاريخ المخطوطات "،مرجع سابق، ص70. وتوجد هذه الخزانة بيد السيد محمد جعفري.
23 توجد هذه الخزانة بمقر زاوية كنتة التي تقع جنوب أدرار، وتبعد عن مقر الولاية بـ 77 كلم.
24 خزانة زاوية كنتة حاليا هي بيد أبناء و أحفاد الشيخ الحاج أمحمد الكنتي بعد وفاته رحمه الله.
25حساني مختار، مرجع سابق، ص68..
26 هذا المخطوط قام بدراسته وتحقيقه الدكتور عبد القادر زبادية في كتابه الموسوم ب: دراسة حول أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، الجزائر 1974م. وانظر أيضا: مبروك مقدم، أجوبة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي للأمير الحاج محمد بن أبي بكر أسقيا الكبير، ج2، دار الغرب وهران الجزائر،2002م.
27 محمد باي بلعالم، قبيلة فلان، ص 338.
28المرجع نفسه والصفحة نفسها.
29 حسب الحوار الذي دار بيننا وبين القائم على هذه الخزانة السيد بن مالك عبد الكريم، فقد ذكر أن الخزانة قد تضرّرت بالأمطار الغزيرة سنة 1965م لأن أغلب البنايات طوبية مبنية من (الطين) لا تقاوم شدة سقوط الأمطار الغزيرة . وكذا الأرضة التي أتت على الكثير من أوراق تلك الكتب الموجودة بالخزانة. وقد استفادت مؤخرا بدعم الجهات الوصية من غرفة خاصة تضم أغلب محتويات الخزانة.
30 وهي حاليا بيد الأستاذ أمحمد لنصاري، ويسعى جاهدا على تنظيمها واتاحتها في يد الباحثين للاستفادة منها .
31 أسّس قصر أركشاش سنة 683هـ/1284م، وذلك حسب التقييد السالف الذكر.
32 أثناء زيارتنا لقصر أركشاش بأقبلي بتاريخ: 11 يناير 2006م الموافق لـ 06 شوال من عام 1426هـ. أطلعنا إمام المسجد السيد الطالب لمين منصوري على هذا المصحف المحفوظ بطريقة جيدة رغم قدم تاريخ نسخه. والآن قد مضى على نسخه خمسمائة واثنان وخمسون (552) سنة وتراه كأنه كتب في هذا الوقت، ويتردد الكثير من الباحثين و الفضوليين للاطلاع عليه من كل مكان، ورغم أنه بقي هذه المدة الطويلة إلا أنه لم يتغير ولم يتلاشى ولم تؤثر فيه حرارة المنطقة فهو معجزة خالدة ،وكان القضاة في فترة سابقة يجلبون له الخصماء لما ثبت عندهم من الاعتقاد أن الناس يعظّمونه أكثر من أي مكان في هذه الجهات".
33 هو الشيخ محمد باي بلعالم من مواليد بلدة (ساهل) بأقبلى سنة 1930م، درس على يد والده الشيخ محمد بن عبد القادر بن محمد و على شيوخ كثيرون، منهم الشيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي (تـ 1399هـ/1978م)، وله ما يزيد عن ثلاثين مؤلفا بين نظم وشرح وتأليف، و كان يشرف على مدرسة مصعب بن عمير القرآنية الفقهية بمقر دائرة أولف ولاية أدرار. أنظر ترجمته كاملة للشيخ محمد علي الأمين الشنقيطي وقد نشرت في كتابه: الرحلة

العلية ، ج2، ص ص 376-386. وقد توفي رحمه الله بتاريخ 19 أفريل سنة2009م، فرحمه الله وأعلى مقامه في الصالحين.
34 حسب ما أفادنا به أحفاده القائمين حاليا على الخزانة فان السيد أحمد بن مبارك يكون قد ولد بأولف خلال عام 1860م وأمه مباركة بنت أحمد الشعير. تعلم على يد والده الطالب مبارك وأخذ عن بعض علماء توات ، وقد عرف عند عامة الناس في أولف باسم سيدي أحمد العالم لما عرف عنه من العلم والتقوى وقد نشأ في أسرة عرفت بالعلم والصلاح.
35 بالرغم من إشاعة الثقافة التراثية في المنطقة إلا أننا لم نتمكن من معرفة محتويات تلك الخزانة ونتمنى أن تبذل الجهود وتتكاثف جميعها من أجل بعث ونشر محتويات تلك الخزانة التي كان لها دوراً رائدا في الحركة الثقافية وتنشيط التعليم على يد الشيخ وتلاميذه في المنطقة وما جاورها.
36 اشتهرت المدرسة القرآنية والفقهية ساهل أقبلى ببعض النساخ والخطاطين، وخاصة كتابة المصحف الشريف، وفد اعتنى علماؤها وطلبتها بنسخ القرآن الكريم وكتابته بواسطة الوسائل البسيطة الموجودة في ذلك الوقت (الدواة والقلم والكاغد)، ونذكر من هؤلاء النساخ المقرئ العلامة محمد عمار بن محمد بن الحاج أحمد بن محمد بن مالك (تـ 1364ه/1954مـ) الذي كان حافظا للقرآن الكريم وكان يمتاز بمهمة نسخ الكتب والمصاحف، وقد وجد في مذكراته التي يُسجّل فيها مخطوطاته أنه نسخ بقلمه خمسة وأربعين (45) مصحفا كاملا ونسخ الكثير من الأجزاء والأرباع. ينظر: قبيلة فلان، مرجع سابق، ص54. أحمد بن مالك، مرجع سابق، ص08.
وقد شاعت حركة النسخ والاستنساخ في العديد من المراكز العلمية والثقافية بتوات حتى أنه كان لها اختصاصيون مشهورون، ومن شروطها جودة الخط و حسن اختيار الورق وإتقان صناعة الوراقة والسرعة والمهارة في التوثيق والدقة في العمل وصحة النظر. ينظر: مبروك مقدم: المخطوطات داخل الخزانات الشعبية، مرجع سابق، ص 78.
37 القائم عليها حاليا هو السيد الطاهري أمبارك ،أستاذ التعليم الثانوي بثانوية العقيد عثمان منذ سنة1996م إلى غاية يومنا هذا.
38 لمعرفة محتويات الخزانة الزيانية القندوسية ينظر: عبد القادر بوباية:"الخزانة الزيانية القندوسية نموذج محلي للحفاظ على التراث الوطني" في المجلة الجزائرية للمخطوطات،العدد05،مخبر مخطوطات الحضارة الاسلامية في شمال افريقيا، جامعة وهران،2008م،ص ص 214-218.
39 تبعد مدينة كرزاز عن مقر مدينة بشار بحوالي 300كلم إلى جنوب الولاية.
40 عبيد بوداود: "دور الزوايا في الحفاظ على التراث المخطوط زاوية كرزاز نموذجا"، في المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد الأول، مخبر البحث: الجزائر تاريخ ومجتمع في الحديث والمعاصر، جامعة سيدي بلعباس، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر سبتمبر 2009م،ص ص37-40.

41 ينظر: مصطفى بن الحاج بكير حمودة:" المخطوط في منطقة وادي ميزاب: قيمته الحضارية و التاريخية من خلال مكتبة "الشيخ الحاج صالح بن عمر لعلي1287-1347هـ/1870-1928م " ، في موقع جمعية التراث ، صفحة ويب:
يوم2014/03/15، في الساعة الثامنة
www.tourath.org/ar/content/view/15/1مساء.
42 مصطفى بن الحاج بكير حمودة: المرجع السابق. وانظر أيضا: عمر لقمان سليمان بوعصبانة: " واقع المخطوطات الاسلامية في البلاد العربية والأوربية"، في المجلة الجزائرية للمخطوطات،العدد05،مخبر مخطوطات الحضارة الاسلامية في شمال افريقيا، جامعة وهران،2008م،ص92.زلاقي و روباش:" وضع المخطوطات العربية في الجزائر"، في مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد الثاني، المركز الجامعي بغرداية،أكتوبر2007م،ص ص27-29.
43 مصطفى بن الحاج بكير حمودة: المرجع السابق، صفحة ويب:
يوم2014/03/15، في الساعة الثامنة
www.tourath.org/ar/content/view/15/1مساء.
44مصطفى بن الحاج بكير حمودة: المرجع السابق، صفحة ويب:
يوم2014/03/15، في الساعة الثامنة
www.tourath.org/ar/content/view/15/1مساء.

الاسم: الأستاذ: زهير بابا واسماعيل
باحث متفرغ السنة الرابعة دكتوراه
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة.
عنوان المداخلة:. حماية خزائن المخطوطات في وادي مزاب بغرداية وفهرستها.

توطئة

اشتهرت منطقة وادي مزاب على مدار قرون من الزمن بحراك ثقافي متميز شمل جميع الفنون العلمية، فكثرت في مواطنهم حلقات العلم ومجالس العلماء ودور

التعليم، ونتج عن ذلك ازدهار في وسائل التعليم ومرافقه، فانتشرت الكتب والمؤلفات، وازداد الحرص على اقتنائها واستنساخها ولو ببذل الغالي والنفيس.
ويتجلى هذا الحراك في التراث الضخم الذي تزخر به المنطقة، حيث تحتوي مكتبات وادي مزاب بغرداية على نفائس المخطوطات التي تتوزع على مختلف قصور الوادي؛ إذ لا يخلو قصر من القصور من مكتبة تضم أنفس المخطوطات العربية والإسلامية وفي شتى المذاهب.
وقد بُذلت جهودٌ معتبرة منذ بداية القرن الماضي من قبل هيئات وباحثين؛ لخدمة هذا التراث وفهرسته؛ تيسيرا لمهمة الباحثين والدارسين لتراث المنطقة والجزائر عموما بأبعادها الجغرافية والدينية والثقافية.
وسنحاول من خلال هذه الورقة البحثية إحصاء أهم المراكز والمكتبات المتواجدة في وادي مزاب، وبيان الجهود التي تقوم بها بعض المراكز لفهرسة هذه المخطوطات وحفظها من نوائب الزمان. لذ فقد قسمت الورقة إلى مبحثين:

المبحث الأول: عرض لأهم المراكز والمكتبات التي تحتوي على المخطوطات بوادي مزاب:

المطلب الأول: مكتبات بقصر بن يزقن: منها[1]:

1- مكتبة الإستقامة:

المكتبة تابعة لعشيرة آت بامحمد ببني يزقن، وتقع في إحدى أزقة ساحة سوق قصر بني يزقن، فتحت أبوابها كمكتبة عمومية سنة 1990م.
وتتكون المكتبة من خزانتين:
الأولى: هي خزانة عائلة الثميني والتي تتشكل من عدة خزائن لعلماء من عائلة الثميني وهي[2]:
- خزانة ضياء الدين الشيخ عبد العزيز الثميني. (ت:1223ه/1808م)
- خزانة الشيخ إبراهيم بن بحمان (ت:1232ه/1819م) وهو ابن أخت الشيخ عبد العزيز الثميني.
- خزانة الشيخ محمد بن صالح الثميني (ت:1970م) حفيد حفيد الشيخ عبد العزيز الثميني.
الثانية: تتكون من مجموعات ألحقت بالمكتبة من قبل بعض الخواص بعد إتمام فهرسة الخزانة الأولى، وتتشكل هذه الخزانة من[3]:

- مكتبة الشيخ عبد العزيز بن يوسف بن يحيى الثميني.(ت:1974م)
- بعض كتب من خزانة للسيد زكري بن سعيد زكرياء (ت:1948م)
- بعض كتب من خزانة للأستاذ تزقغين محمد بن صالح (ت:1964م)
- مكتبة الشيخ صالح بن الحاج عيسى بزملال. (ت:1999م)
- مكتبة السيد محمد بن عمر بكاي (ت:1911م)

وقد تولّت إدارة العشيرة بالتنسيق مع قيم المكتبة مهمة متابعة فهرسة الخزانتين، وانتدب للعملية الباحثان بشير بن موسى الحاج موسى ويحيى بن عيسى بوراس.

تمت فهرسة الخزانة الأولى بتاريخ 20 رمضان 1426هـ الموافق لـ23 أكتوبر 2005م.

ويقع الفهرس في 300 صفحة بمجموع 588 مخطوطا، مرتبة بحسب المواضيع، وأقدم مخطوط فيه هو كتاب الكشاف للزمخشري والذي يعود تاريخ نسخه إلى سنة 776هـ.

أما الخزانة الثانية فقد تم فهرستها بتاريخ 3 ربيع الأول 1427هـ الموافق للفاتح من أفريل سنة 2006م.

ويقع الفهرس في 321 صفحة بمجموع 695 مخطوطا مرتبة بحسب المواضيع، وأقدم مخطوط مؤرخ فيه هو كتاب الدليل والبرهان لأبي يعقوب الوارجلاني، (ت: 570هـ) والذي تم نسخه بتاريخ 1018ه.

وتكتسي المكتبة أهمية بالغة لاحتوائها على نوادر المخطوطات، كما أنها تحتوي على كتب لأشهر عالمين في المنطقة وهما الشيخ عبد العزيز الثميني، والشيخ امحمد بن يوسف اطفيش.

2- مكتبة آل يدر:

المكتبة تابعة لعشيرة لعشيرة آل يدر ببني يزقن، ويرجع أصل ملكية المكتبة خاصة إلى الشيخ محمد بن باحمد بن يحيى (حي في 1351هـ)، وباحمد بن حمو بن يحيى يدر (حي في 1352هـ).

ويعد فهرس عشيرة آل يدر أول فهرس يصدر في إطار دليل المخطوطات لجمعية التراث، وذلك في رمضان 1414هـ الموافق لشهر فيفري 1994م. وقد سبقت محاولات لفهرسة هذه المكتبة من قبل فريق من الطلبة.

يحتوي الفهرس على 259 صفحة، بها 594 مخطوطا، ضمن 294 مجموعا، مرتبة حسب المواضيع.

ومعدل عمر المكتبة أكثر من قرنين من الزمن، وأقدم مخطوط لها هو كتاب الترتيب من الجامع الصحيح لأبي يعقوب الوارجلاني (ت: 570هـ) والمنسوخ في 15 رجب 815هـ
والمخطوطات في المكتبة قليلة التآكل والخرم مقارنة بغيرها، ومحفوظة بحفظ جيد. (4)

3- مكتبة آل فضل:

المكتبة ملك لعشرة آل فضل ببني يزقن، ويعتبر السيد موسى بن عمر بن يعقوب بن موسى (عاش في النصف الثاني من القرن 12ه)، منشئ المكتبة، وهو الذي أوصى بحبسها، ثم انتقلت إلي أبنائه أبا عن جد والذين ساهموا في إثرائها، إلى أن انتقلت إلى العشيرة على يد عمر بن محمد بن عمر بن موسى (ت: 1943م)، كما ساهم في إثراء هذه المكتبة الشيخ أبو زكرياء يحيى بن صالح الأفضلي. (ت: 1202هـ-1787م). (5)
وتعتبر خزانة مكتبة آل فضل العمل الخامس ضمن دليل مخطوطات وادي مزاب الذي قامت به جمعية التراث، وأسندت مهمة متابعة العمل للسيد بوراس يحيى، ليكتمل العمل في رمضان من سنة 1416هـ الموافق لشهر فيفري من سنة 1996م. يقع الفهرس في 185 صفحة، اشتملت على 508 عنوانا في شتى الفنون.
وتظهر أهمية المكتبة في تواريخ نسخها التي يرجع أكثرها إلى القرنين 11-12ه/17-18م، كما يرجع بعضها إلى القرنين 9-10 ه/15-16م، ويرجع أقدمها إلى 669م. (6)
ورغم قدم المكتبة نسبيا وتعرضها إلى بعض الإهمال في فترات من الزمن إلا أن مجموع عدد المخطوطات الكاملة يبلغ أكثر من نصف المجموع الإجمالي لمخطوطات الخزانة. (7)

4- مكتبة آل خالد:

المكتبة ملك من أملاك عشيرة آل خالد ببني يزقن، تحتوي على خزانة الشيخ محمد بن عيسى أزبار، (تـ: 1296هـ-1872م)، وقد كانت عند أحفاده ثم وضعت تحت تصرف العشيرة، وضمت إليها أيضا خزانة الشيخ إبراهيم بن موسى محفوظ (ت: 1948م)، وخزانة الشيخ عمر بن يوسف عبد الرحمن.

والمكتبة جلبها مالكها الأصلي الشيخ محمد بن عيسى أزبار من عمان. (8) لذا فهي تعتبر أكبر مكتبة شاملة لمخطوطات عمانية مشرقية في المغرب عموما. (9)
تمت فهرسة هذه المكتبة في إطار مشروع دليل المخطوطات بوادي مزاب لجمعية التراث، وذلك في ذي القعدة من سنة 1417هـ يوافقه شهر ديسمبر من سنة 1997م لم تصنف المخطوطات في الفهرس حسب مواضيعها، وإنما اكتفي فيها بكشاف مستقل للمواضيع وضعت أمامها أرقام المخطوطات التي تندرج فيها. كما أن بطاقات المخطوطات رقمت برقم البطاقة وليس بالصفحات.
تحتوي المكتبة على 775 مخطوطا، وحالة حفظ أغلب النسخ جيدة ويقل فيها التآكل والخرم.
معدل عمر المكتبة هو القرن الثاني عشر للهجرة، وأقدم نسخة في المكتبة هي لكتاب "سبوغ النعم" وهو لمؤلف مجهول، تم نسخها في 900هـ من قبل زايد بن يسفاو الوسياني.

5- مكتبة محمد بن سليمان بن ادريسو:
أصل المكتبة هي للشيخ محمد بن سليمان ابن ادريسو (ت: 1313هـ-1896م)، بها جل مؤلفاته، إضافة إلى اقتناءات مختلفة، ثم انتقلت إلى ابنيه سليمان وصالح اللذين ساهما في إثرائها، وهي حاليا عند حفيديه الحاج صالح بن سليمان والحاج عمر بن صالح. (10)
وتحتوي المكتبة حاليا على خزانتين:
الأولى: خزانة الحاج صالح بن سليمان ابن ادريسو، وهي تحت رعاية أولاده.
الثانية: خزانة الحاج عمر بن صالح ابن ادريسو، وهي في بيته.
تمت الانطلاقة في فهرسة المكتبة في إطار مشروع دليل المخطوطات بوادي مزاب لجمعية التراث إلا أن العمل لم يكتمل حيث تم تنظيم الخزانتين وتقييد البطاقات ونقلها إلى الحاسوب، ثم أخذ الأستاذ ابن ادريسو مصطفى بن محمد زمام الأمور من بعدها، حيث بذل جهودا معتبرة لتصحيح ما قام به فريق العمل في جمعية التراث؛ خاصة لتمييز مخطوط كل خزانة عن الأخرى، ليكتمل العمل في رمضان من سنة 1419هـ يوافقه شهر ديسمبر من سنة 1998م. (11)
والفهرس يقع في 94 صفحة، ومقسم إلى قسمين، لكل خزانة وضع لها فهرس مستقل. بمجموع 254 مخطوطا، لم تصنف المخطوطات في الفهرس حسب

مواضيعها، وإنما اكتفي فيها بكشاف مستقل للمواضيع وضعت أمامها أرقام المخطوطات التي تندرج فيها.
تحتوي المكتبة إلى جانب المخطوط عددا معتبرا من الجرائد الأسبوعية التي كان يصدرها أبو اليقظان في نهاية العشرينيات والثلاثينات من القرن الماضي، منها جريدة وادي مزاب (110 عددا)، جريدة النور (77 عددا)، جريدة الأمة (170 عددا).

6- مكتبة القطب:

وتعود المكتبة إلى العالم الجليل الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش (ت: 1332ه/1914م)، الذي يعتبر عمدة الدارسين لفكر المنطقة، لفضل نتاجه الغزير من المؤلفات وفي شتى المجالات، حيث خلف أزيد من 135 عنوانا في أكثر من 25 مجالا من مجالات العلم. (12)
وقد انتدبت جمعية أبي إسحاق إبراهيم اطفيش لخدمة التراث بتصوير المكتبة ووضع فهرس جردي لمحتوياتها بالتنسيق مع حفيد القطب قيم المكتبة وذلك سنة 2008م. (13)
وتعد مكتبة القطب أغنى مكتبة بوادي مزاب، حيث تحتوي على 968 وحدة، والمقصود بالوحدة ما بين دفتي الجلدة أو الغلاف "سفر" بغض النظر عن عدد العناوين التي تكون داخل هذه الوحدة، قد تصل أحيانا إلى العشرات.
وترجع أهمية المكتبة إلى الروافد التي استقت منها، وإلى تنوع الفنون التي تحويها، ولا غرو فهي مكتبة عالم جليل، وتشهد لذلك خزانته التي تحوي إنتاجه العلمي الغزير والذي يتنوع بين تأليف مطول ومختصر وبين شرح وحاشية، وأكثرها بخط يديه، فضلا عن بعض المؤلفات التي خرجت من الخزانة ولم ترجع أو تلك التي ربما ضاعت فلم يبق سوى عنوانها.

7- خزانة الشيخ محمد بن يوسف ببانو:

تعود المكتبة إلى الشيخ محمد بن يوسف ببانو (1409ه/1988م)، من مشائخ بلدة بني يزقن في نهاية القرن الماضي تقلد عدة مهام اجتماعية وتفرغ للتعليم والتدريس، ما حمله على وقف مكتبته لينتفع بها طلبة العلم. (14)

استطاع الشيخ ببانو أن يكون مكتبة قيمة وثرية من خلال الشراء وقبول الهدايا، وقد ضم لمكتبته مجموعات صغيرة من الكتب كمجموعة أستاذه إبراهيم بن بكير حفار (ت:1373ه/1954م)، وشيخه الحاج صالح بن عمر لعلي (ت: 1347ه/1928م)، والشيخ عمر بن يوسف ونتن (أوائل ق: 14هـ / 20م) وغيرهم.

وبعد وفاة الشيخ ببانو، وتجسيدا لوصيته قامت إدارة مكتبة الحاج صالح لعلي بإلحاق خزانته بمكتبة شيخه، ثم تولت المكتبة عملية فهرسة الخزانة تحت إشراف الأستاذ يحيى بوراس، وتم الفراغ من الجزء الأول منه[15] في شهر أوت من سنة 2006م. [16]

ويحتوي الفهرس على 180 صفحة والتي تضم 378 عنوانا.

المطلب الثاني: مكتبات بقصر غرداية: منها:

1- مكتبة الخزانة العامة لمؤسسة الشيخ عمي سعيد:

قام بفهرستها قسم التراث بمؤسسة الشيخ عمي سعيد، وهي الفهرسة الثانية للخزانة بعد العمل الأول الذي قام به فرق العمل ضمن دليل المخطوطات بوادي مزاب لجمعية التراث في التسعينيات.

الخزانة هي ملك للمؤسسة وقد كانت في بداية الأمر تابعة للمدرسة القرآنية التي يشرف عليها المسجد الكبير بغرداية. ثم عرفت تزويدات مختلفة على أيدي أعضاء من إدارة المؤسسة، من طريق الإهداء أو التبرع.

كما تدعمت الخزانة بمكتبات محبسة وأخرى موروثة لمشايخ منهم: الشيخ بهون فخار تلميذ قطب الأئمة (تـ:1394هـ-1974م)، والشيخ محمد بن إبراهيم كوله تلميذ القطب أيضا (تـ: 1363هـ-1944م)، ويوسف تزبينت قاضي المحكمة الإباضية بقسنطينة (تـ:1387هـ-1968م). وغيرهم. [17]

ويعتبر فهرس الخزانة العامة أول فهرس ينجزه قسم التراث بمؤسسة الشيخ عمي سعيد، عن طريق تنظيم دورات مغلقة تضم ثلة من الأساتذة والباحثين، وكان الفراغ منه في شهر شعبان من سنة 1423هـ يوافقه شهر أكتوبر من سنة 2002م. [18]

ويضم الفهرس بين دفتيه 725 مخطوطا مرتبة حسب الموضوعات في مجموع 316 صفحة. كما يحتوي الفهرس على ملحقين أحدهما للمصاحف الشريفة والتي تضم 34 مصحفا، وآخر للمخطوطات المصورة والتي يبلغ عددها 83 مخطوطا.

وتعود أقدم نسخة في الخزانة إلى سنة 697هـ وهو عبارة عن مجموعة من الأحاديث الأربعينية.

2- مكتبة الخزائن الثلاث:

هذه المكتبة تكونت نتيجة للعملية التحسيسية التي بادرت بها مؤسسة الشيخ عمي سعيد، حيث قامت بتحسيس ملاك المكتبات بأهمية الموروث الحضاري الذي بين أيديهم، ما دفعهم إلى وضعها تحت تصرف المؤسسة التي بادرت إلى إنجاز فهرس واحد يشمل مخطوطات الخزائن الثلاث. (19) وتم إصدار الفهرس في 15 ربيع الثاني 1426ه الموافق لـ 24 ماي 2005م.

ويضم هذا الفهرس ثلاث خزائن وهي(20):

- خزانة الشيخ صالح بن كاسي الغرداوي الذي كان شيخ العزابة بغرداية (ت: 1299ه/1882م)،(21) والذي يعود إليه الفضل في إنشاء المكتبة التي استقرت لدى أحد أحفاد شقيقه الحاج موسى بن كاسي الذي حافظ عليها وأثراها بمجموعة من الكتب الفريدة والوثائق المهمة.
- خزانة الحاج بكير بن قاسم بوكرموش. (ت:1958م)، وكان له الفضل في إنشاء المكتبة وتوقيفها بعد وفاته لطلبة العلم.
- خزانة الفاضل باحمد بن قاسم اشقبقب، كون مكتبته من مقتنياته الخاصة ومما آل إليه من أستاذه موسى بن بهون، وبعد وفاته ترك مكتبته وقفا لطلبة العلم.

ويضم الفهرس بين دفتيه 486 عنوانا موزعة بين الخزائن الثلاث، إضافة إلى 15 مصحفا.

وتكمن أهمية هذه المكتبة كونها شاهدة عيان على النشاط الثقافي والاهتمام العلمي لأصحابها، وترجمة مضيئة لجوانب من عصرهم، إضافة إلى احتوائها على مخطوطات ذات أهمية تاريخية من حيث ندرتها وأخرى من تقدم نسخها، وتعود أقدم نسخة إلى سنة 880ه، وهي كتاب القواعد لإسماعيل بن موسى الجيطالي (ت: 750هـ).

3- مكتبة دار التعليم:

وهي مكتبة تابعة لدار التعليم الواقعة بإحدى شوراع قصر غرداية والقريبة ببضع أمتار عن المسجد الكبير، وقد شهدت هذه الدار حركة علمية ونشاطا تعليميا لمحو الأمية ونشر تعاليم الدين الحنيف، يشرف على هذا النشاط ثلة من المشائخ والعلماء.

وترجع النواة الأولى لمكتبة دار التعليم إلى العالمة المشهورة مامه نسليمان بباز (ت:1349هـ/1932م)، [22] التي حبست جميع كتبها للدار، ثم أضاف إليها نجلها الشيخ بكير بن عمر موسى وعلي (ت:1377ه/1957م) بعض الكتب، كما أثراها من بعده الشيخ بكير بن علي موسى وعلي (ت:1405ه/1985م) بمجموعة هامة من العناوين.[23]

الفهرس به 230 صفحة ويحتوي على 509 مخطوطا، وأقدم نسخة مؤرخة هي شرح عبد الله بن عمر بن زياد العماني على رائية الصلاة للملوشائي، والتي تم نسخها في 1034ه.

تحتوى المكتبة على نسخ متميزة وعناوين فريدة، إضافة إلى مؤلفات للشيخ بكير بن عمر موسى وعلي خطها بيده.

4- مكتبة دار التلاميذ (إيروان) بالمسجد الكبير:

المكتبة ملك لمنظمة إيروان التابعة للمسجد للمسجد العتيق بغرداية، وكلمة إيروان هي كلمة بربرية معناها طلبة العلم الذين حفظوا القرآن الكريم، وهذه المنظمة هي القوة الثانية بعد العزَّابة، ولها نظام وتقاليد وحقوق خاصة بها، وهي كالمجلس الإستشاري المساعد للعزابة، أو كمجلس النواب بالنسبة للشيوخ، وكثيراً ما يسند العزَّابة أعملاً إلى مجلس (إيروان). [24]

وتعتبر مكتبة إيروان للمسجد الكبير من أقدم وأكبر المكتبات التي تحتوي على المخطوط بغرداية، ويعود الفضل في نشأتها إلى الشيخ سعيد بن علي الجربي (ت:927هـ) الذي قدم من جربة فكون نهضة علمية في مزاب، يقول عنه الشيخ أبو اليقظان: «وقد ترك الشيخ كثيرا من نفائس الكتب التي يمتلكها حبسا في خزانة دار التلاميذ في غرداية بخطه في نص الوقف..» [25]

ثم تعددت مصادر تزويدها عبر قرون متعدد، ومن أهم هذه المصادر[26]:

- الوقف: حيث عمد الكثير ممن ورث كتبا إلى وقفها لطلبة العلم في دار إيروان بالمسجد ابتغاء الأجر وثواب الصدقة الجارية.
- ضم الخزائن الخاصة أو أقسام منها عند انعدام أحد شروط الواقف، حيث تؤول بالتبع إلى المصلحة العامة التي تمثلها الهيئة المسجدية.
- ضم الكتب التي لم يعلم صاحبها، فتؤول إلى المسجد تبعا للقاعدة الفقهية أي مال لم يعلم صاحبه فهو في سبيل الله.
- عملية النسخ من قبل مشائخ وتلاميذ دار إيروان.

وقد قام بفهرستها قسم التراث بمؤسسة الشيخ عمي سعيد وذلك سنة 1430هـ الموافق لـ 2009م.

وتعتبر هذه المكتبة ذات أهمية بالغة لكونها تابعة لصرح علمي وهو دار إيروان أو التلاميذ، وتبرز هذه الأهمية في العدد الضخم من المخطوطات التي تضمه هذه المكتبة، حيث تضم أكثر من 1303 مخطوط،[27] إضافة إلى احتوائها على أقدم المخطوطات، إذ يعود أقدم مخطوط في المكتبة إلى القرن التاسع الهجري (أواخر شعبان من سنة 889هـ)، وهو كتاب ديوان الأشياخ الذي ألفه مجموعة من المشائخ في جبل نفوسة بليبيا خلال القرن الخامس الهجري. [28]

5- مكتبة خزانة القاضي أبي بكر بن مسعود:

هذه الخزانة هي للشيخ القاضي أبي بكر بن مسعود الغرداوي الشهير بالشيخ الحاج بابكر (ت:1325ه/1907م) أحد تلامذة القطب ورئيس حلقة العزابة بغرداية خلفا للشيخ صالح بن كاسي (ت: 1299ه/1882م)، كما شغل لفترة من الزمن رئيسا للمحكمة الشرعية الإباضية بمعسكر ثم بغرداية. [29]

تتواجد خزانة القاضي أبي بكر حاليا بجمعية أبي إسحاق اطفيش لخدمة التراث بغرداية، وضعها أحفاد الحاج بابكر في يد الجمعية بغية فهرستها وتنظيمها، وقد شرعت الجمعية في سنة 1992م في فهرستها، فأنجزت بطاقات فنية لأغلب مخطوطاتها إلا أن لم يكتمل.

وبطلب من الجمعية تكفل قسم التراث بمؤسسة الشيخ عمي سعيد بمهمة فهرستها في إطار مشروع القسم، وتم ذلك في رجب من سنة 1428هـ الموافق لشهر أوت 2007م. [30]

ويضم الفهرس 334 مخطوطا في 180 صفحة، وتحتوي الخزانة على أقدم نسخة من كتاب المستصفى للغزالي (تـ: 505هـ)، يرجع تاريخ نسخها إلى سنة 552هـ. نسخها علي بن أبي القاسم نصر بن محمد بن أحمد العنزي.

بالإضافة إلى امتلاك الخزانة لمجموعة من النسخ القديمة فإن أهمية المكتبة تعود أيضا إلى سلامة مخطوطاتها من الخرم والنقص على غير عادة أغلب مخطوطات، وكذا تميّزها عن غيرها من المكتبات بعناوين فريدة، استطاع صاحب الخزانة الحصول عليها لفضل ما من الله عليه من اليسر وسعة الرزق.[31]

6- خزانة آل اشقبقب:

تضم الخزانة مخطوطات زودها أبناء عائلة آل اشقبقب بغرداية و بخاصة منهم:
- الشيخ الفقيه الحاج إبراهيم بن سليمان اشقبقب (ت1340ه-1922م).
- الحكيم الحاج صالح اشقبقب نجل الحاج إبراهيم (ت1394ه-1974م).
وهي من المكتبات الحديثة التي تم فهرستها من قبل قسم التراث بمؤسسة الشيخ عمي سعيد، إذ يعود تاريخ فهرستها إلى سنة 1433هـ الموافق لـ2012م. (32)
وتعد المكتبة من أهم المكتبات في قصر وادي ميزاب رغم عددها القليل إذ لا يتجاوز عدد المخطوطات بها 284 مخطوطا. إلا أن عراقة العائلة وشهرتها بالعلم والاعتناء بأهله جعلتها تكتسي أهمية بالغة، إضافة إلى احتوائها على مجموعة معتبرة من أجوبة القطب، وعلى كتب متميزة في علم الفلك والهيئة عز وجودها في غيرها من الخزائن.
وأقدم مخطوط في الخزانة هي نسخة من كتاب قطف الأنوار من روضة الأزهار للشيخ عبد الرحمن الشهير بابن المفتي، (ت: 1008ه) حيث يعود تاريخ نسخها إلى سنة 1151ه.

7- مكتبة الراعي:

مكتبة الراعي نسبة إلى ساحة الراعي الواقعة في وسط المدينة بغرداية، وهي تابعة لجمعية الإصلاح التي تأسست سنة 1346ه/1928م. (33)
وترجع خزانة المخطوطات في المكتبة إلى مصدرين أساسيين(34):
- كتب من تركة السيد محمد بن إبراهيم كله (ت:1363ه/1944م)، تلميذ القطب، وصلت المكتبة في أواسط السبعينات.
- كتب من تركة السيد أحمد لن سليمان لقاف (ت:1374ه/1955م)، وصلت المكتبة في أواخر التسعينيات.
تولت جمعية أبي إسحاق اطفيش لخدمة التراث مهمة فهرسة المكتبة، وكلفت بالمهمة الباحثين صالح بن بكير سيوسيو ومحمد بن عمر بوسنان، ليكتمل العمل في صفر من سنة 1433ه الموافق لجانفي 2012م.
والفهرس يقع في 113 صفحة ويضم 134 مخطوطا، وأقدم نسخة مؤرخة هي لكتاب قواعد الإسلام لإسماعيل بن موسى الجيطالي (تـ:750هـ) والتي نسخت في سنة 1121ه.
وبالرغم من أن المكتبة تضم عددا قليلا من المخطوطات إلا أنها تتميز باحتوائها على كتب مهمة لقطب الأئمة الشيخ امحمد اطفيش وبعضها بخط يديه، كما أن في

الخزانة كتبا تفرقت أجزاؤها بينها وبين مكتبات أخرى خاصة منها مكتبتي القطب والخزانة العامة لمؤسسة الشيخ عمي سعيد.

المبحث الثاني: جهود فهرسة مكتبات وادي مزاب:

تميزت المكتبات الخاصة بالمخطوطات في وادي مزاب بصعوبة الدخول إليها والاستفادة من كنوزها، فعشش فيها العنكبوت، وكانت مرتعا للأرضة، حبيسة الرفوف تنتظر لحظة الخلاص، وهو الذي عبر عنه المحققان لكتاب: أخبار الأئمة الرستميين لابن الصغير أثناء ذكرهما للصعوبات والعراقيل التي وقفت أمامهما حيث قالا: « إنَّ الذين يتحمَّلون المسؤولية الكبرى في هذا الإهمال، هم المعنيون بهذا التراث قبل غيرهم؛ لأنَّهم لم يبذلوا أيَّ جهد في إزالة التراب عن هذا التراث، الذي ما يزال أغلبه في رفوف الخزائن الخاصة؛ وقد عبثت السنون والأرضة بالكثير منه. وسوف يأتي اليوم الذي يدرك فيه أصحاب هذه الخزائن أنَّهم أساؤوا في حقِّ المعرفة الإنسانية، كما أساؤوا في حقِّ تاريخهم وحضارتهم». (35)

وقد قام بعض الباحثين والمستشرقين بمحاولات لتسهيل عمل الباحثين عن المخطوطات بوادي مزاب عن طريق الإشارة إلى بعض هذه العناوين وأماكن تواجدها في وادي مزاب في دراسات وأعمال بيبليوغرافية لوادي مزاب.

ومن أبرز هذه الجهود نذكر أعمال المستشرقين كالمستشرق موتيلانسكي في "بيبليوغرافية مزاب" سنة 1885م، والمستشرق شاخت في مقاله "المكتبات والمخطوطات الإباضية سنة 1956م، وأبحاث فون هاس حول المخطوطات الإباضية في سنة 1974م.

إضافة إلى بعض المحاولات البيبليوغرافية الحديثة كالقائمة التي أنجزها الباحث عمرو خليفة النامي حول المخطوطات الإباضية المكتشفة حاليا وذلك سنة 1970م، وما قام به الشيخ عبد الله كنطابلي بوضعه لبطاقات وصفية لمؤلفات القطب المخطوطة. (36)

وفي مطلع التسعينيات من القرن الماضي حظيت مكتبات وادي مزاب بعناية جمعيات ومؤسسات خاصة وعرفية بعد أن انتشر الوعي -خاصة بين ملاك المكتبات الخاصة- بأن العلم ووسائله ملك للمتعلمين والباحثين وليس ملكا لأصحاب المفاتيح والوارثين، فبادرت هذه الجمعيات إلى وضع فهارس علمية للمخطوطات التي تحتويها وتصويرها ورقمنتها ليسهل على الباحثين العودة إليها.

المطلب الأول: جهود مؤسسة الشيخ عمي سعيد:

مؤسسة الشيخ عمي سعيد مؤسسة تربوية غير ربحية تمتد جذورها إلى تاريخ تأسيس حلقة العزابة بالجزائر في بداية القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، تهتم بتكوين الفرد لأداء واجبه نحو نفسه وأسرته ومجتمعه ووطنه والإنسانية جمعاء، تشرف على التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي للبنين والبنات بتأسيسها لمعهد عمي سعيد سنة 1393هـ - 1973م، كما توفر فرصا للتخصص في العلوم الإسلامية لمرحلة ما بعد الثانوي، بتأسيس قسم التخصص في العلوم الإسلامية سنة 1409هـ - 1988م. (37)

تهتم المؤسسة بالتراث ضمن نشاط مكتباتها التي تحوي آلافا من المخطوطات والكتب؛ خدمة للباحثين، ونشرا لثقافة القراءة في الأوساط. فأنشأت المؤسسة ضمن هياكلها قسما خاصا أطلقت عليه: "قسم التراث والمكتبة"، أسندت له مهمتين:

1- المكتبة: والتي أنشئت سنة 1969م، ومقرها الحالي بحي حواشة وسط المدينة، وقد عرفت المكتبة تزويدات واسعة من مختلف المكتبات والشخصيات، خاصة في الآونة الأخيرة، لتصبح من أضخم المكتبات في وادي مزاب، إذ تحتوي على أكثر 9500 كتاب مطبوع، و2000 كتاب مخطوط، وفي مختلف التخصصات العلمية، وبفضل هذا الثراء والتنوع تعرف المكتبة إقبالا كبيرا من قبل الباحثين والطلبة في مختلف العلوم والتخصصات. (38)

2- التراث: استشعارا من إدارة المؤسسة بالمسؤولية التاريخية وجهت قسطاً وافرا من جهودها في سبيل خدمة التراث جمعا وحفظا ودراسة وتحقيقاً ونشراً. وكانت كل الأعمال التي أنجزتها المؤسسة في مجال التراث تحمل شعار: "رسالة التراث".

ومن المشاريع التي تقوم بها المؤسسة في هذا المجال:

- تحقيق كتابي "قواعد الإسلام" و"قناطر الخيرات" للشيخ إسماعيل بن موسى الجيطالي النفوسي (تـ:750هـ)
- جمع وتحقيق جوابات قطب الأئمة الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش، وقد صدر القسم الأول منها والذي يحتوي على رسائله وجواباته الفقهية.
- إصدار فهارس وصفية لمخطوطات خزائن المؤسسة وغيرها، حيث قامت مؤسسة الشيخ عمي سعيد بإصدار 9 فهارس للمخطوطات مكتبات وادي مزاب منذ سنة 1423ه-2002م، بدأته بفهرس لمخطوطات خزانتها العامة ليصل عملها إلى غاية 1433ه- 2012م بفهرس لمخطوطات خزانة آل اشقبقب، وتتمثل الفهارس التي أنجزتها المؤسسة فيما يأتي(39):

- فهرس مخطوطات الخزانة العامة. (1423هـ-2002م).
- فهرس مخطوطات خزانة الشيخ حمو بابا وموسى (1424هـ-2003م).
- فهرس مخطوطات الخزائن الثلاث: الشيخ صالح بن كاسي، الحاج بكير بوكرموش، الفاضل باحمد أشقبقب، (1426هـ-2005م).
- فهرس مخطوطات مكتبة الأستاذ محمد بن أيوب الحاج سعيد (لخبورات) (1426هـ-2005م).
فهرس مخطوطات خزانة دار التعليم للمشايخ: مامة بنت سليمان بباز، بكير بن عمر موسى واعلي، بكير بن علي موسى واعلي، (1428هـ-2007م).
- فهرس مخطوطات خزانة الشيخ القاضي أبي بكر بن مسعود الغرداوي الشهير بالشيخ الحاج بابكر، (1428هـ-2007م).
- فهرس مخطوطات خزانة دار التلاميذ "إروان" بجامع غرداية الكبير (1430هـ-2009م).
- فهرس مخطوطات خزانة باسة بن أم موسى الوارجلاني (1431هـ-2010م).
- فهرس مخطوطات الخزانتين للشيخين الشيخ بانوح بن أحمد مصباح والشيخ صالح بن حمو بابهون، (1431هـ-2010م).
- فهرس خزانة آل اشقبقب (1433ه-2012).
ويتمثل عمل مؤسسة الشيخ عمي سعيد في مجال رعاية وخدمة المخطوط تتمثل في أربعة وظائف وهي(40):
- الاقتناء والجمع
- الترميم والصيانة
- الجرد والفهرسة
- الحفظ والاستثمار
وتعد هذه الوظائف مراحل أساسية لمشروع بعيد المدى تبنته المؤسسة والذي سيكلّل بدار للمخطوطات لتكون مقرا مناسبا لأعمال رعاية المخطوطات.

المطلب الثاني: جهود جمعية التراث بالقرارة:
هي جمعية أسست للمحافظة على التراث الفكري المكتوب للمنطقة، وتعتبر أول من فكر في فهرسة مخطوطات وادي مزاب وذلك في تسعينيات القرن الماضي، حيث استطاعت الجمعية فهرسة حوالي ثماني مكتبات في إطار عمل جماعي ضم ثلة من الطلبة والباحثين الأكاديميين.

تأسست الجمعية بفكرة شخصية لدى "الدكتور محمد ناصر"، ثم تبلورت بعد تأييد من بعض مشائخ بلدة القرارة، خاصة الشيخ عدون شريفي الذي شغل منصب رئيس الجمعية إلى وفاته، وقد تحصلت الجمعية على الرخصة الرسمية في شهر ماي 1989م.

سطرت جمعية التراث لنفسها منذ تأسيسها برامج طموحة، انطلاقا من أهدافها، والتي من أهمها جمع التراث وترميمه، والحفاظ عليه بالتصوير والتسجيل، والنسخ ، والطباعة، والنشر، والمحافظة على التراث الفكري المكتوب. (41)

وفي تسعينيات القرن الماضي تبنت الجمعية مشروعا لفهرسة المخطوطات في إطار عمل جماعي لباحثين، أطلق عليه:"نحو دليل مخطوطات وادي مزاب". حيث استطاع المشروع أن يقنع كثيرا من أصحاب المكتبات بفتح خزائن مخطوطاتها أمام المفهرسين.

فاجتمعت ثلة من الطلبة والباحثين في أيام مغلقة سميت بأيام غار أمجماج، وتمكنوا من إتمام فهرسة حوالي ثماني مكتبات(42) وهي:

1- فهرس عشيرة آل بدر ببني يزقن سنة 1414هـ/1994م.
2- فهرس مكتبة الشيخ عمي سعيد بغرداية، سنة 1415هـ/1994م.
3- فهرس مكتبة البكري بالعطف، سنة 1414هـ/1994م.
4- فهرس مكتبة إيروان بالعطف. سنة 1995م.
5- فهرس مكتبة عشيرة آل فضل ببني يزقن. سنة 1416هـ/1996م.
6- فهرس مكتبة عشيرة آل خالد ببني يزقن سنة 1417هـ/1997م.
7- فهرس مكتبة الشيخ ابن ادريسو ببني يزقن. سنة 1419هـ/1998م.
8- فهرس مكتبة بوعيسى عيسى ببني يزقن. سنة 1415هـ/1995م.

وقد انطلق العمل بمجموعة من أربعة باحثين ثم انضمّ إليهم باحثون فوصل عدد المساهمين في إعداد كل الفهارس إلى عشرين باحث. وتجدر الإشارة إلى أن الجمعية باشرت في إطار المشروع في فهرسة مكتبات أخرى، إلا أن العملية لم تكتمل لظروف خاصة بالجمعية، وأهمها تعثر التمويل المادي للمشروع، ومن هذه المكتبات نذكر:

1- مكتبة الشيخ إبراهيم متياز ببني يزقن.
2- مكتبة الشيخ محفوظ ببني يزقن.
3- مكتبة القطب ببني يزقن. (وقد شرعت جمعية أبي إسحاق في فهرستها).
4- مكتبة معهد الإصلاح بغرداية. (راجعتها وفهرستها جمعية أبي إسحاق).

5- مكتبة الشيخ باسة بورقلة. (راجعها قسم التراث بمؤسسة الشيخ عمي سعيد وقام بفهرستها).
6- مكتبة بومعقل عيسى بورقلة.
7- مكتبة الشيخ باباوموسى حمو بغرداية. (راجعها قسم التراث بمؤسسة الشيخ عمي سعيد وقام بفهرستها).
8- مكتبة الحاج سعيد محمد بن أيوب بغرداية. (راجعها قسم التراث بمؤسسة الشيخ عمي سعيد وقام بفهرستها).

يعتبر مشروع نحو دليل مخطوطات وادي مزاب بشرى لكل الباحثين في التراث، وفتحا لمكتبات وادي مزاب، وبادرة خير حفّزت العديد من المكتبات على فتح أبوابها للعاملين الفاعلين في خدمة التراث، لمّا ظهرت ثمار المشروع وأضحت بادية للعيان. كما حملت مؤسسات أخرى على التفكير في ولوج هذا المجال حفاظا على ذاكرة المنطقة من أن تندثر.

المطلب الثالث: جهود جمعية أبي إسحاق اطفيش لخدمة التراث:

تعتبر جمعية أبي إسحاق من المؤسسات الخيرية الرائدة في مجال حفظ التراث، وبالخصوص المخطوط منه، وذلك باستعمال التقنيات التكنولوجية الحديثة لتسهيل تعامل الباحثين والدارسين معها.

تأسست "الجمعية" بتاريخ 11 أفريل 1995م، باعتماد رسمي من ولاية غرداية، الجزائر، بوصفها هيئة خيرية علمية، تعمل على تثمين جهود الباحثين في حقل التراث عامة والتراث الإباضي خاصة.

وتهدف الجمعية إلى التنقيب عن تراث منطقة وادي مزاب وذلك بجمعه وحفظه وتصفيفه، لتوفر بذلك فضاء علميا لكل باحث يرغب إنجاز بحث عن المنطقة وحضارتها وفكرها. (43)

وأخذت الجمعية اسم العالم العامل، الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن الحاج محمد اطفيش تلميذ قطب الأئمة والمعروف بنشاطه السياسي ضد المستعمر الفرنسي الذي نفاه إلى تونس ثم القاهرة ليجد فيها المجال الواسع للتكوين والتبحر في كل مجالات الحياة، كما استغل المنصب الذي شغله بدار الكتب المصرية بالقاهرة لتحقيق ونشر العديد من الكتب بخاصة منها أعمال شيخه القطب. (44)

وكانت فكرة إنشاء الجمعية تثمينا لعدة تجارب وأفكار، لعل أبرزها تجربة الأستاذ محمد بن أيوب الحاج سعيد (لخبورات)، الذي قام في سبعينيات وثمانينيات القرن

الماضي بجمع للصور الفوتوغرافية والمستنسخات الآلية لمخطوطات الإباضية من مكتبات ومراكز خارج الوطن، من خلال رحلاته إلى العديد من البلدان العربية والغربية كالمغرب والسعودية وتركيا وإيطاليا وبولونيا وألمانيا وروسيا،[45] وهو يشغل حاليا منصب رئيس الجمعية.

وقد جعلت الجمعية من أهم أولويات مشاريعها العمل على تأمين رصيد المخطوط في وادي مزاب وصيانته، بغية اكتشاف الكنوز المغمورة في وادي مزاب وحفظ مخطوطاتها، وديمومة الاستفادة منها، باستعمال التقنيات التكنولوجية الحديثة لتسهيل تعامل الباحثين والدارسين معها.

ولتجسيد المشروع فقد سلكت الجمعية أحسن الطرق التكنولوجية الحديثة والمتمثلة في:

- التصوير الميكروفيلمي (حفظ طويل المدى، حوالي 70سنة) لديمومة المحتويات.
- التصوير الرقمي (حفظ متوسط المدى، حوالي 5 سنوات) لسهولة التداول.

باشرت الجمعية في المشروع خلال موسم 1995-1996م، وقد تم تصوير عدة مكتبات وخزائن منها:

- خزانة الشيخ القاضي أبي بكر بن مسعود الغرداوي.
- مكتبة عشيرة آل يدر ببني يزقن.
- مكتبة عشيرة آل خالد ببني يزقن.
- مكتبة البكري بالعطف.
- مكتبة قطب الأئمة.
- مكتبة الإصلاح بالراعي بغرداية.

ويشتمل المشروع على خطوات وعمليات تقنية وأخرى علمية، يمكن أن نوجزها في الترتيب الآتي:

أولا: إحصاء المكتبات.

ثانيا: فهرسة المخطوطات.

ثالثا: رقن الفهارس.

رابعا: التصوير الرقمي، أو التصوير الميكروفيلمي.

خامسا: تصفيف الأفلام والأقراص، ومقابلتها مع الفهارس.

سادسا: التصفح الافتراضي في مخطوطات المكتبات، وتسيير المحتويات الرقمية عن طريق برنامج كمبيوتر (برنامج المعصومة لمعاينة المخطوط).[46]

ومن أهم الأعمال التي قامت بها الجمعية في جانب الفهرسة، هو إصدارها لفهرس جردي لمحتويات كل من:

- مكتبة القطب بعد أن تم تصويرها رقميا.
- خزانة الشيخ بلحاج بالقرارة.

كما قامت أيضا بإنجاز فهرس فني لمكتبة الراعي التابعة لجمعية الإصلاح، وهي تعكف حاليا على فهرسة فنية لمكتبة القطب. (47)

كما أنشأت الجمعية مؤخرا برنامجا رقميا يدعى البرادي للبحث الآلي في فهارس المخطوطات في كل مكتبات وادي مزاب.

وتعتبر هذه الجهود حلقة في سلسلة من الأعمال التي بدأت بجهود فردية لتتبلور إلى أعمال جماعية وفي إطار مؤسساتي لا تزال مستمرة لحفظ التراث وحمايته، ثم إخراجه ليؤدي دوره المنوط به، إلا أن هذه الجهود تفتقر إلى الدعم المادي، وتتطلع إلى تقنيات وطرق أكثر احترافية لتطوير أدائها.

خاتمة:

في خاتمة هذا العمل المقتضب ينبغي الإشارة إلى أننا حاولنا استعراض نماذج لبعض الخزائن والمكتبات التي تم فهرستها ضمن جهود جماعية لهيئات وجمعيات، وبالتالي لا يعني أننا استوفينا كل أعمال الفهرسة لمكتبات وادي مزاب، كما أننا أخذنا قصرين من قصور وادي مزاب كأنوذج، وهذا لا ينفي وجود مكتبات وخزائن مفهرسة في غيرها من القصور.

فالمتجول في مكتبات كل قصر من قصور الوادي كالعطف ومليكة أو بنورة ستصادفه العديد من الخزائن المفهرسة من قبل جهود فردية لبعض المكتبات أو الطلبة والباحثين.

لكن حسبنا أننا أزلنا اللثام عن هذه التجارب التي استطاعت حماية تراث وادي مزاب وذاكرته الثقافية من الاندثار والزوال، علها تكون قدوة للمكتبات على مستوى التراب الوطني لتحذو حذوها، وتنقذ تراث أمتنا قبل أن تسبقنا إليه نوائب الزمان.

ورغم الجهود التي بذلت ولا تزال في سبيل حماية مخطوطات مكتبات وادي مزاب، وإخراج المخطوط إلى الحياة العلمية ليؤدي دوره الذي أنيط به، وأراده منه مؤلفه؛ إلا أن العديد منها لا يزال حبيس الخزائن، أحكم أصحابه الإغلاق عليه إلى درجة الإضرار به، فكان مرتعا للأرضة، يترقب لحظة الخلاص.

الهوامش:

(1)- يجدر التنبيه إلى أن ثمة مكتبات أخرى للمخطوطات في بني يزقن لم نتطرق إليها في هذا العرض، وإنما اقتصرنا على أهم المكتبات، وأكملها فهرسة على سبيل التمثيل.

(2)- عشيرة آت بامحمد- مكتبة الاستقامة: فهرس مخطوطات مكتبة الإستقامة، (الخزانة الأولى)، 1427هـ-2006م، ب.

(3)- المرجع نفسه، أ، ب.

(4)- جمعية التراث القرارة غرداية، فهرس مخطوطات آل يدر الفهرس الشامل لنحو 600 عنوان، 1414ه-1994م، ص: ك.

(5)- جمعية التراث، فهرس مخطوطات خزانة آل فضل، 1416-1996، ص:د-هـ.

(6)- المرجع نفسه، ص:و.

(7)- المرجع نفسه، ص: أ.

(8)-جمعية التراث: معجم أعلام الإباضية من ق1هـ إلى 15هـ"قسم المغرب"، (ط1؛ غرداية: جمعية التراث، 1420هـ-1999م)، رقم الترجمة: 847.

(9)- جمعية التراث: فهرس مخطوطات مكتبة عشيرة آل خالد خزانة الشيخ محمد بن عيسى أزبار، القرارة غرداية، 1417ه-1997م. ص: م8، م11.

(10)- جمعية التراث: فهرس مخطوطات محمد ابن سليمان ابن ادريسو خزانة الحاج صالح بن سليمان، وخزانة الحاج عمر بن صالح، القرارة غرداية، 1419-1998. ص: 9

(11)- المرجع نفسه، ص: 9.

(12)- ونتن بن الناصر مصطفى: آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش العقدية، (دط؛ القرارة-الجزائر: جمعية التراث، 1417هـ-1996م)، 480-497.

(13)- جمعية أبي إسحاق اطفيش لخدمة التراث، فهرس جردي لمكتبة الحاج امحمد بن يوسف اطفيش (القطب) بني يزقن غرداية الجزائر، 1430ه-2008م. ص3.

(14)- جمعية التراث: معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب)، رقم الترجمة: 867.

(15)- يحتوي هذا الجزء الأول على الأجوبة والمنظومات، وهذا على خلاف ما هو مثبت على الغلاف، أنه للمتون والشروح والحواشي، كما لم نقف على الجزء الثاني منه حتى نتأكد من إتمام الفهرس.

(16)- مكتبة الحاج صالح لعلي: فهرس مخطوطات خزانة الشيخ محمد بن يوسف ببانو (1427ه-2006م)، ص:د-ه.

(17)- مؤسسة الشيخ عمي سعيد: فهرس مخطوطات الخزانة العامة، (1423هـ-2002م)، ص: ه-و.

(18)- المرجع نفسه، ص: ز-ح.

(19)- مؤسسة الشيخ عمي سعيد: فهرس مخطوطات الخزائن الثلاث، (الشيخ صالح بن كاسي، الحاج بكير بوكرموش، الفاضل احمد اشقبقب)، 1426ه-2005م، ص أ.

(20)- المرجع نفسه، ص د، و

(21)- ينظر ترجمته في جمعية التراث: معجم الأعلام، (قسم المغرب)، رقم الترجمة: 510.

(22)- ينظر ترجمتها في جمعية التراث: معجم الأعلام، (قسم المغرب)، رقم الترجمة: 768.

(23)- مؤسسة الشيخ عمي سعيد: فهرس مخطوطات خزانة دار التعليم للمشائخ مامه نسليمان بباز، بكير بن عمر موسى وعلي، بكير بن علي موسى وعلي، 1428ه-2007م، ص ج.

(24)- علي يحيى امعمر: الإباضية في موكب التاريخ (الحلقة الأولى: نشأة المذهب الإباضي، ط1؛ مكتبة وهبة – مصر، د ت ن)، 109/1.

(25)- إيراهيم أبو اليقظان: ملحق لسير الشماخي، (مخ، مصور بمكتبة عمي سعيد بغرداية، رقم: خ.ص:06-07)، ص: 6.

(26)- مؤسسة الشيخ عمي سعيد: فهرس مخطوطات خزانة دار التلاميذ (إيروان) للمسجد الكبير 1430ه-2009م، ص: ق.

(27)- المرجع نفسه، ص: د.

(28)- أبو العباس أحمد بن سعيد الشّمّاخي: السير، (ط حجرية؛ المطبعة البارونية- القاهرة، د ت ن)، ص401.

(29)- جمعية التراث: معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب)، رقم الترجمة: 133.

(30)- مؤسسة الشيخ عمي سعيد: فهرس مخطوطات خزانة الشيخ القاضي أبي بكر بن مسعود الغرداوي، (1428هـ-2007م)، ص: أ.

(31)- المرجع نفسه، ص: و-ح.

(32)- مؤسسة الشيخ عمي سعيد: فهرس مخطوطات خزانة آل اشقبقب، (1433ه/2012م)، ص: د، ه.

(33)- جمعية أبي إسحاق اطفيش: فهرس مخطوطات مكتبة الراعي – جمعية الإصلاح (خزانتا الشيخ محمد بن إبراهيم كله، السيد داود بن أحمد لقاف، 1433ه-2012م، ص: ج.

(34)- المرجع نفسه، ص: هـ.

(35)- ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، تح: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، (دط؛ دن، د ت ن)، (مقدمة التحقيق)، ص6.

(36)- جمعية التراث: فهرس مخطوطات آل يدر، 1414ه-1994م، ص: ح.

(37)- ينظر موقع المؤسسة: www.irwane.org التعريف بالمؤسسة، 2014/11/02.

(38)- ينظر: مؤسسة الشيخ عمي سعيد: فهرس مخطوطات الخزانة العامة، ص: هـ- و.

(39)- ينظر: مؤسسة الشيخ عمي سعيد: فهرس مخطوطات الخزانتين للشيخين الشيخ بانوح بن أحمد مصباح والشيخ صالح بن حمو بابهون ، 1431ه-2010م، ص: أ.

(40)- ينظر المرجع نفسه، ص: ب

(41)- ينظر: موقع الجمعية www.tourath.org. التعريف بالجمعية، 2014/11/03.

(42)- ينظر: مصطفى ابن ادريسو، فهرسة المكتبات والمخطوطات في وادي مزاب "دراسة وتحليل"، مجلة الحياة، دورية فكرية يصدرها معهد الحياة وجمعية التراث القرارة الجزائر، العدد الثاني عشر، رمضان 1429هـ/ أكتوبر 2008م، ص198

(43)- جمعية الشيخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيش لخدمة التراث، غرداية – الجزائر، دليل الجمعية، 3-4.

(44)- محمد ناصر، الشيخ إبراهيم اطفيش في جهاده الإسلامي، (دط، جمعية التراث- القرارة، د ت ن)، ص 21.

(45)- مؤسسة الشيخ عمي سعيد: فهرس مخطوطات مكتبة الأستاذ محمد بن أيوب الحاج سعيد (1426ه-2005م)، ص: ز.

(46)- عيسى بن يحيى حمو عبد الله، عضو الجمعية مكلف بالإعلام، تسجيل صوتي بتاريخ: 2012-03-25.

(47)- جمعية الشيخ أبي إسحاق: فهرس مخطوطات مكتبة الراعي، ص: ب.

الأستاذ: بريك الله حبيب

عنوان المقال:
خزانتي أهل العبد وأهل بلعمش بمدينة تيندوف أنموذجا

تقديم

تزخر خزائن مدينة تندوف بكم هائل من كنوز ونوادر المخطوطات العربية والإسلامية في شتى فنون العلم والمعرفة، ولعل المخزون الجكني والمتمثل في خزانتي أهل العبد بحي الرماضين وأهل بلعمش بحي موساني العتيقين أكبر مثلا لذلك.

إن من بين الأسباب التي أدت إلى تواجد هذا العدد الكبير من المخطوطات يرجع إلى كون المنطقة نقطة عبور في القرنين الثامن والتاسع عشر الهجريين لقوافل قادمة من الجهات الغربية والشرقية لمدينة تيندوف سواء من السودان الغربي المتمثل في مدن مالي تودني أروان تغازة و تينبكتو أو من مدن موريتانيا كولاتة وشنقيط والنعمة أو آتية من مدن المغرب الأقصى كسوس وإجليميم ومراكش والصويرة وغيرها من مدن المغرب الأقصى الشقيق أو من مدن الجوار كتوات بأدرار، ومن خلا هاته القوافل عرفت المنطقة رواجا كبيرا من الناحية العلمية

والثقافية وحتى الاقتصادية أَهَّلَهَا لأن تكون مركزا ومنبرا حضاريا يزخر بشتى صنوف المخطوطات والوثائق النفيسة والمهمة.

وقد أقدمت على وضع أول خطواتي نحو فهرسة هذا المخزون الهائل بوضع فهرسة وصفية لبعض هاته النوادر مستعينا بذلك على أصحاب هاته الخزائن الذين فتحوا لي الأبواب وسهلوا علي الكثير من الصعاب.

إن الاشتغال على المخطوط من حيث فهرسته أو تحقيقه أو تخريجه ليس بالأمر الهين ولكنه في نفس الوقت يمدك بنوع من المتعة العلمية قلما تجدها إلا في هذا الدرب الوعر الشيق، والذي يحتاج منك أن تكون صاحب خبرة وتخصص لأن هذا العمل تتحكم فيه مجموعة من الضوابط والقواعد العلمية الأكاديمية التي توصلك إلى انجاز عمل علمي بحث وقيم.

إن الإشكالية المطروحة في هذا البحث تتلخص في محاولتي المتواضعة لكسر العائق الذي يجده الكثير من الباحثين والمفهرسين أو المشتغلين بالتراث المخطوط أو الوثائق التاريخية بصفة عامة والمتمثل في ذلك النفور وعدم الإكتراث الذي غالبا ما يجدونه متوافر وبكميات متفاوتة لدى مالكي الخزائن التي يقبع بداخلها ذلك المخطوط وتلك الوثيقة.

إن هذه الظاهرة التي تكاد تكون سمة عامة في أغلب نواحي القطر يقدم لها البعض تفسيرا واقعيا مرده إلى حالة نفسية متمثلة في تضخم الأنا والشعور الخرافي بالذات وبالأمجاد لدى مالكي هذه الخزائن.

ولنتجاوز هذه الإشكالية حاولت أن أجعل بحثي هذا متخصصا فقط بما تضمه خزائن قبيلة تجكانت بمدينة تندوف والمتمثلة في خزانتي أهل العبد بحي الرماضين وخزانة أهل بلعمش بحي موساني.

فوجدت بهذه المنهجية المستجيبة لنداء الواقع وحقائقه أن مالكي الخزائن سرعان ما تنقلب حالهم من النفور وعدم الإكتراث إلى الإقبال والإهتمام بل إلى فتح الأبواب والإستقبال والسر في ذلك أنهم يشعرون أنك ببحثك المتخصص هذا سوف تمجدهم وتمجد آباءهم لا أن تكشف عن ذخائر خزائنهم وكنوزها كي سيتفيد الكل منها .

ضمن هذا السياق أجد نفسي في غنى تام عن كثير من الأستطراد بذكر أهمية المخطوط في حد ذاته كونه لا يخفى على أحد الدور الهام الذي يلعبه التراث المخطوط في ابراز معالم وثقافة كل أمة وكل حضارة.

ومن جهة ثانية أهمية المخطوط من حيث البحث فيه ودراسته وفهرسته وتحقيقه وإعداد البيانات الخاصة به والمعلومات الهامة عنه وعن ظروفه الصحية ومدى احتياجه للعناية من صيانة وترميم وتصوير وتجليد الى آخره من الأعمال التقنية التي تخصص لها الدول المهتمة بالتراث ميزانيات ضخمة وطاقم متخصص من الباحثين والمتخصصين في الأعمال التي سبق وأن ذكرناها والذين بدورهم يسهرون على راحة المخطوط والعناية به.

إذ المخطوطات والوثائق تشكل أحد أهم الروافد الهامة في تاريخ وحضارة وثقافة الأمم والشعوب.

ولفهرسة المخطوطات وجردها وإحصائها مشاكلها الجمة التي أدت هي الأخرى بالباحثين في هذا الميدان الشيق إلى الانصراف عن هذا الدرب الوعر في نظر البعض، والذي هو واحد من أكثر الأعمال مشقة ومتعة وأقلها مجدا، ذلك أن العملية التراثية (الفهرسة، التحقيق، التخريج، الترميم،... وغيرها)، لا تتم على نحو جاد إلا إذا ابتدأت بالفهرسة ونعني بها الوصف الدقيق لمجموع محتويات المخطوط المتراتبة من ذكر للمؤلف وعنوان مخطوطته وتاريخ تأليفها، وتاريخ نسخها وموضوعها، وبدا يتها، ونهايتها، ومسطرتها، ونوع خطها، وذكر مقاسها وذكر ما وجد عليها من مقابلات وسماعات وإجازات، وهل لهذا المخطوط من رحلات مر بها من خلالها ببعض البلدان والأمصار وغيرها من المراحل الفهرسية الأخرى التي تؤدى في النهاية إلى علم تام وشامل بالمخطوطة المراد الإطلاع عليها وجردها أو وربما تحقيقها ودراستها ونشرها أو ترميمها.

إن الهدف العام والأساسي من هذا البحث هو قيامنا ببحث أولي لإعطاء لمحة موجزة عن أماكن تواجد المخطوطات بمدينة تيندوف، وإلى التجارب السابقة التي فيها حاولت فهرسة مخزون هاته الخزائن والمراكز التي تقبع بداخلها هاته الكنوز العلمية المترامية في مدينة موغلة في أعماق بلادنا الجزائر الغالية ، وليكون هذا البحث المتواضع دليلا لي في أبحاثي المستقبلية أو لغيري من الباحثين المتخصصين في هذا المجال ولنا أهداف فرعية أخرى نذكرها في نقاط كالتالي:

1. منها التعرف على التاريخ الثقافي لمدينة جزائرية في أقصى الحدود.
2. التعرف على العطاء العلمي والحضاري لأسرة جزائرية في أقاصي الجنوب الجزائري و فهرسة ما تبقى من مخطوطاتها والوثائق التي بخزائنها.
3. إن الدافع الأساسي الذي ساقني إلى خوض هذا الدرب هو الغيرة العلمية على كنوز طالها الاهمال والنسيان وتعاهدتها الأرضة والجردان.

4. انعدام وجود أبحاث في الموضوع بحيث أني وقفت على اهتمام ظاهر مجموعة من الباحثين الموريتانيين والمغاربة بأداء هاته المنطقة وهاته الأسرة ولم أقف على مستوى ذلك الاهتمام من طرف باحثين جزائريين.
5. كوني ابن هذه المنطقة وابن هذه الأسرة، وهذا بقدر ما سيذلل لي الكثير من العوائق التي أشرنا إليها في الإشكالية بقدر ما سيطرح لي إشكالية ثانية متمثلة في مدى الموضوعية التي سأتمتع بها شخصيا كباحث أثناء خوضي غمار هذا البحث.

صعوبات وعقبات:

إن قولي فيما سبق أن مدينة تيندوف لم تحظ باهتمام من طرف باحثين جزائريين من قبل بغض النظر عن بعض الإهتمام الذي ظهر مؤخرا يعتبر الصعوبة الأولى التي إعترضتني، إضافة إلى جوانب تقنية أخرى نذكرها في النقاط التالية:

1. مشكلات إدارية ترجع في الغالب إلى تعدّد الجهات التي تقتني المخطوطات، فبعض من الوثائق الخطية بيد أفراد، وبعضها في مؤسسات وبعضها خارج الوطن، وبعضها أهدي لشخصيات سياسية بعد الاستقلال، وهذه كلها في حكم المفقود.
2. مشكلات فنية تتلخص في إنعدام الحفظ والصيانة لهذه المخطوطات مما جعلها متهاترة ومخفية الخط من كثرة سف الريح وضربات الشمس وامتداد الأيدي إليها.
3. مشكلات ذاتية عدم تمكني من فك حروف بعض أنواع الخطوط وذلك راجع إلى سوء جمال الخط من طرف بعض الناسخين، مما سيشكل عقبة القدرة على وصف المخطوطة، وذكر أولها وآخرها، ناهيك عن عنوانها الصحيح ومؤلفها وناسخها... ونحو ذلك من العمليات التوثيقية والتي يضبطها نظام الفهرسة العلمية .
4. نقص البيانات في بعض المخطوطات حيث إما أن هناك أوراق ساقطة أو أن الناسخ لم يكترث بكتابة اسمه وتاريخ نسخه وهل نسخه من الأصل أم عن غيره...الخ.

لمحة وجيزة عن تاريخ تينـدوف الثقافي.

أشار المؤرخ المغربي إبراهيم حركات أن: ((.. تيندوف مركز صحراوي ذكره البكري باسم تندفس وقال أن به آباراً يحتفرها المسافرون فلا تلبث أن تنهار

وتندفن، ويقع جنوب حمادة درعة حيث يشرف على سبخة شاسعة، وتعرّض المركز الذي عرف إزدهار مدينة حقيقية حولها النخيل في القرن(10هـ/16م) للتخريب على يد مجموعات من قطاع الطرق والمرتزقة أنذاك.

وفي (1267هـ/1850م) قام أحد مرابطي تجكانت؛ محمد المختار بن الأعمش تلميذ محمد بن المختار الكنتي، ببناء مركز حضاري جديد بهذه المنطقة الخصبة التي تتحكم في طريق الصحراء الغربية وخطوط إفريقيا الغربية من جهة الجنوب الغربي للجزائر حاليا، وقد درس بالزاوية التي أنشأها محمد المختار بن الأعمش آلاف من الطلبة من بينهم الشيخ مصطفى ماء العينين))[1] ، ثم واصل حديثه[2] مشيراً أنه (..كانت خطوطها التجارية تمتد إلى تمبكتو وأدرار وتمر بتوات، وقطعت الجيوش الفرنسية عنها هذه الخطوط، فهجرها جل سكانها فيما بين1321هـ - 1329هـ/1903م-1911م حيث استقروا بموريطانيا، وهي تتكون من ثلاث قصور كانت آهلة بالسكان قبل هذا التاريخ ولها طابع مغربي عريق..).

لا شك أن هذه النصوص تعطي صورة مختصرة عن الحركية والدور التجاري والثقافي الذي عرفته المدينة منذ القرن 10هـ/12م فَوَصْفُ المؤرخ للمدينة أنها (مدينة حقيقية) وأنها (مركز حضاري جديد) وأن (آلاف من الطلبة) قد درسوا في الزاوية التي أنشأها الشيخ بلعمش، كل هذه الأوصاف تدل على المكانة التي كانت تحظى بها المنطقة في تلك القرون وعلى أنها لم تأت عبثا بل كانت وراءها أيادي عظيمة ورجال فذة.

ولتظهر بشكل جلي الأدوار الثقافية والحضارية للمنطقة، نحاول أن نستنطق نصاً آخر لمؤرخ آخر، ألا وهو المختار السوسي رحمه الله والذي أفرد تأليفاً خالصا للحركة العلمية، التي حدثت في منطقة سوس سماه (سوس العالمة) ، و(سوس) مصطلح قديم يطلق على منطقة الساحل كلها...وهو يعدد المدارس التي ظهرت في سوس أشار إلى المدرسة رقم: 45 بأنها (المدرسة التِنْدوفِيّة) – قائلا : ((تقع هذه المدرسة في تندوف في التخوم السوسية الصحراوية، وكان آل بلعمش منذ أسسوا تلك المدينة على يد قومهم تجكانت رفعوا هناك راية التدريس، فدرس فيها كل من مرّ بهم من فطاحل الشناقطة كمحمد يحيى الولاتي وأمثاله بل قيل أن محمد

التركزي مصحح القاموس (القاموس المحيط) درس هناك أيضا، حين سافر إلى الشرق، وقد أقفرت الدراسة من هناك بعد عام1330هـ ، من هذا القرن))[1].

وقد أشار في كتاب آخر له سماه (المعسول)، أثناء ترجمته لحياة الشيخ محمد المختار بن بلعمش رحمه الله ما نصه: ((..وكان المُتَرْجَم هو الذي أشار إلى تجكانت أخواله ببناء مدينة تندوف[2]، فكان أول ما بني فيها المسجد الأعظم، يخدم فيه النساء المتحجبات ليلا، احتسابا لله ثم شرعوا في بناء الدور، وذلك عام 1270هـ أو 1271هـ.

وكان يدرس هناك الحديث، وقد مر من هناك العلاّمة الشهير في الشرق والغرب محمد محمود التركزي، فبقي هناك ما شاء الله، يدرس صحيح البخاري ثم توجه على المشرق، كما مرّ هناك الشيخ ماء العينين فصلّى في المسجد ما شاء الله، ومحمد يحيى الولاتي في رحلته إلى الحج...)) [5]

وأشار بعض المؤلفين الموريتانيين أثناء ترجمتهم للأديب محمد محمود التركزي أنه: (..مرّ بابن بلعمش الجكاني بتندوف، وتلقى عليه جملاً من الحديث...).

وفي الأخير نتمنى أن تكون هذه الاقتباسات التي أردناها مختصرة[6]، قد حققت الغرض من إيرادها، والمتمثل في إعطاء لمحة وجيزة عن تاريخ المنطقة الثقافي والحضاري، أما الآن فنلوي العنان لنتحدث عن خزائن وزوايا حفظ المخطوطات بالمدينة.

- خزائن وزوايا حفظ المخطوطات بالمدينة:

عرفت مدينة تيندوف مجموعة من الخزائن والزوايا والمساجد التي كان لها دور كبير ومميز في إرساء القاعدة العلمية بالمدينة، إذ أنها كانت محطة لطلب العلم والتعلم والفتوى وكل ذلك يتجلى من خلال المنبرين العلميين اللذين كانا ولا زالا بالمدينة، وهما زاوية محمد المختار بن بلعمش الجكني التيندوفي، ودويرية أهل العبد المسعودي الجكني التيندوفي.

وهاته مخطوطاتهم ووثائقهم لا تزال ترصد وتشع بنور أقلامهم وفصاحة ألسنتهم ورجاحة عقلهم وكثرة علمهم، ناهيك عما كتب في حقهم من غيرهم وسوف

نتطرق في هذا المطلب إلى جانبين وهما الجانب التعليمي الروحي والهندسي والمعماري لهذين الصرحين العلميين فنقول:

- دويرية[7] أو (خزانة) أهل العبد الجكني:

لقد لعبت دويرية أهل العبد الدور البارز في نشر العلم وتخريج حفظة القرآن وإعطاء الفتوى لمريدها، ولقد زارها العديد من العلماء بل منهم من استقر بها سنين طوال كالعلامة الكاملي الدرعي التيجاني الطريقة الذي دامت فترة مكوثه بالدويرة والمسجد قرابة العشر سنين يعلم ويفتي ويحاور علماء المنطقة ومن بينهم كذلك العلامة محمد يحيى بن محمد المختار الولاتي الشنقيطي الذي دامت إقامته سنة وشهرا في دويرية أهل العبد حيث أجاب على أسئلة[8] العلامة أحمد يكن بن محمد المختار بن بلعمش الجكني.

هذا وقد أنجبت مدينة تيندوف الكثير من العلماء والفقهاء والشعراء وأهل العلم الفضلاء، فمن بينهم العلامة الفذ محمد الصالح بن بارك الله الشانعي الجكني[9] وابنه سيد أحمد العلامة فريد عصره وزمانه والذي كان يشد له الرحال في طلب الفتوى وكان ناسخا ووراقا[10]، كما نجد الشاعر النابغة صاحب ديوان حسان الشاعر عمار بن لعرب[11] والذي ألف ديوانه الغزلي في زوجته الفاضلة وكان باللهجة الحسانية[12] وسماه : "ديوان حسان " ، وهؤلاء العلماء كانت الزاوية والدويرية منبرهم حيث كانوا يعلمون طلبة العلم ويدرسون متون الفقه ويتدارسون علم الأصول، ويفتون في أمور الدين وغيرها من أمور الحياة .

وقد حفظت الدويرية منذ ما ينيف عن القرن مخطوطات قبيلة تجكانت ولا زالت تقوم بنفس المهمة إلى غاية وقتنا الحالي، غير أن ظروف الحياة المختلفة أدت بالكثير من هاته المخطوطات إلى الضياع والاندثار بسبب الإهمال وانعدام آليات الحفظ من ترميم وصيانة وحفظ وتعقيم وغير ذلك من الأسباب التي تحافظ على المخطوط من الناحية الكوديكولوجية المحضة.

وسوف نتطرق إلى الزاوية من الناحية الهندسية حتى يتسنى للباحثين التعرف عليها معماريا فنقول:

إذا أردنا الحديث عن الجانب المعماري والهندسي لدويرية أهل العبد المسعودي الجكني فإننا سوف نبدأ حديثنا بموقع الدويرية والذي يحده مجموعة من المساكن القديمة والتي استحدثت من جديد بعد الشروع في تحديث المدينة على زعم البعض وذلك في العقد الأخير من القرن الماضي أي عام 1993م، أما غربا فيحدها مُجَمَّع سكني حديث، شمالا تحدها القصبة وهي عبارة عن مجموعة من المساكن

الطوبية المتداخلة فيما بينها يفصل بينها ممرات ضيقة مبنية بالطين ومسقفة بالخشب المتين وزعف النخيل في لوحة معمارية هندسية جميلة، والتي لا زال البعض منها شامخا وشاهدا إلى وقتنا هذا، أما جنوبا فيحدها مسجد حي الرماظين والذي أعيد بناءه خلال فترة الثمانينات.

أحيطت الدويرية بأسوار سميكة مبنية بأسلوب تقني يعرف محليا باسم الطابية، كما يعرف أيضا بتقنية القالب يترواح متوسط سمكه ما بين 0.50م و 0.55م، علما أن هذا السور يشكل في الوقت ذاته الجدار الخارجي للدويرية، وهي مدعمة ببرجي مراقبة، وآثار لبقايا برج ثالث في الجهة الشمالية الشرقية، وقد لحقه من التخريب ما أصاب الوحدات السكنية الأخرى، بينما نجد أربعة أبراج لزاوية أهل بلعمش .

ونشير هنا إلى خاصية تدخل ضمن الخصائص المعمارية لهذه الدويرية ولغيرها من المباني العتيقة بالمدينة وتتمثل في وجود برجين مرتفعين وبرجين منخفضين، كما هو الحال في زاوية بلعمش هذا من جهة ، ومن جهة ثانية الأبراج المرتفعة تكون دائما متقابلة وهي تقع في الجهة الشمالية الغربية والجنوبية الشرقية، أما البرجان المنخفضان فيقعان في الركنين الواقعين في الجهة الشمالية الشرقية والجهة الجنوبية الغربية من الدويرية[13] .

إن ظاهرة وجود مثل هذه الأبراج يعد دليل على حاجة أصحابها للتحصن والحماية من الأضرار الخارجية المحتملة، ولكن وبمرور الزمن ولما كثر ساكني المدينة لم تعد هذه الأبراج تلعب دور الحماية والمراقبة وإنما أضحت تمثل البعد الجمالي الذي يعد أحد القواعد الأساسية للفن الإسلامي الأصيل.

ثم إن هذا النوع أو النمط المعماري لا نجد له مثيل في العمارة الصحراوية المتاخمة لمدينة تيندوف سواء كانت في إقليم توات الذي يعد أقرب الأمثلة والأقاليم مسافة لتيندوف وإنما وجد هذا النمط والتشابه في فن هذه العمارة في بلاد المغرب الأقصى وخاصة بالمناطق الجنوبية المغربية أو بشكل أوضح بالسوس الجنوبي كتافيلالت، ووداي درعة، وجنوب مراكش وهذا ليس بالأمر الغريب نظرا للعلاقات التجارية والروابط التاريخية التي كانت ولمدة طويلة تربط مدينة تيندوف بالجزائر وإقليم الجنوب السوسي بالمغرب، والحديث يطول في ذلك[14] .

أما عن الحديث عن بعض التفصيل للدويرية فيتمثل وبكل إيجاز في المدخل الرئيسي وهو أول ما يتقدم مكونات البيت وعادة ما نجده يستقبل القبلة وهذا من عادات الشعوب المسلمة أن تستقبل بيوتها قبلة لعدة اعتبارات دينية وعقدية، فالمدخل

عبارة عن باب من الخشب الصلب يتوسط الجدار الأمامي للمسكن، يبلغ عرضه 1.02م، وارتفاعه: 1.90م.

بعد المدخل تستقبلك سقيفة البيت والتي تضم على اليسار أدراج توصلك إلى الطابق العلوي للدويرية ومنه إلى الأبراج العلوية، أما عن يمينها فتجد بيت صغير الحجم ربما كانت مهمته لتخزين بعض الأشياء العرضية، يتراوح عرض سقيفة أهل العبد بين 1.20م عند المدخل و2 م عند نهاية الانكسار.

بعد السقيفة نجد الصحن أو الفناء أو وسط الدار كما يسميه البعض وهو على شكل مربع محاط بدعامات وأعمدة تحيط به من كل ناحية يشكل فاصلا بينها وبين الغرف الموجودة بمحاذاتها والصحن معرض للشمس للحاجة القصوى لها في البيت إذ أن المرأة المسلمة وخاصة منها الصحراوية لا تخرج من البيت إلا للضرورة القصوى كمرض أو زيارة أو وليمة فهي ذلك يغلب عليها المكوث في البيت ومن أجل ذلك كان ولا بد من وجود فضاء تدخل من خلاله أشعة الشمس للبيت.

ثم بعد الصحن تأتي غرف المعيشة والتي عادة ما تكون إما للأكل أو النوم أو الاستضافة... وغير ذلك.

هذا فيما يخص الجانب المعماري والهندسي أما الجانب العلمي التراثي الذي نحن بصدد الحديث عنه وهو دور الدويرية في حفظ مخطوطات المدينة ووثائقها التاريخية فقد تمكنت خزانة أسرة أهل العبد من المحافظة بقدر الإمكان وبما حازوا من أدوات تقليدية وخبرات محتشمة على الكنوز التراثية التي تركها أسلاف قبيلة تجكانت وقد تمكنت من فهرست جميع المخطوطات التي بداخلها والتي عددها 50 مخطوطا في شتى العلوم والمعارف بعد ما كانت تفوق وتاهز المائتين 200، أما الوثائق فبها كم كبير قد يصل أو يفوق 400 وثيقة .

هذا فيما يخص الموجود أما المفقود من المخطوطات والوثائق التي كانت في بادئ الأمر بنفس الخزانة فبعضه الآن في مؤسسات حكومية وبعضها خارج الوطن كبعض النماذج التي عثر عليها في إحدى المتاحف الفرنسية ، وبعضها أهدي لشخصيات سياسية بعد الاستقلال، بحيث يوجد مخطوطين كبيرين من خزانة أهل العبد في المتحف الوطني بالجزائر العاصمة أهدي للرئيس الراحل هواري بومدين عند زيارته للمنطقة سنة1969، وغير ذلك من المخطوطات الأخرى التي هي الآن في حكم المفقود.

ويوجد في الخزانة بعض الوثائق منها وثيقة تذكر جميع المخطوطات والكتب للعلامة محمد يحيى الولاتي الشنقيطي التي كانت بحوزة عبد الله بن العبد

الجكني (رحمهما الله) والتي أخذها حفيده – الولاتي - سنة1974م عند قدومه من مالي إلى مدينة تندوف والوثيقة تحوي ما نصه[18]:

" زمام ما أودع شيخنا ووالدنا في تيندوف من الكتب في حفظ الله ثم عند عبد الله بن العبد اثني عشر مجلدا مشتملة على ثلاث نسخ من لباب التأويل والسراج المنير في أربعة أجزاء والجمل في أربعة أجزاء وروح البيان في أربعة أجزاء، وذو الجلالين في سفر والإتقان في سفر وشرح الزرقاني على الموطأ في سفرين كبيرين وكتاب الرحمة الغيثية في سفر وثلاثة أسفار من القسطلاني وشرح الأربعين النووية في سفر والمواهب اللذنية في ثلاثة أسفار أحدهما مكرر وثلاثة أجزاء من شرح الزرقاني عليه وكشف الغمة في سفرين وكتاب القضاعي والبلالي في سفر وكتاب الفرائد المرويات في فوائد الثلاثيات في سفر وكتاب الشفاء في سفرين، وشرح العزيزي على الجامع الصغير في ثلاثة أسفار، وشرح قنون على الموطأ في سفر، وبغية المستفيض في سفرين، وبغية الساحلي في سفر، وفتح الرحمن الرحيم في ثلاثة أسفار، ونزهة الناظرين في سفر، والروض الفائض في سفر، وقلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر، شرح اللباب على متن .. في علم التوحيد، ومجموع يشتمل على الصلاة الكبرى في شرح الصلاة الصغرى، وعلى عدة تكاليف وعلى المواهب الجليلة، وعلى عدة قصائد في سفر، وكتاب على الأسرار والحقائق في مجلد وشرح بردة الشيخ في سفر، مختار الصحاح في سفر، والمصباح في سفر، وحاشية المناوي على شرح... إلى، أن يقول:... وشرحه على الحصن الحصين في سفر، وتركه عارية كتب عند محمد بن الصالح منها شرحه على منظومته في القواعد المسمى بالمجاز الراجح، وشرحه على مراقي السعود على الأصل للعلوي كتبه ناسخه على خط يده محمد المختار بن محمد يحيى الولاتي".

قبل الخوض في التعريف بخزانة أهل بلعمش يجدر بنا أن نشير إلى أن خزانة أسرة أهل العبد لم تحظ بأي اهتمام ظاهر وجاد من طرف أصحابها للحفاظ على المخطوطات والوثائق، وربما يرجع سبب ذلك إلى عدم اكتراث الخلف بما تركه السلف أو لعدم وجود من هو أهلٌ لذلك الاختصاص بغض النظر عن بعض الأشخاص الذين ساهموا ببعض الجهد الذي لا يرقى إلى المستوى المطلوب، وهذا بخلاف خزانة أهل بلعمش فقد حافظ أصحابها على موروثهم الى حد الساعة وقد اعتمدت في ذلك على منشورات ومقتطفات من ملتقيات عقدت بالمنطقة وخارج

المنطقة ومازالت تعقد الى الآن، لهذا وذلك نكتفي بالتعريف بزاوية أسرة أهل بلعمش ودورها الثقافي والعلمي .

- زاوية وخزانة أهل بلعمش الجكني:

يعود تاريخ بناء هذا المسجد إلى تأسيس الزاوية، ويعتبر من أقدم وأول المساجد بناءا في مدينة تيندوف حيث يرجع تاريخ بناءه إلى أواخر القرن التاسع عشر عندما عزم الشيخ العلامة محمد المختار بن بلعمش(**رحمه الله**) على تأسيس هذا المنبر العلمي حيث شارك في بناءه كل أفراد وفئات المجتمع الجكني، وقد وصفه صاحب كتاب العمارة التقليدية لمدينة تيندوف[15]وصفا دقيقا ومفصلا حيث يقول:" ويقع إلى الجهة الشرقية من الزاوية على بعد أمتار قليلة منها، يفصل بينهما بستان وطريق يأخذ المسجد شكلا مستطيلا، يتجه مسقطه الأفقي من الشرق إلى الغرب على محور القبلة، ويتكون من قاعة صلاة ومحراب وصحن مكشوف ومئذنة.

تتكون بيت الصلاة من إحدى عشر بلاطة عمودية على جدار القبلة أكبر البلاطة المركزية التي يبلغ عرضها 1.74م وباقي البلاطات تتراوح بين 1.60م و1.70م، ومن ثلاثة أروقة موازية لجدار القبلة تتقدم الصحن وثلاثة أخرى في مؤخرته، يتراوح عرض هذه الأروقة بين 1.72م و 1.80م يتوسط الجدار القبلي محراب عرضه 0.95م كوته على شكل نصف دائري من الداخل ومضلع من الخارج، يتميز ببروزه خارج الجدار بحوالي 1.50م وهو يتكون من 5 أضلاع.

وأما الصحن فهو مستطيل عرضه أكبر من عمقه، وتبلغ مقاساته 11× 8.70م ،وهو مكشوف على الفضاء الخارجي، به محرابان أحدهما يتقدمه والثاني في مؤخرته، وتتميز عقود المسجد بشكلها المتعدد منها ما هو على شكل منكسر متجاوز، ومنها ما هو على شكل حذوة الفرس مفصص.

وأما المئذنة فهي عبارة عن شكل شبه مربع تقع إلى الجهة الشمالية الغربية من مؤخرة المسجد، يبلغ متوسط أضلاع قاعدتها 3.80م، ويفوق ارتفاعها خمسة عشر مترا، رغم أني لم أستطع قياسها[16]وهي تتكون من جزأين، يفصلهما جوسق، ويصعد إليها بسلم يتكون من 50 درجة تنتهي قمتها بفتحات؛ أربعة منها في الواجهة الشرقية ومثلها في الواحة الجنوبية المطلة على الصحن، واثنتان في كل من الجهة الغربية والشمالية للمئذنة، زيادة على فتحات التهوية والإضاءة الموجودة في كل منها[17]هذا عن الجانب المعماري والهندسي أما عن الجانب التعليمي

والروحي فقد لعبت المسجد دور هام في نشر العلم والتدريس والفتوى وتحفيظ القرآن فقد كانت زاوية كبيرة يحج إليها الكثير من طلبة العلم من البلاد المجاورة سواء من شنقيط أو مالي أومن بلاد الجزائر المجاورة كأدرار وبشار والبيض والنعامة وغيرها من المدن الأخرى.

إحصاء وجرد مخزون زاوية أهل بلعمش:

بعد الملاحظة والتصفح ثم الدراسة والفهرسة للمخطوطات الموجودة في كل من خزانة أهل أسرة العبد وخزانة أسرة أهل بلعمش اتضح وتبين أن كلتا الخزانتين تحوي كما هائلا من المخطوطات النفيسة و الوثائق المهمة التي تجعل الباحث يولي اهتماما كبيرا لندرتها ونفاستها، فلقد حوت خزانة أسرة أهل بلعمش ما يناهز أو يفوق المائتي (400) مخطوطا وقد قمت بفهرسة اثنين وأربعين (84) مخطوطا منها ولم أتمكن من فهرسة الباقي وذلك راجع إلى ظروف خاصة بأصحاب الخزانة وسوف اكمل الفهرسة لاحقا بإذن الله، وقد اكتفينا فيما يخص الباقي بجرد أولي نوجزه كالتالي:

مخطوطات السيرة والتاريخ: 08.
مخطوطات علم التفسير وعلوم القرآن: 12.
مخطوطات علم الحديث: 13.
مخطوطات علم المنطق والطب: 05.
مخطوطات الآداب واللغة والنحو: 21.
مخطوطات علم التوحيد والتصوف: 28.
مخطوطات الفقه: 25.

هذا فيما يخص المخطوطات أما الوثائق فهنالك مجموعة كبيرة تحوي فتاوى ونوازل ورسائل وعقود الدين ومراسلات بين القبائل والأفراد والجماعات وقد تم فهرست أربعة عشر وثيقة منها.

وفيما يأتي إحصاء ووصف موجود خزانة أهل بلعمش التي لم تسعفنا ظروف أصحابها لفهرستها وذلك راجع إلى سعة كمها وموجودها على الوجه الذي أشار به علينا صاحب الخزانة وهي مرتبة حسب كل علم من العلوم كما سيأتي:

علم السيرة والتاريخ:

- الرياض النضرة في فضائل العشرة ﷺ للمحدث الحافظ الطبري سنة895ه.-

- تحفة الأيام بذكر أئـمة الإسلام.
- الشرح اللطيف على بردة المديح للنحوي خالد بن عبد الله الأزهري سنة903هـ للناسخ بن سالم بن مسعود سنة 1249 هـ.
- شرح البردة للبصيري لعبد الله بن أبي بكر الأزهري ، سنة النسخ 1249هـ.
- تحميص البردة وتلخيص نشر الوردة سنة 1091هـ لعبد الرحمن حميد بن علي
- شرح الهمزية لشهاب الدين بن حجر الهيثمي سنة 1095هـ.
- مخطوط كبير في الصلاة على الرسول ﷺ .
- معاني الوفاء بمعاني الاكتفاء، المؤلف محمد بن عبد السلام

علم التفسير وعلوم القرآن:

- نور التنزيل في شرح القرآن، لعلي محمد بن عبد الرحمن الدنوشري سنة1072هـ .
- تسهيل علوم التنزيل.
- السراج في محذوفات القران للمؤلف أحمد الجكاني الملقب طوير الجنة سنة التأليف 1120هـ سنة النسخ 1289هـ
- ضياء التأويل في معاني تأويل التنزيل سنة التأليف 1231هـ سنة النسخ 1282هـ
- الجزء الأول من ضياء التاويل في معاني تأويل، الناسخ الطالب بالزاوية عبد الرحمن بن الطالب سنة 1282هـ.
- السفر الأول من كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، الناسخ أحمد دكنة بن محمد المختار بن بلعمش سنة 1294 هـ
- تفسير القران لجلال الدين االسيوطي 1088.
- الجزء الثاني من كتاب التأويل في معاني التنزيل سنة 231هـ سنة النسخ 1282 هـ على يد الطالب بالزاوية احمد بن طالب عثمان التافاطي
- مخطوط كبير في التفسير
- الجزء الأول من لباب التاويل في معاني التنزيل للعلامة علاء الدين البغدادي الصوفي على هامشه كتاب مدارك التنزيل في حقائق التأويل.
- الجزء الأول من كتاب مصباح المنير في غريب الشرح الكبير.

- الجزء السادس من تفسير الفخر الرازي.

الأدب واللغة والنحو:

- تنبيه الطلبة على معاني الألفية، سعيد بن سليمان السملالي سنة 1079 هـ .
- البهجة البردية في شرح الألفية للحافظ الأسيوطي .
- موصل الطلاب الى قواعد الإعراب لخالد بن عبد الله بن أبي بكر الأزهري.
- شرح الأجرومية للعباس الأزهري سنة النسخ 1288هـ .
- شرح مختصر ألفية ابن مالك للعلامة عبد اللر حمن المكودي.
- شرح الأجرومية لمحمد أحمد بن بعلي الشريف الحسني.
- طرة بن بونة الجكاني على الألفية نسخ محمد مولود بن محمد المختار بن بلعمش سنة النسخ 1295هـ .
- نزهة العلوم في نظم الأجرم، الناسخ محمد بن البار بن باه الجكاني سنة التأليف 1287هـ.
- ديوان علي كرّم الله وجهه الناسخ أحمد دكنة بن محمد المختار بن بلعمش سنة 1277هـ.
- ديوان مجنون ليلى.
- ديوان الحماسة لأبي تمام الطائي.
- ديوان ذي الرمة.
- العذب المنهل للواردين من الطلاب، الناسخ محمد بن محمد المختار بن بلعمش سنة 1286هـ.
- الجزء الأخير من القاموس المحيط للفيروز أبادي سنة1281هـ، على يد الطالب بالزاوية عبد الرحمن بن الأمين التافاطي.
- كتاب مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لجمال الدين عبد الله بن هاشم المصري.
- شرح الملحة لجلال الدين الأسيوطي نسخ محمد بن محمد المختار بن بلعمش مع أخيه محمد الأمين.
- نظم الأجرمية للشيخ شرف الدين العمريطي.

- الجزء الأول للقاموس المحيط للفيروز الأبادي نسخ الطالب بالزاوية جدو بن حبيب الله سنة 1264هـ.
- الجزء الثاني للقاموس المحيط للفيروز الأبادي نسخ الطالب بالزاوية جدو بن حبيب الله سنة 1264 هـ.
- شرح مقدمة بن أجروم للعلامة أبي زيد المكودي.
- شرح مقدمة بن أجروم سنة 1190هـ.

علم الحديث :

- السفر الأول من موطأ مالك عام 1190هـ.
- الجزء الخامس من صحيح البخاري.
- كتاب في مصطلح الحديث للمؤلف محمد بن عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي سنة النسخ 1191هـ على يد الناسخ اتفغ بلعمش.
- السفر الأول من فتح الباري في شرح شرح البخاري للعسقلاني سنة 970هـ، نسخ منصور بن أبي بكر التادلي.
- الجزء العشرون من الجامع الصحيح سنة 1133هـ.
- الجزء الخامس عشر من الجامع الصحيح سنة 1133هـ.
- كتاب جامع الموطأ سنة 1276هـ.
- شرح الشهاب للقضاعي.
- كتاب موطأ مالك على رواية يحيى بن يحيى الليثي.
- السفر الثاني من الجامع الصحيح سنة 1091هـ، على يد عبد الله بن ابراهيم السملالي الجزولي.
- الجزء الثالث من صحيح البخاري – البيوع- بن بوعز عبد القادر.
- الجزء السابع من صحيح البخاري.
- الدر النثير في تلخيص بن الأثير لجلال الدين السيوطي نسخ محمد المختار بن أحمد بن بلعمش سنة 1264 هـ.

علم المنطق والطب:

- كتاب المطلع للعلامة ابن زكريا الأنصاري في شرح كتاب للعلامة اثير بن الأنهري.
- نظم تحفة الحكام بمسائل التداعي والأحكام للعلامة الأخضري بخط الزبير بن الحسين بن سيدي محمد المختار بن بلعمش سنة 1304هـ.

- السلم المرونق في علم المنطق للعلامة سعيد قدورة الجزائري نسخ سنة1274هـ العلامة محمد المختار بن بلعمش.
- الطب المجموع الشافع في الطب النافع للفقيه محمد بن علي البوعقيلي الناسخ محمد المختار بن بلعمش سنة 1264هـ.
- كتاب الرحمة والحكمة نسخ محمد المختار بن بلعمش.

الفقه:

- مختصر خليل ابن اسحاق للناسخ لأحمد ابن يحيى بن عبد الله الحاجي سنة 1110هـ.
- الجزء الأخير من كتاب الحطاب الناسخ أحمد دكنة بن محمد المختار بن بلعمش سنة1208هـ.
- مختصر خليل سنة 1264هـ للمريد بالزاوية علي بن ناصر بن محمود التركزي
- السفر الأول من تقييد الرسالة للمرحوم يوسف بن عمر الفاسي نسخ سنة 1208هـ.
- الجزء الأول من من شرح خليل لعبد الباقي الرزقاني.
- الجزء الأول من كتاب المدخل لمحمد بن العبدي القبلي الفاسي.
- الجزء السادس من مختصر خليل 1124هـ.
- مناسك الحج لعلي النوري المالكي سنة 1282هـ، الناسخ أحمد يكن بن محمد المختار بن بلعمش.
- شرح خليل لعبد العزيز بن الرشيد الهلالي الفيلالي، الناسخ أحمد دكنة بن محمد المختار بن بلعمش 1282هـ.
- شرح ميارة (مخطوط كبير جدا).
- شرح المواق لمختصر خليل.
- كتاب النكاح لعبد الرحمن الشدادي الحسني سنة 1259هـ.
- شرح نظم المرشد المعين لابن عاشرلعلي بن الصادق بن محمد الجبالي.
- كتاب الحطاب.
- الجزء الثامن من كتاب الميراث للعلامة عبد الوهاب الشعراني سنة 1286هـ بخط أحمد دكنة بن محمد المختار بن بلعمش.

- كتاب البيوع للمواق محمد بن يوسف العبدري، سنة النسخ 1193هـ، الناسخ علي بن محمد بن أحمد،
- الكتاب الجامع لخليل بن اسحاق.
- النصف الثاني من حاشية البناني علي الزرقاني على مختصر خليل.
- شرح مختصر خليل ابن إسحاق.
- المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لابن عاشر.
- كتاب شرح البناني على المختصر
- كتاب الشفاء للإمام عياض، نسخ عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن بلعمش سنة 1299هـ.
- شرح بن عاشر للنابغة الغلاوي الشنقيطي.
- مخطوط يرجع إلى عام 1155هـ. على يد عمر بن الصادق بن محمد المُكّنى اشناق بن سيدي يوسف.
- شرح رسالة بن أبي زيد القيرواني للعلامة أبي القاسم بن عيسى بن ناجي القيرواني سنة 1194هـ.

الهوامش:

(1)كتاب المغرب عبر التاريخ ، ابراهيم حركات : 3/ ص 158 – 159 ، وانظر أيضا كتاب المسالك والممالك للبكري : ص 156.

(2) كتاب المغرب عبر التاريخ ، ابراهيم حركات : 3/ 158-159.

(3) كتاب سوس العالمة ، محمد المختار السوسي : ص166 وهذ الكتاب مطبوعا قديما بالمغرب وهناك نسخة منه في المكتبة الوطنية بالحامة بالجزائر تحت رقم: 18- 5297.

(4) أقصد هنا بالبناء الثاني لإنها سبق لها وأن بنيت ثم خربت في القرن 10 هـ / 16 م .

(5) كتاب المعسول، محمد المختار السوسي : 18/ 159 وتوجد نحة منه بالمكتبة الوطنية بالحامة بالجزائر تحت رقم : 18 - 5297.

(6) ليس غرضنا أن نطيل الحديث في التاريخ الثقافي للمنطقة لإن ذلك سقودنا بعيدا عن لب الموضوع ن ولقد تجاوزنا تحت ضغط الرغبة في الاختصار الكثير من الاختصارات رغم نذرة وشح المراجع والمصادر التي تصب في هذا السياق التي لها دلالتها مثل التنبيه أن المنطقة كانت ممرا لطوائف الحجيج الذين كان لهم الفضل وكا أغلبهم من فقهاء شنقيط بموريتانيا وتمبكتو بمالي ولا يخفى دور مثل هذاه الزيارات الموسمية من أمثال هؤلاء العلماء في تنمية وترسيخ الثقافة المحلية بفضل حواراتهم ودروسهم والكتب التي كانوا يحملونها معهم والتي كانت محط أنظار طلبة العلم بالمنطقة حيث أنهم كانوا يتنافسون ويتسابقون في نسخها في وقت وجيز.

(7) وهو تصغير لكلمة دار.

(8) انظر: محمد يحيى الولاتي رحلة الولاتي من تيندوف إلى ولاتة (جزاءا خاصا من الرحلة الحجازية) ، تحقيق: بريك الله حبيب، طبعة دار الإرشاد، 2011..
(9) وله العديد من المنسوخات من المخطوطات والوثائق التجارية المحلية.
(10) ألف ونسخ الكثير من المخطوطات في تيندوف والمغرب والسودان الغربي وغيرها من الأمصار الأخرى، انظر حمادي عبد الله الإدريسي، تيندوف وتجكانت تاريخا ومناقبا وبطولات، ج:2، ص: .
(11) وقد كان حيا زمن إتمام ديوانه بتاريخ 29جمادى الأولى عام 1303ه/ موافق نحو 05 مارس 1886م، وكان عمر آنذاك 32 سنة. انظر: عبد الله حمادي الإدريسي، تيندوف وتجكانت تاريخا ومناقب وبطولات، ص: 531-532.
(12) تعتبر اللهجة الحسانية من بين أقدم اللهجات إذ عرف انتشارها إلى إلى ما قبل القرن 8هـ/14موهي اللهجة التي نتجت عن التزواج اللغوي للغة العربية الفصحى واللغة الأمازيغية مما نتج عنه خليط عربي أمازيغي عرفت به أغلب أقاليم الصحراء الإفريقية بدأ من تيندوف بالجزائر وسوس بالمغرب وتوات وسجلماسة وشنقيط بموريتانيا، فالتصاهر بين السوسيين والصحراويين عامة أنتج هذا الخلط بين اللهجتين وأنتج مجموعة من المظاهر الثقافية واللغوية المشترك فيما بينها، انظر: الطالب بويا لعتيك، الصحراء وسوس من خلال الأدب الحساني (ندوة حول الصحراء وسوس من خلال الوثائق والمخطوطات، التواصل والآفاق)، ص:224.
(13) للمزيد من التفصيل والتوضيح انظر: عبد الحق معزوز، العمارة الصحراوية التقليدية بمدينة تيندوف، ص: 75-76.
(14) للمزيد من التفصيل والتوضيح انظر: عبد الحق معزوز، العمارة الصحراوية التقليدية بمدينة تيندوف، ص: 75-76.
(15) انظر: عبد الحق معزوز، العمارة الصحراوية التقليدية بمدينة تيندوف، ، ص: 78-90.
(16) انظر: عبد الحق معزوز، العمارة التقليدية لمدينة تيندوف، ص: 51.
(17) للمزيد من التفصيل والتوضيح انظر: عبد الحق معزوز، العمارة الصحراوية التقليدية بمدينة تيندوف، ص: 52.
(18) انظر: عبد الحق معزوز، العمارة التقليدية لمدينة تيندوف ، ص: 52.

محمد السعيد بن سعد

خزانة محمد توهامي الأريكشاشي عينة

جامعة غرداية

ملخص: لا أحد ينكر ما للمخطوطات من دور في الحفاظ على تراثنا العربي والإسلامي، والذي ينم عن الجهود الجبارة لسلفتنا الصالح في شتى العلوم، مما يعد مادة خام للبحثة والطلاب تستحثهم على الوقوف معها ومقاربتها لإماطة اللثام عليها، ولينفع بها اللاحق، وتسهم في إنعاش المكتب العربية الإسلامية.

من أجل هذا ارتأيت أن أجول في رياض خزائن مخطوطات "هقار"، نذكر منها: خزانة أولاد البكاي بتهقارت وخزانة مولاي القائم بسرسوف وخزانة الشيخ محمد التهامي وغيرهامقترحين الخطة التالية:

1. مدخل: مخطوطات "هقار" تأصيلا.
2. بسط: خزائن "هقار" تباعا.
3. خاتمة: نتائج وتوقيعات.

أولا: مخطوطات" هقار" تأصيلا: هقار عاصمتها تمنراست مقر الولاية، وهي سلسلة جبلية، أصل التسمية مختلف فيه: قيل حشرة تسمى تامنغاست كانت تعيش هناك، وبعضهم يرجعها إلى أميرة اسمها "تامن" غرقت بواد كانت تستحم فيه بهذه المنطقة، فراح الأهالي يصرخون ويصيحون "تامن غاست" أي غرقت.[1]

يرى الجغرافي الفرنسي "ريمون فيرون R. Furon" أن أول من ذكر كلمة هقار هو ابن بطوطة[2]، وابن خلدون يسمى "هقار" هكاره أو الهكار ويرجعها إلى كلمة هواره[3]، سكان تديكلت وهقار: عرب وبربر.

هقار مدينة في حضارتها لأعلام نذكر منهم: الشيخ المختار الكبير وابنه سيد محمد (ت 1241هـ) ومحمد بن بادي (ت 1388هـ) وموسى أق امستان المجاهد الكبير والذي بنى زاوية ومسجدا، ومحمد باي بن عمر والشيخ محمد عبد الله الشنقيطي، والشيخ أحمد بن محمد، أسهموا أيما إسهام في الحفاظ على هوية المنطقة وتصدوا بكل ما أوتوا للتنصير.

دون أن ننسى الشيخ محمد التهامي الحينوني الذي وهب نفسه لهذه البلدة فأخرجها من غيابات الجهل والخرافة إلى نور الله فوطد العقيدة وعبد الطريق وأيقظ الضمائر عملا وسلوكا جزاء الله عنا خير الجزاء.

ومن أمثلة ما قام به هؤلاء الأعلام أن الشيخ محمد بن بادي بعث برسالة إلى قائد لهقار يومئذ باي بن أخموك ، يقول فيها بعد التحية والسلام:

«... وسبب الحروف إليك إعلامك بأني حبيب أبيك رحمه الله، وإني أحبك أنت لذلك وإن لم أرك، وإني أحمد الله لك على ما أعطاك، زادك الله خيرا وكفاك كل شر.

وإني أوصيك بتقوى الله، وأهمها: أن تصلح قواعد دينك أولا ثم تصحيح توحيدك، وصلاتك بعلم بعض أحكامها وأحكام طهارتها في أوقاتها، لا يشغلك عنها شاغل، وأداء ما ألزمك الله من حق الزكاة فيما أعطاك، وصوم شهر رمضان كلما أتى وأنت قادر، والحج إن قدرت وكف البصر والسمع واللسان والفرج والرجل والقلب أولا من الحرمات، ونفع المسلمين وعدم مضرتهم، فهذا هو الدين الذي يقوم به المسلم ويعتقد، لا تغفل عنه، ... وأمر بالمعروف وانه عن المنكر وأزل الظلم، ظلم قرابتك أولي القوة من إخوانك، وبني عمك، سو بينهم وبين غيرهم في حكم الله... إلى أن يقول: وإياك، إياك ودعوة المظلوم فإنه ليس بينهما وبين الله حجاب وإياك والبخل فقد قيل:

إذا ملك لم يكن ذا هبة ***---*** فدعه فدولته ذاهبة[4]

بل كن كريما، ولا تكن في حرمك مبذرا، بل اجعل عطاءك حيث ينفعك في الدنيا بجزاء أو دعوة صالحة من صالح، أو ينفعك في الآخرة بثواب أو مدرات لرد مكروه، ولا خير في غير ذلك من العطاء وكن يقظا فطنا في الأمور[5]».

ومن إسهامات هؤلاء الشيوخ تأسيسهم ل:

1. **الكتاتيب:** جمع كُتَّاب، مدرسة تقليدية صغيرة لتعليم الصبيان القراءة والكتابة وتحفيظهم القرآن[6]، يقول الدكتور يحي بوعزيز: "وهذه الكتاتيب أحيانا بيوت منفردة وأحيانا مجمعات من البيوت مختلفة الأحجام والأشكال".

وفي هذه المناطق يقول عبد السلام: هي مؤسسات تعليمية شعبية أهلية بسيطة كانت تحمل تارة على ظهور الجمال وتارة تحت سقف سعف النخيل، ومنها على سبيل المثال مدرسة (تيزقداوين)، ويتمركز حول هذه المدارس الموجودة بالحلات معلمون بخيامهم وتلاميذهم الابتدائيين مشكلين بصورة مصغرة للمؤسسات التعليمية المتنقلة[7]. أي أن الكتاتيب قد تتخذ في خيم.

2. **الزوايا:** جمع زاوية، من دلالاتها مسجد غير جامع ليس فيه منبر، وهو مأوى للفقراء والمتصوفين[8]. والزاوية مشتقة من زوى أي جمع لأن فيها تجتمع الضيوف والفقراء وطلبة العلم،وتحتضن بها الكتب والمخطوطات، ويجمع المال لها بالطرق المشروعة لتمويلها وتسيير نظمها[9].

والزوايا: مجمعات من البيوت والمنازل المختلفة الأشكال والأحجام، تشمل على بيوت للصلاة كمساجد، وغرف لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم العربية والإسلامية، وأخرى لسكنى الطلبة وطهي الطعام، وتخزين المواد الغذائية والعلف، وإيواء الحيوانات التي تستعمل في أعمال الزاوية.

3. **الحلل:** جمع حلة من حلَّ، حَلَلْت، يحُلُّ/يحِلّ حلا وحلولا، حالّ، المكان وبه: نزل وعكسه، ارتحل، يقول تعالى: "أو تحل قريبا من دارهم".

جاء في المصباح المنير: "والحِلَّة بالكسر، القوم النازلون، وتطلق على البيوت مجازا تسمية للمحل باسم الحال، وهي مائة بيت فما فوقها والجمع حِلال بالكسر وحِلل مثل سدة وسِدر[10]والحِلّة: منزل القوم وجماعة البيوت ومجتمع الناس، جمع حلال وأحلَّة[11].

ولك أن تجعل الحلة من الحلول في المكان، لأن الحلة التي نتحدث عنها أهلها صحراويون، وقد يكون أغلبهم رحّل ينصرفون عادة إلى الحل والترحال، يقول محمد أداس: "ذلك أن الحلة نفسها مجهولة وأهلها صحراويون غالبهم لم يدخل حضارة قط، اللهم إلا بعض الأفذاذ من العلماء كالمختار الكنتي الكبير وحفيده الشيخ باي بن سيدي اعمر والشيخ سيدي محمد بن باد الكنتي، رحم الله الجميع[12].

ولك أن تجعلها من حل العقدة إذا فكها وحل المشكلة أو المسألة، فإن سراة القوم كانوا يعقدون مجالس لحل المنازعات، بل إنهم اشتغلوا بالقضاء، "فإن هؤلاء الثلاثة تعدت مشيختهم أخذ الورد إلى التعليم وفض الخلافات والمنازعات والاقتداء في النوازل والتأليف حتى صاروا المرجع الفاصل في الخلاف بين العلماء غيرهم"[13]. ويقول شيخنا في موضع آخر: "لم يقتصر دور السوقيين على الإفتاء والقضاء والتعليم والتأليف فقط، بلد تعدى دورهم ذلك إلى الإصلاح بين القبائل المتنازعة والمتناحرة"[14].

ومما ينبغي الإشارة إليه إلى جانب هذه المعالم، دور هذه المؤسسات وأهميتها في المجتمع، والمصادر المالية لهذه المؤسسات الدينية، والمعارف التي تدرّس وتؤلف فيها.

لا يختلف اثنان في أن هذه المؤسسات قد أدت دورا هما كشريك اجتماعي ثقافي حضاري في الأمة منذ بزوغ فجر الإسلام.

يقول الدكتور يحي بوعزيز: "... وظيفتها تعليم مختلف العلوم الدينية، وغير الدينية...، إذ لم يكن باستطاعة المسجد وحده أن يقوم بهذا الدور، فاهتم المسلمون بإنشاء مثل هذه المدارس وتعميمها... وجرت العادة أن تؤسس هذه المدارس بجوار المساجد، نظرا للصلة الوثيقة بين الدين والعلم".[15]

يقو بكري: "للزوايا دور كبير وهام في صيرورة الحياة الثقافية والاجتماعية بتوات، فقد اعتبرت ركيزة أساسية وأداة هامة لتنمية المجتمع التواتي، فنشأت بها العديد من الزوايا التي اهتمت بتعليم الصبيان حروف اللغة وتدريس الطلبة علوم

الفقه واللغة والحديث، كما اهتمت بفعل الخير والاعتناء بعابر السبيل، فاعتبرت بذلك مرفأ للراحلة والأمان ومطلبا للسلامة".[16] أضف الى دلك حفظها للتراث العربي الإسلامي بما حوته من مخطوطات في خزائنها.

يقول الحاج التومي سعيدان أثناء حديثه عن تدريس القرآن الكريم والعلوم الإسلامية: "كان التدريس مجانا في سبيل الله، الأمر الذي يجعل الأجيال تتمسك بدينها الحنيف على بصيرة، ويتخرج للمجتمع أفراد فطناء أمام أي غزو فكري أو عسكري، بل يكون المجتمع برمته في مناعة تامة ضد أية محاولة استدمار...".

وفي الزوايا يضيف محمد باي أنها صنفان: صنف يقوم بإيواء الفقراء والمساكين والضيوف، والإصلاح بين الناس، يقول: "والهدف من نشأتها، تقوم بإطعام الطعام للضيوف والزائرين على اختلاف أغراضهم وتباين أجناسهم من قبل شيوخ الزوايا... وكانت هذه ولا زالت تقوم بالإصلاح بين المتنازعين وتقرب بين المتباعدين... وتعمل على مساعدة الفقراء والضعفاء والمساكين...، ومن أبرز أدوارها المحافظة على الدين وإقامة الجهاد المقدس لطرد أعداء الدين عن ديار المسلمين.

وصنف آخر من الزوايا قائم على تحفيظ القرآن وتعليم العلم، وعلى العموم فإن من مهام الزوايا[17]، ما يلي:

1. تحفيظ القرآن وتعليم الفقه، وقراءة صحيح البخاري ومسلم وموطأ الإمام مالك كل سنة، وهذا مشترك بين الكتاب والزاوية والحلة.

2. نشر الإسلام في كثير من أصقاع الجنوب.

3. مكافحة الأمية.

4. حضن اليتامى والقيام بشؤونهم.

5. القيام بالختام الجماعي.

6. القيام برحلات إلى الحج.

7. تفجير الفقاقير وغرس النخيل.

8. الإصلاح بين الناس.

9. إحياء المواسم الدينية.

10. **وضع خزائن للمخطوطات، والحفاظ عليها.**

وجاء في مقال محمد أداس أثناء كلامه عن حركات الإصلاح عند أهل هذه الحلة -أي حلة السوقيين- يقول: "لم يقتصر دور السوقيين على الإفتاء والقضاء والتعليم فقط، بل تعدى دورهم ذلك إلى الإصلاح بين القبائل المتنازعة والمتناحرة".[18]

والحاصل أن هذه المؤسسات بخاصة منها الزاوية جمعت بين المهمة التعليمية والاجتماعية والحربية إلى درجة أن قاعدة انطلاق الجيش المغيلي -عبد الكريم المغيلي- في حربه على اليهود، ...كان نشاطها يتجاوز الوطن إلى الخارج وما أدل على ذلك من الطوارق من خارج الجزائر كانوا يؤمنون بهذه المؤسسات وأقروا بأفضال تتلمذهم فيها.[19]

بجهود هؤلاء الشيوخ والمؤسسات التي أسهموا في تأسيسها، كتب لكثير من المخطوطات أن تبقى، على أن نفضي إلى نتيجة هي أن خزائن المخطوطات في هقار جلها إن لم تكن كلها هي امتداد لخزائن توات وخزائن السوقيين وخزائن المكنتيين، فقد تجد المخطوط في خزينة من هذه الخزائن، وتلفي له نسخا في خزائن "هقار" مع أنك قد تجد الأصل في "هقار".

لقد أشرنا إلى المجاهد موسى أق أمستان الذي أسس زاوية ومسجدا، والشيخ محمد التوهامي أقام مسجدا ومدرسة بل تعد زاوية، إذ إن الزاوية كانت بمثابة مخازن ودواوين للكتب والمخطوطات في مختلف العلوم والفنون[20].

فخزانة ساهل بأقبلي مسقط رأس الشيخ محمد التوهامي تضم تراجم لعدد من الإعلام الذين أسهموا بعلمهم في تنوير "هقار"، من أمثال: الشيخ أحمد بن محمد بن الحاج عبد القادر بن محمد بن مالك الفلاني (ت 1374) وغيرهم من آل فلان[21].

والمخطوط: من خطط، خططت، بخط، خطا، خاط الكتاب (بالقلم) كتبه[22]، والمخطوط: المكتوب بالخط اليدوي، جمع مخطوطات، والمخطوطة النسخة المكتوبة باليد[23]، ومادام حديثا عن المخطوطات، لا يفوتنا أن نعرج على المصطلح والمفهوم.

والمخطوط هو المكتوب الذي لم يحقق بعد، تحقيقا وفهرسة وترتيبا بحسب قواعد التحقيق[24].

والمخطوطات في هقار لا تخرج عن المخطوطات في العالم العربي الإسلامي بل والجزائر، وهي مجال من مجالات حفظ الهوية الوطنية كما أنها بمثابة الذاكرة، والمخطوط حفظ لنا تراثنا الثقافي الذي ورثناه عن الأسلاف وصنعه الآباء والأجداد، يضم في تخصصاته المختلفة كنوزا من العلوم ونفائس من المعارف[25].

لا يختلف الناس في عظيم نفع المخطوط، فهو يربط خلف الأمة بسلفها وماضيها بحاضرها، ويمدها برصيد من الثقافة والفكر وصور الحضارة الإنسانية وتجارب الحياة، وهو على كونه ميراثا لا يزال يحمل في كثير من جوانبه معنى الابتكار والتجديد*.

ويراه بعضهم: كنز الأمة الحضاري وموروثها الفكري الضارب في القدم في فروع المعرفة المختلفة. جاء في كتاب تحقيق المخطوطات:" "تشكل المخطوطات جزءا هاما من التراث الذي أبدعته الحضارة العربية والإسلامية في شتى حقوق المعرفة الإنسانية من تاريخ وجغرافيا وأدب وفن وطب وكيمياء وفلك وسائر العلوم. يتراوح عددها ما بين ثلاثة ملايين إلى خمسة ملايين مخطوط موزعة في مكتبات العالم العربي وفي مكتبات العالم المختلفة: أوربا وأمريكا وبعض دول آسيا...، وهي مهمة منسية ولم يحقق منها إلا النزر اليسير، وبعضها أعيد تحقيقه

وطبعه مرات، إما لأهميته وإما لسهولة رواجه بين الناس، وقد أسهم المستشرقون في الغرب بحصة وافرة مما نشر من تلك المخطوطات[26].

قال القلقشندي في مطلع القرن التاسع الهجري/الخامس عشر ميلادي: "واعلم أن الكتب المصنفة أكثر من أن تحصى -المقصود المخطوطة- وأجل من أن تحصر، لاسيما الكتب المصنفة في الملة الإسلامية، فإنها لم يصنف مثلها في ملة من الملل، ولا قام بنظيرها أمة من الأمم، إلا أن فيها كتبا مشهورة قد توفرت الدواعي على نقلها والإكثار من نسخها وطارت سمعتها في الآفاق ورغب في اقتنائها[27].

من أجل ذلك حوربت المخطوطات والزوايا والمدارس القرآنية الحاوية لها، يقول محمد سي يوسف: "تسلقت القوات الفرنسية جبال بني اسماعيل حتى وصلت زاوية امحمد ابن عبد الرحمان ونصبت خيامها بجوارها، وكان أو عمل قامت به هو نهب المكتبة والمخطوطات التي وجدت في الزاوية..."[28].

ثانيا: خزائن "هقار" تباعا: نذكر من هذه الخزائن على سبيل التمثيل[29]:

- خزانة الشيخ التهامي، بعضها في أقبلي وبعضها عند الشيخ أحمد سلامة وشيء منها عند الشيخ محمد فيلي.

- خزانة الشيخ أولاد البكاي الكنتي بتهقارت الغربية.

- الشيخ مولاي محمد بن سليمان القائم بحي سرسوف الغربي.

- خزانة الشيخ أولاد البكاي أحمد عابدين المعروف بالشيخ حيمد موجودة بحي موفلون.

- خزانة الشيخ عيسى أقمامة بقرية أسليسكن بلدية أبالسة.

- خزانة الشيخ علي خي بسرسوف.

- خزانة زاوية المجاهد الشيخ عابدين بن سيدي محمد الكنتي بتهقارت والقيم عليها أولاد البكاي الشيخ.

- خزانة الشيخ أحمد البكاي الكنتي بحي أمشون، القيم عليها أحفاده.

نتناول من هذا الكم ثلاث خزائن، وهي على التوالي:

خزانة الشيخ محمد التوهامي الحنوني الأركاشي[30]:

الرقم	المخطـوط	مؤلفـه	الفـن أو العلـم
01	فقه الأعيان في معرفة حقائق القرآن والسنة	المختار الكبير[31]	علوم الشريعة
02	نظار الذهب في كل فن منتخب	/ / /	علوم الشريعة "إعجاز القرآن"
03	الجرعة الصافية	/ / /	علوم الشريعة "التصوف"
04	زينة الفتيان (شرح الوقاية للسيوطي)	ولد سيدي بادي (المكنى سيدي حم)	علوم الشريعة
05	كتاب الطرائف والتلائد	المختار الكبير (الكنتي)	تراجم وأنساب في الأغلب
06	كشف النقاب على فاتحة الكتاب	/ / /	علوم الشريعة "التفسير"

07	شرح البسملة	/ / /	علوم الشريعة "تفسير ج.1"
08	البرد الموشى في قطع التمائم والرشى	/ / /	علوم الشريعة "السياسة الشرعية"
09	شرح المقصور والممدود[32]	/ / /	تفسير "علوم اللغة"
10	نشر البنود على مراقي السعود	/ / /	علوم الشريعة "أصول الفقه"
11	نزهة الراوي وبغية الحاوي	/ / /	علوم الشريعة "علوم الحديث"
12	زوال الإلباس	/ / /	
13	الأجوبة المهمة لمن له بأمر الدين همة	/ / /	
14	التلخيص (شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني)	محمد لمين الكنتي	علوم الشريعة "الفقه"
15	بنت السودان (ألفية في النحو)	الطالب محمد الفقي*	علوم اللغة "النحو"
16	شروح الأحاديث المقربة	سيدي باي بن الشيخ ولد سيدي عمر الكنتي	علوم الشريعة "الحديث الشريف"
17	شرح قواعد عياض	الشيخ القبّاب	علوم الشريعة

* تلميذ سيدي حم.

خزانة الشيخ: محمد بن بادي الكنتي تقع بحي تهقارت الغربية وقد أنشأها نجل الشيخ بن بادي الكنتي والمسمى ولد سيدي حمّ (أولاد البكاي)

مؤلفات الشيخ محمد بن بادي الكنتي (ت 1388)

الرقم	المخطـوط	مؤلفــه	الفـن أو العلـم
01	مقدم العيي المصروم على نظم ابن اب لأجروم	محمد بن بادي الكنتي	علوم اللغة
02	بلوغ الغاية على الوقاية (في النحو)	//	علوم اللغة
03	غاية المقدم على وقاية المتعلم من اللحن المثلم	//	علوم اللغة
04	منظومة في النحو	//	علوم اللغة
05	منظومة في البيان	//	علوم اللغة
06	منظومة في الخط والرسم	//	علوم اللغة "الخط"
07	منظومة في علم المعاني	//	علوم اللغة "البلاغة"
08	نظم فتح البصيرة على قواعد الدين الخمس المنيرة	//	علوم الشريعة

09	بغية الشريف في علم الفرائض المنيف	//	علوم الشريعة "الميراث"
10	مراتع الخريف شرح بغية الشريف	//	علوم الشريعة "علم الفرائض"
11	بديع الشكل في أحكام اللباس والشراب والأكل	//	علوم الشريعة "معاملات"
12	الروضة الأنيقة في أحكام الأضحية والعقيقة	//	علوم الشريعة "معاملات"
13	هدية الباري الجواد في حكم آبار البلاد	//	علوم الشريعة "معاملات"
14	سبل السلام لمصالح الأنام	//	
15	منظومة في الحديث	//	علوم الشريعة علوم الحديث
16	منظومة في التصوف	//	علوم الشريعة التصوف

17	منظومة في السيرة النبوية	//	علوم الشريعة "فقه العبادات والمعاملات"
18	منظومة في الطب	//	العلوم التجريبية
19	نظم مختصر خليل	//	علوم الشريعة "الفقه"

كما تحوي الخزانة العديد من مخطوطات الكنتيين مثل:

- الجرعة الصافية والنفحة الكافية للمختار الكبير الكنتي.

- المختار الكبير، زيل الكوكب الوقاد، ويقع في 140 صفحة من الحجم الكبير.

- شرح الاسم الأعظم، وهو من الحجم الصغير.

- زوال الإلباس.

خزانة الشيخ مولاي محمد بن سليمان القائم[33]:

الرقم	المخطـوط	مؤلفــه	الفـن أو العلـم
01	الأجوبة الأبانية[34] (أسئلة دينية مختلفة)	الشيخ سيدي المختار الكبير الكنتي	علوم الشريعة

02	المنة في اعتقاد أهل السنة	الشيخ سيدي المختار الكبير الكنتي	علوم الشريعة
03	كتاب الطرائف والتلائد	الشيخ سيدي المختار الكبير الكنتي	تراجم في الأغلب
04	الفلق البهي على شرح نظم الأخضري[35]	الشيخ محمد بن محفوظ بن الشيخ بن دهمهد	علوم الشريعة "عقيدة وتوحيد"
05	مرجع المشكلات في الاعتقادات والجنابات والعبادات[36]	الشيخ أبي القاسم بن محمد التواتي الليبي	علوم الشريعة "عقيدة وتوحيد"
06	إبرام النقض[37]	محمد الخضر بن سيدي عبد الله مايابي الجكني الشنقيطي	علوم الشريعة "عقيدة وتوحيد"
07	جواهر التدوين في خدمة العلم ونصر الدين وشرح اليواقيت والدر الثمين في إحياء الشريعة ونصح المسلمين[38]	الشيخ محمد عبد القادر بن أحمد الشنقيطي (الموريتاني)	علوم الشريعة "عقيدة وتوحيد"
08	فتح المجيد على نظم عبد الله بن الحاج أحماه الله الشنقيطي (شرح رسالة أب زيد القيرواني)	الشيخ عبد الله بن الحاج أحماه الله	علوم الشريعة "الفقه"
09	فتح البصيرة على قواعد الدين المنيرة[39]	الشيخ محمد باي بن الشيخ سيدي عمر الكنتي	علوم الشريعة

10	السنن المبين من كلام لسيد المرسلين[40]	الشيخ محمد باي بن عمر	علوم الشريعة "الحديث الشريف"
11	مقدم العي المصروم شرح نظم ابن أجروم	سيدي محمد بن باد الكنتي العقبي	علوم اللغة "النحو"
12	حاشية الباجوري على متن البردة[41]	إبراهيم الباجوري	بين الشريعة والأدب
13	وسيلة النجاة من فتن الحياة والممات لأحوج العباد لغفران الذنوب والزلات	محمد عبد القادر بن أحمد الشنقيطي الموريتاني	علوم الشريعة

نتائج وتوقيعات:

بداية ينبغي الاعتراف أن هذا التراث العظيم الذي أرسيت دعائمه في هذه المخطوطات عبر العصور، هو ما صان للأمة وحدتها، وفي ظله تهاوت الحدود الجغرافية والفوارق العرقية، وفي تياره امتزت العروبة ومازيغية و الإسلام امتزاجا عميقا رائعا، فلم لا يكون كذلك اليوم؟

وللأمانة نذكر أن هؤلاء الشيوخ والعلماء قد أفنوا عمرهم وأخلصوا في خدمة هذا التراث لإيصاله نقيا الى الأجيال اللاحقة ومما قاموا به في هذا الصدد نذكر:

- خصصوا دورا للكتب والمطالعة يؤمها العلماء والطلاب لسد حاجاتهم الثقافية، وذلك في زمن لم تكن آليات الطباعة والاستنساخ تذكر بشيء.

- وضع تنظيمات يخضع لها من أراد أو رغب في الإفادة من المخطوط.

- الطبيعة المرجعية للمخطوطات وقيمتها الأثرية تقتضيان عدم فسح المجال لأي كان للتعامل معها.

- إن العناية بالمخطوط هي عناية بالخوانة التي تظل متينة في البيوت وعند الأفراد. ذلك يؤول بنا إلى تنظيمها وفهرستها وحفظها.

- كثيرا ما تكون هذه المخطوطات حبوسا أو وقفا لسبيل الأجر والتواب.

- الكثير من الإشكالات العلمية وجد الباحثون حلولا لها في مخطوط احتفظ به في خزانة خاصة.

- كل خزانة قد تتضمن مخطوطات يكون قد اقتناها أو بخط يده أو من تأليفه.

الإحالات:

1 محمد السويدي، بدو الطوارق بين النبات والتغيير، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والتوزيع، الرويبة، 1986، ص: 73.
2 ينظر، Furoun. Reymound, Le Sahara, Paris Payot, 1964, P: 2.
3 عبد السلام بوشارب، الهقار أمجاد وأنجاد، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والتوزيع، الرويبة، 1995، ص: 16.
4البيت من شواهد الجناس المركب.
5 ينظر، تنوير ذوي البصائر بما كان في الهقار صائر، محمد عبد الحمد قبلي، ط: 01، 2012/1434، مطبعة سخري، الوادي، الجزائر.
6 مجموعة من الأساتذة، القاموس الأساسي العربي، ص: 1028، باب: ك.ت.ب.
7 عبد السلام بوشارب، المرجع السابق، ص: 91.
8 القاموس الأساسي العربي، المرجع السابق، باب: زوي، ص: 595.
9 محمد باي بلعالم، المرجع السابق، مادة حَلَّ، ص: 346.
10 الفيومي المقرئ، المصباح المنير، ط: 03، 1999/1420، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ص: 80.
11 مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، ط: 02، 1973، الهيئة العامة للكتاب، مصر، ص: 174.
12محمد أداس، دور الحلة في نشر الدين الإسلامي، ص: 01.
13 نفسه، الصفحة نفسها.
14 نفسه: ص: 10.
15 يحي بوعزيز، أوضاع المؤسسات الدينية في الجزائر خلال القرنين 19 و20، مجلة الثقافة، العدد: 63، 1981/1401، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص: 13-13.
16الحاج التومي سعيدان، المرجع السابق: ص: 100.
17محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، دار هومة، الجزائر، 2005، ص: 320-322.
18محمد أداس، المرجع السابق، ص: 10.
19 ينظر، أحمد الحمدي، تاريخ الحضارة الإسلامية، جامعة وهران (ماجستير)، 2000/1999، وكذلك عبد الحميد بكري، المرجع السابق، ص: 56-57.
20 أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر، يحي بوعزيز، 1981/1401، ص: 19.
21 الرحلة العليا إلى منطقة توات، محمد باي بلعالم، 2005، ص: 1/ 397.
22 المعجم الأساسي العربي، مجموعة من الأساتذة، مادة خطط، ص: 406.
23 المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، مادة خطط، ص: 208.
24 المعجم الأساسي العربي، مجموعة من الأساتذة، مادة خطط، ص: 406.

25 تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث، صادق عبد الرحمان الغرياني، 1989، ص: .05
* نفسه ص: .05
26 تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، فهي سعد وطلال مخدوب، 1993/1413، ص: 05.
27 صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القلقشندي، ص: 467. وينظر، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، أمين فؤاد سيد، 1997، ص: .02
28العامل الديني في مقاومة الاستعمال الفرنسي، محمد سي يوسف، 2008/1429، ص: .55
29 ينظر، دليل المخطوطات الخاص بمنطقتي هقار وتديلكت، مديرية الشؤون الدينية والأوقاف، 2001/1422، ص: 02-08، وكذا، من أعلام التراث الكنتي المخطوط، الصديق حاج أحمد، 2007، ص: 24.
30تقع في حي وسط المدينة -الحوانيت- بعضها الآن في أقبلي (تيكلت)، وبعضها في خزانة الشيخ محمد فيلي، ينظر، تنوير ذوي البصائر بما كان في الهقار صائر، محمد عبد الحميد فيلي، 2013، ص: 162-.163
31ت 1226هـ، ينظر، صحراء الملثمين وبلاد السودان، حماه الله ولد السالم، 2011، ص: 06.
32 الكتاب محقق من قبل الأستاذ الدكتور محمد زمري جامعة تلمسان.
33 تقع الخزانة في "هقار" بحي سيرسوف الغربي.
34المخطوط محقق من قبل مامون محمد أحمد.
35 صححه محمد محمود ولد محموود ولد سيدي ولد مدة
36 على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، وهو شرح نوازل سيدي عبد الله العلوي الشنقيطي (ت 1230 هـ).
37يبدو أنه مصحح أو محقق من قبل: محمد محمود محمد الأمين، منشورات دار البشائر الإسلامية.
38 الكتاب حققه عبد الله المختار بن عبد الكريم المجلسي.
39 الكتاب في شرح العقيدة والعبادات.
40 شرح الأحاديث المقرية، الشيخ محمد باي بن عمر معروف بالشيخ باي الكنتي الوافي العقبي (نسبة إلى عقبة بن نافع رضي الله عنه)، (ت1348هـ)، والكتاب في جزئين، يضم كل منهما مقدمة شرح 25 حديثا، في المجموع 50 حديثا.
41 شرح بردة البوصيري.

مكتبة البحث:

1. أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر، خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، يحي بوعزيز، مجلة ثقافية، وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر، السنة الحادية عشر، العدد: 63. رجب-شعبان 1401/مايو-يونيو .1981

2. الرحلة العلية إلى منطقة توات، محمد باي بلعالم، دار هومة، 2005، ج: 1.

3. المعجم الأساسي العربي، مجموعة من الأساتذة.

4. المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، القاهرة.

5. تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث، صادق عبد الرحمان الغرياني، منشورات تجمع الفاتح للجامعات، الجماهرية العربية الليبية، .1989

6. تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، تح: فهمي سعد وطلال مجذوب، ط: 01، 1993/1413، عالم الكتب، بيروت.

7. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القلشندي. والكتاب العربي المخطوط، أمين فؤاد سيد، ط: 01، ربيع آخر 1428/يوليو 1997، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.

8. العامل الديني في مقاومة الاستعمار الفرنسي لبلاد القبائل إلى غاية 1857، محمد سي يوسف، مجلة رسالة المسجد، السنة السادسة، العدد: 08، شعبان 1429/أوت .2008

9. دليل المخطوطات الخاص بمنطقتين هقار وتديكلت، مديرية الشؤون الدينية والأوقاف تمنراست، الجزء: 01، .2011

10. من أعلام التراث الكنتي المخطوط (الشيخ محمد بن بادي الكنتي، حياته وآثاره)، صديق حاج أحمد آل المغيلي، دار المغرب للنشر والتوزيع، وهران، .2007

11. تنوير ذوي البصائر بما كان في الهقار صائر، محمد عبد الحميد فيلي، ط: 02، 2013، مطبعة سخري الوادي.

12. صحراء الملثمين وبلاد السودان، حماه الله ولد السالم، ط: 01، 2011، دار الكتب العلمية بيروت.

الأستاذ/ بوقاعدة البشير

-جامعة سطيف 2

- التراث الجزائري المخطوط ، دراسة في أهمية التحقيق و آليات التفعيل.

مقدمة:

في الوقت الذي أضحى المخطوط بالجنوب الجزائري يصارع جملة من الأخطار تتهّدده خاصة النفيس و الأهم منه بات من الجدير على الفاعلين أساتذة و باحثين دارسين و مهتمين مؤسسات و من عليها قائمين التصدي في مسعى جاد لحماية هذا الارث الحضاري الهام من الضياع و النهب و السرقة و البلى التلف ، و حتى من التجارة بكنوز الحضارة.

و لا ريب أن من أجدى و أبلغ سبل الحماية و الحفاظ على هذا المكنون هو الانتصاب في جهود فرادى و جماعات للتحقيق العلمي الوازن لنصوصه ، وفق الأسس العلمية و المنهجية التي نظر لها و أرسى قواعدها العلماء و المختصون ، في ظل ما ينطوي عليه هذا التراث المخطوط من أهمية كبيرة في حقل الكتابة العلمية التي أثرت الحضارة الجزائرية على امتداد عصورها و حقبها التاريخية ، و كذا لإبراز جهود نخبها العلمية جهود المضنية لإثراء الجوانب الدينية و اللغوية و الأدبية لتلك الحضارة ، ناهيك عن أنه ذاكرة الأمة الجزائرية المتضمن هويتها و مقومات وجودها و المعبر عن شخصيتها و ضميرها ، و الفاعل الكبير لصون تراثها و استمرار بقائها.

من هذا المنطلق شدّ انتباهنا موضوع ملتقى المخطوطات في الجنوب الجزائري واقعها و أعلامها لنساهم بجهدنا المتواضع في اثراء احدى محاوره بدراستنا الموسومة " التراث الجزائري المخطوط ، دراسة في أهمية التحقيق و آليات التفعيل " لنكشف الستار عن حيثية هامة في مجال أهمية تحقيق المخطوط

الجزائري نظير ما يكتسيه من أهمية بالغة ، و البحث في آليات تفعيل عملية التحقيق و سبل الاستزادة بعد الاستفادة من هذا الارث الكبير المحفوظ في الخزائن و الرفوف ، و الذي لا يزال عرضة لكثير من الأخطار الملتهمة لكنز لا ينبغي أن يزول بالزوال. و عليه نتساءل عن أيّ السبل أنجع لحماية هذا الارث؟ و إلى أي حدّ يساهم التحقيق في الحفاظ عليه؟ و في ما تتجلى آليات تفعيل العمليتين السابقتين (سبل الحماية و أهمية التحقيق)؟

1- واقع المخطوط الجزائري:

يكتسي التراث الجزائري المخطوط أهمية بالغة في حقل الكتابة العلمية ، ذلك أنّ هذا الانتاج يمثل عصارة أفكار أبناء الجزائر و عبقرية أجيالها ، فهو المخزون الثقافي و الفكري الذي يرسم ملامح تاريخها و حضارتها على مر الأزمان و في شتى المجالات[1] ، كما أنّه المؤشر الحضاري لإدراك مستويات العلم و الثقافة التي كانت عليها مجتمعات الأمة الجزائرية ، بل صورة حية لواقع العلوم و الآداب من لغة ، و نحو، و فلسفة، و دين، و رياضيات، و فنون، و عمران، و غيرها[2].

و الجزائر تزخر بثروة علمية كبيرة يمثلها ذلك التراث المخطوط في مختلف مجالات العلوم. غير أن هذا التراث و على كثافته لا يزال جزء كبير منه مكتنز في ظلمات الخزائن قابع بين زوايا النسيان عرضة لعوامل التلف و الفناء و الزوال ، سواء في بعض المكتبات العامة أو الخاصة و مكتبات الزوايا و غيرها من المكتبات التي تحوي هذا المخطوط ، على غرار كل من: تمنراست ، و عين صالح ، و أدرار ، و تندوف ، و ورقلة ، و بسكرة و غيرها من أماكن حفظه[3].

و الحقيقة التاريخية التي وقف عليها جل الباحثين الجزائريين بشأن المناطق الغنية بالتراث المخطوط في الجزائر ، هي منطقة الجنوب بلا منازع ، إذ تحوز خزائنها أكبر عدد من المخطوطات ، ذلك أنه لا يكاد يخلو أي قصر عتيق أو بيت توارثه مشايخ الزوايا من مخطوطات العلماء الجزائريين في مجالات متنوعة من العلوم. و هذا ان دلّ على شيء فإنما يدلّ على الاسهام الكبير لعلماء منطقة الجنوب في الحياة العلمية و الحضارية للجزائر[4].

و من أبرز هذه الخزائن التي تحتويها ولايات الجنوب الجزائري ، الخزانة الزيانية القندوسية بولاية بشار[5] ، و بالضبط تلك الموجودة في القصر العتيق غرب مدينة القنادسة ، و التي تتضمّن كمّا غزيرا من المخطوطات ، و التي ترجع إلى بعض العائلات و كذا الرحالة الذين زاروا المنطقة. و من هذه المخطوطات ما تعلق بالفقه كمخطوطة أحمد بن محمد القلشاني في الفقه المالكي ، و "مواهب الجليل في

شرح مختصر خليل لأبي محمد عبد الرحمن الحطاب ، ومخطوطات في التصوف "كفتح المنان في سيرة الشيخ بن أبي زيان" للشيخ عبد الرحمن بن محمد اليعقوبي ، و مخطوطات أخرى في العقيدة و الحديث ، مثل "مجموع المتون ، و هو مخطوط مجهول المؤلف ، و مخطوط الايمان في أخبار الزمان ، و هو الأخر مجهول المؤلف ، و كذا مخطوطات في التاريخ ، مثل مخطوط "التوجه لحج بيت الله الحرام و زيارة قبره عليه السلام" لمصنفه ابي العياد بن أحمد بن الشيخ الهلالي السجلماسي ،و في مجال الأدب أيضا ، مثل مخطوط "تحفة الأريب و نزهة الأريب" لأبي مدين بن أحمد بن عبد القادر الفاسي ، و غيرها من المخطوطات في مجال الطب و الفنون[6].

و لا يفوتنا في هذا السياق، الاشارة إلى الحالة التي أضحى عليها هذا المخطوط الجزائري من حالة متردية لأوراقه بسبب العوامل الطبيعية كالرطوبة و الحرارة و الحموضة و الحشرات و الانكسار و بهتان الأحبار، أو عوامل فيزيوكميائية كالدخان و الغبار و عمليات الأكسدة ، أو بيولوجية كالحشرات و الفطريات و غيرها من الكائنات الدقيقة التي تفتك بأوراقه[7] ، وحتى بشرية ، من مثل: الحرائق التي قد تصيبه ، و جهل القائمين عليها بالتقنيات و الطرق الكفيلة بحفظها و صيانتها و عدم استثمار الأجهزة التكنولوجية العصرية المساعدة على ضمان حياتها و استمراره ، كالرقمنة الالكترونية ، و عمليات التصوير و النسخ لهذه المخطوطات خاصة التي تحتويها خزائن المكتبات الفردية و الخاصة بالعائلات و شيوخ الزوايا[8].

و يضاف إلى هذا، الصعوبات التي تعترض الباحثين و الدارسين الجزائريين المهتمين بعملية جمع المخطوطات المكتنزة في الخزائن و فهرستها ، و تحقيقها و دراستها ، من مثل: احجام القائمين عليها في مكتبات الزوايا -خصوصا بالجنوب الجزائري الغني بهذه المخطوطات- و اعراضهم عن فتح المجال لهؤلاء الباحثين للوقوف عليها و انقاذها ممّا يدمرها بشكل تدريجي من خلال عملية التحقيق و الفهرسة. و من الأمثلة على ذلك ما ساقة الباحث صالح يوسف بن قربة في رحلته إلى الجنوب الجزائري ، و بالضبط لخزانة الزاوية العثمانية ، و ما اعترض سبيله من صعوبات من لدن القائمين عليها من مراقبة مشدّدة و منع للفهرسة بحجة كونه ارث جماعي للأسرة لا يمكن المساس به ، حين رام عملية الفهرسة لمكنونها ، الذي يزيد عن الألف مخطوط ، يتعلق أغلبه بالقضايا الفقهية ، و الحديثية، و

النحوية، و اللغوية ، و ما وقف عليه من حال سيئ لتلك المخطوطات ، التي أضحت أوراقها مفتتة و مقطعة لا يقدر الباحث لمسها أو تقليب صفحاتها[9].

و انطلاقا من هذه الحقيقة التي لا مناص منها ، و حرصا على مستقبل تراثنا المخطوط، أضحت قضية احياء التراث الجزائري المخطوط و العناية به و تأمينه أمرا حتميا ، و مهمة ملقاة على عاتق الدارسين و الباحثين المتخصصين و غيرهم من المهتمين في هذا المجال في كل من المؤسسات العلمية الأكاديمية و الحرة و الجمعيات الفاعلة و الناشطة في مجال البحث العلمي ، من خلال استقراء مآثر هذا التراث ، و جمعه ، و ترتيبه ، و تحقيقه للكشف عن مكونات هذا الكنز الثمين. و في هذا السياق ، يرى الباحث صالح يوسف بن قربة أنّه لا عبرة للحديث عن التراث العلمي المخطوط و احيائه ، سواء كان أدبيا أو علميا و غيره مما تعلّق بالحرف و الصنائع و العمران دون الانتصاب في جهود فرادى و جماعات لتحقيقه و دراسته ، و ذلك -حسب رأيه- لأن التحقيق هو الذي ينقل التراث من مجرد مخطوط يستعصي على الفهم و يصعب على القارئ قراءته ، إلى تراث انساني جدير بالتسجيل و الاحياء[10].

3- آليات تفعيل عميلة تحقيق التراث المخطوط:

التحقيق في اللغة هو: مصدر للفعل: حقق ، يحقق. و حقق الأمر يحقه حقا ، و أحقّه كان منه على يقين ، و كلام محقق: أي رصين. و هو اثبات المسألة بدليلها. و نلمس من خلال هذا التعريف اللغوي ، أن التحقيق في اللغة هو: هو الادراك الصحيح للأشياء على حقيقتها كما هي ادراكا تاما يقينيا لا لبس فيه و لا مرية.

أما في الاصطلاح، فمعناه: الاجتهاد في جعل النصوص المحققة و نشرها مطابقة لحقيقتها ، كما وضعها صاحبها و مؤلفها ، من حيث الخط و اللفظ و المعنى. و تحقيق المخطوطات و نصوصها هو: مجال من مجالات البحث العلمي الرامية إلى تثبيت النصوص ، عن طريق جمع النسخ المخطوطة على اختلافها ، و مقابلتها ببعضها ، و تمييز الاختلافات الواردة فيما بينها ، و من ثمّ اختيار النص الأقرب للحقيقة منها[11].

و عليه يكون التحقيق في الاصطلاح هو: عملية اثبات الحقيقة العلمية و تأكيدها بعد عملية جمع نصوصها و تحليلها و مقارنتها ، ثم اخراجها في ثوب جديد خال من المغالطات و الأخطاء و بعيد عن الزلل و التشويه ، مع ضرورة تدعيم هذه العملية بالأدلة العلمية و البراهين على صحة النصوص العلمية المحققة وفق أسس التحقيق و مناهجه.

أمّا المخطوط المنتج في شكل كتاب محقق ، فهو: ذلك الكتاب الذي صح عنوانه و تطابق مع أصله ، و صح اسم مؤلفه المنسوب الكتاب إليه ، و كان متنه أقرب ما يكون إلى الصورة الحقيقية التي تركه عليها مؤلفه. و هذا في الحقيقة هو منهج المحققين القدامى(12).

في حين أنّ هناك من الباحثين و المحققين المحدثين من يرى أن دور محقق المخطوط ينحصر في عملية اخراج هذا الأخير على الصورة المطابقة لحقيقته و أصله ، و نشرها في شكل مطابق لتلك الحقيقة كما وضعها مصنّفها من حيث الخط و اللفظ و المعنى. و في هذا الحال تعترض سبيل المحقق معضلة تتمثل في صحة المخطوط من حيث نسبته لمصنفه و مطابقة العنوان لمتنه. و هنا ينبغي على المحقق الرجوع إلى فهارس المخطوطات لتمييز المخطوط محل الدراسة من المخطوطات الشبيهة من حيث الموضوع ، من خلال مقارنة نصوصها بنصوص المخطوطة المدروسة ، و كذا الوقوف على ترجمة المصنف و دراسة أسلوبه المتبع في التأليف في ذلك المخطوط و في مصنفاته الأخرى ، فيقدر عندئذ على نسبة المخطوط لصاحبه(13).

أمّا إذا تعلق الأمر بصعوبة تحديد المخطوط في حدّ ذاته في الوقت الذي يكون المحقق على معرفة بصاحبه ، فإنّه يضطرّ عندئذ لمعرفة الكتب ذات العنوان نفسه ، و الوقوف على زمن تأليفها من خلا شيوخ المصنف و تلامذته ، و مختلف الأحداث الدالة على الأعلام المعاصرين له ، و كذا من خلال مضمون المخطوط و ما يحتويه من دلالات تشير إلى عصر المؤلف ، و غيرها من التقنيات التي يقوم عليها علم تحقيق المخطوط(14).

و إذا كانت عملية تحقيق التراث المخطوط تقوم بشكل أساسي على دراسته دراسة دقيقة و موضوعية لكشف الزائف من نصوصه ، و تصحيح رواياتها المختلفة و تنقيحيها من أجل اخراجها على الصورة السليمة الخالية من العيوب ، فان نجاح هذه العملية الهامة يرتبط بشكل أكبر بمدى كفاءة و حنكة المحقق و خبرته في مجال فن تحقيق المخطوط ، و قدرته على معالجة النصوص و تمييز صحيحها من سقيمها ، و فهرستها ، و اثراء هوامشها بالتعليقات و التصويبات الهادفة و المفيدة.

فالمحقق ، يمكن القول أن مسؤوليته تفوق إلى حدّ ما مهمة الباحث و الدارس لمضامينها ، فهو الذي يقدم النصوص العلمية على اختلافها جاهزة و على طبق ، فيتلقّفها الباحثون بالدراسة و البحث و التقصي لتفاصيلها بالتحليل و الاستقراء

للوصول إلى الحقائق التاريخية و العلمية و الأدبية و الفنية و غيرها من مجالات البحث العلمي المتعلقة بهذا التراث .كما أنّ المحقق، هو من يضع الجسور الرابطة بين النص القديم المخطوط و الدارس المعاصر له ، خصوصا إذا تمكن من اضافة الجديد إلى حقل العلم و المعرفة أو أكّد حقيقة علمية و نفى الباطلة منها[15].

و من الأكيد أنها ليست بالمهمة السهلة ، تلك التي يقدّم الباحث المحقق من خلالها مادية جاهزة للقارئ و الدارس و الباحث بعدما كانت قبل ذلك عسيرة الفهم ، و تأخذ وقتا طويلا لقراءة نصوصها و افتكاك معانيها من مضامينها ، و شاقة لتحليل أفكارها[16].

و لا مرية في أنّ التحقيق الدقيق و المضبوط للمخطوط من لدن المحقق الحاذق البارع ، هو التحقيق الذي يمكّن الدارس من بناء دراسة علمية صحيحة و سليمة. أمّا إذا سارت الأمور عكس ما ذكرنا ، فإنه و عند ذاك نقول: أنّ ما يبنى على باطل فهو باطل ، أو "ما بني على الفاسد ، لا يمكن أن يبرأ من الفساد"[17].

و هذا في الحقيقة يتطلب من المحقق الادراك الجيد للقواعد التي تحدد فن التحقيق و تمكن من التحكم في مادته ، ادراكا يسهل عليه الوقوف على عملية التأثير و التأثر بين المصنف و نظرائه من المصنفين للمخطوطات إذا ما حاز كما معرفيا بشأن سير و ترجم أولئك الأعلام ، و المصادر التي كانت زادهم في مصنفاته ؛ ذلك أنّ هذه الأخيرة تيسّر عليه (المحقق) توثيق المادة العلمية التي هو بصدد تحقيقها و اخراج نصوصها[18].

كما ينبغي أن يكون على دراية تامة بالخطوط العربية (فعلم قراءة الخطوط من العلوم الأساسية في عمليات دراسة و تحقيق النصوص ، فيتوجب بذلك على المحقق و الباحث تعلمها و التدرب على قراءتها ، ذلك أن دراستها تبعده عن مهاوي الخطأ و الزلل في اخراج النصوص التي هي قيد الدراسة و التحقيق ، و من هذه الخطوط: الخط الكوفي ، و المغربي ، و الخط الرقعي ، و النسخة ، و الثلث[19] ، و اصطلاحات النساخ في ترتيب الصفحات ، و الماما واسعا بمصطلحات هذا الفن ، و متقنا لعلم التصحيف و التحريف ، و غيرها من القواعد الضرورية لممارسة هذا الفن من التحقيق[20].

كما أنّه من الجدير بالذكر ، ان رمنا تحقيقا علميا هادفا للمخطوط الجزائري في ظل ما تكتسيه هذه العملية من صعوبات جليلة أن يراعي المحقق الزمن الكافي لإخراج عمليه في الصورة الحسنة المرجوة حتى و ان أخذت من وقته زمنا طويلا ، و تفادي التسرع في مثل هذه الأعمال لسوء ما يجرّه من جرائم علمية في حق

الوثيقة المحققة. فهو -كما يقول منير البصكري- "مطالب بحرث معرفي للنص ، و حفر بنيوي في طبقاته و مستوياته ، و اضاءة واعية و وافية لأسئلته و كوامنه"(21).

و من الأهمية بمكان التذكير، أنّه من بين أهم فوائد تحقيق تراثنا المخطوط هو أن نضع بين يدي الأجيال الحالية مادة علمية حية نستقرأ من خلالها بالبحث و التحليل و الاستنباط ماضينا لإدراك مدى عمق صلة الأمة الجزائرية بحياتها العلمية و المعرفية ، و الوقوف على هوية الأمة و اثبات ذاتيتها و خصوصيتها و أصالتها في ظل تنوع ثقافتها و مشارب هذه الثقافة ، و ارتباطها الوثيق بجذور هذه الأمة و معتقداتها الدينية و منطلقاتها التاريخية و شموليتها لمقوماتها الأساسية. و من ثم نحفظ ذاكرة هذه الأمة و نقطع عنها دابر النسيان و نمدّ الجسور و الأوعية المتدفقة بالمحتويات المعرفية و الحضارية لهذه الذاكرة إلى الأجيال اللاحقة لترسم طريقها نحو تحقيق النهضة الفكرية و الحضارية ، و استشراف مستقبلها. و ذلك طبعا بعد أن نستأصل عن هذا التراث ما شابه من مغالطات و تعارض في النصوص و اختلاف في اثبات الحقائق العلمية و الروايات ، و نقتبس الحقائق العلمية المُثبتة بالنص و الدليل أو العناصر الصالحة للبقاء و التي لا تتعارض مع ثقافتنا و معتقداتنا و تاريخنا و هويتنا.

فالحقيقة التي لا مناص منها، أن تراثنا الجزائري المخطوط قد تعرض في فترة الاستعمار إلى حملة شرسة أتت على جزء معتبر من ذلك الرصيد الثقافي و الفكري لهذه الأمة الجزائرية ، التي سعى الاستعمار لطمس معالم حضارتها و قيمها و آثارها العلمية و الأدبية و الفكرية و الفنية و غيرها ، ما جعل الكثير من الحقائق العلمية تخفى عن الباحثين و المحققين بلا رجعة. و لذلك لا ينبغي أن يترك المحققون المجال للعوامل الطبيعية و البشرية لتكمل المسيرة التي بدأها الاستعمار لدفن هذه الحقائق ، و انما انقاد ما يمكن انقاذه قبل فوات الأوان.

و من الآليات الكفيلة بتفعيل عملية إحياء التراث الجزائري المخطوط ، و الحفاظ عليه من الزوال و الاندثار ، من خلال عملية الفهرسة و التحقيق من لدن كل الهيئات و المؤسسات العلمية و العناصر الفردية الباحثة في هذا المجال، ما نسوقه فيما يأتي تبعا:

- في البداية لا بدّ على الباحث و صاحب المخطوط و كل القائمين على الهيئات و المؤسسات العلمية و الثقافية التحلي بروح المسؤولية و الواجب العلمي و الوطني تجاه ذلك التراث المخطوط الذي انتجه العالم الجزائري و ضمّنه عصارة عقله و فكره و معارفه لترتوي من بحر مادته أجيال عصره و من يليها ، في جهود فرادى

و جماعات لانقاد هذه المخطوطات من سجن النسيان و طيات الأوراق و رفوف الخزائن من خلال أعمال الجمع و التحقيق و الفهرسة و الرقمنة و التصوير. مع توفير الأجهزة الكفيلة بحفظ المخطوط في وسط أكثر ملاءمة لاستمرار حياته على غرار عمليات التكييف المركزي للتحكم في درجة الحرارة و نسبة الرطوبة في أماكن الحفظ خصوصا المكتبات العامة ، و كذا الحفاظ على النظافة الدورية لأرضيات و رفوف المخازن تتضمن تلك المخطوطات و مراقبتها بشكل مستمر و دوري لمعاينة أي ضرر قد يحيط بها[22].

- العمل على توطيد الصلة بين الباحث و المالك للمخطوط من خلال التكثيف للزيارات الميدانية للباحثين و الطلبة للمراكز و المكتبات و الخزائن التي تزخر بالمخطوط الجزائري ، مع التكثيف من عمليات التحسيس و توعية المالكين لهذا المخطوط و القائمين عليه بأهمية تحقيق المخطوط و جمعة و جرده و فهرسته. مع الأخذ بعين الاعتبار ضرورة سن قوانين تنظيمية صارمة تحدد كيفية تعامل الباحثين و الطلبة مع هذه المخطوطات المراد دراستها بعد تحقيقها ، تجنبا لإتلاف أوراقها ، بحيث تسلم إليهم في أقراص مضغوطة و لا يكون الرجوع إلى النسخة الأم المخطوطة إلاّ في الضرورة القصوى في حالة اللبس أو عدم الوضوح و غيرها من الحالات التي تستوجب ذلك.

- اقامة المؤتمرات و الندوات العلمية المحلية و الوطنية لتفعيل العملية و الاستفادة من الأبحاث و الدراسات المستجدة في مجال تحقيق المخطوط ، مثل ما تعلق بـ: وضع مشاريع ضخمة لتحديد الأسس العلمية المعتمدة في تحقيق التراث الجزائري ، و كذا كيفية العناية بالتراث المخطوط و منهجية دارسته و تحقيقه ، مع العمل على تجسيد التوصيات التي يقرها المؤتمرون و السهر على ذلك ، حتى لا تبقى حبرا على ورق.

- فتح ورشات و اقامة دورات تكوينية فيما يتعلق بتحقيق المخطوط.

- اتاحة المخطوطات للباحثين و الدارسين و كل المتخصصين ، سواء للباحثين الجزائريين أو غيرهم من المهتمين ، من خلال نشرها نشرا رقميا على أوسع نطاق ، على مستوى كل الجامعات الجزائرية و مراكز البحث العلمي المتخصصة ، و ذلك من أجل الاطلاع على أنواع الكنوز الجزائرية المخطوطة في شتى المجالات العلمية ، و الانتصاب للعناية بالمخطوطات تصفيفا و تصنيفا و تحقيقا و دراسة و تعليقا و فهرسة من لدن المحققين بشكل أخصّ.

- انجاز كتب ببلوغرافيا و معاجم ترصد ما نشر من التراث الجزائري المخطوط ، و ما لا يزال بكرا في حاجة لانتصاب جهود الباحثين و الدارسين لتحقيقه و دراسته.

- التكثيف من عملية اقامة مراكز البحث العلمي المتخصصة في تحقيق المخطوطات ، و كذا المخابر الملحقة بالجامعات الجزائرية المختلفة عبر الوطن ، و تفعيل دور القائمة منها. و توسيع عملية اصدار المجلات العلمية و النشريات التراثية المتخصصة في مجال المخطوط[23].

بحيث تضاف جهودهم و تدعم الجهود التي تقوم بها المراكز و المخابر المنتشرة عبر تراب الوطن في مجال حماية التراث المخطوط و جمعه و تحقيقه ، و منها المركز الوطني للمخطوطات و ملحقته بولاية تلمسان ، و المركز الوطني للمخطوطات بولاية أدرار ، و سنقف بشكل مختصر على بعض المهام المنوطة بهذا المركز الأخير:

المركز الوطني للمخطوطات بولاية أدرار:

و هذا المركز الخاص بالمخطوطات الجزائرية يقع تحت وصايا الوزير المكلف بالثقافة. و من مهامه الرئيسة ما نسوق مختصره على النحو التالي:

1- حفظ المخطوطات بالطرق العلمية الحديثة.

2- الاهتمام بعمليات الجرد العام للمخطوطات و تصنيفها.

3- تحقيق أهم المخطوطات و فهرستها.

4- تحديد الخريطة الوطنية للمخطوط،

5- دراسة مكونات المخطوطات كالورق ، الحبر ، صناعة أدوات الكتابة و، و صناعة الكتاب.

6- عملية ادماج التراث الفكري في الاطار الاقتصادي و السياحي.

7- ابراز القدرات الفكرية و الابداعات الفنية المحلية المستوحاة من المخطوط الجزائري بما يحتويه من فنون خطية و علم النقوش و غيرها.

8- يقوم بمهمة تنمية الوعي بأهمية المخطوط و ضرورة الحفاظ عليه.

9- يسهر على عملية ابرام الاتفاقيات مع الهيئات الوطنية و الدولية لاستثمار هذا التراث و حمايته[24].

- الانتصاب في جهود تحفيزية للباحثين و الدارسين المتخصصين و كل المهتمين بتحقيق المخطوط و دراسته من طرف السلطات الوصية مؤسسات حكومية أو ادارة الجامعات الجزائرية ، و ذلك بتشجيع أولئك الباحثين ، كمنحهم جوائز تشجيعية لتحقيق التراث المخطوط. و كذلك الاهتمام بعملية الفهرسة لهذه المخطوطات الكثيرة

التي تحوزها الجزائر لاستكمال الجهود القائمة في هذا المجال ، وفق أسس فن الفهرسة و قواعده من لدن المتخصصين و الحاذقين في علم دراسة التراث المخطوط و تصنيفه ، و ذلك ضمن شبكة المخابر و مراكز البحث المترامية عبر جامعات الوطن ، سواء ما تعلّق بالمواصفات الشكلية للمخطوط أو محتواه العلمي ، و كذا المعلومات الخاصة بمؤلفه و عدد نسخه و تاريخها و نوعها أصلية كانت أو فرعية ، و غيرها من الأمور المتعلقة بفن الفهرسة ، مع الحرص على نشر هذه الفهارس. و هذا لتسهيل عمل المحققين و الدارسين لمضامين تلك المخطوطات المفهرسة(25).

- ادخال مقياس التحقيق العلمي للمخطوط ضمن المناهج الدراسية في الجامعات الجزائرية ، خاصة في التخصصات المتعلقة بدراسة العلوم الانسانية و الاجتماعية و اللغة و الأدب ، يقوم على تدريسهم مؤطرون مختصّون ، مع عدم الاقتصار على الدراسة النظرية ، بل ضرورة العناية الفائقة بالجانب التطبيقي ، و مرافقة الطلبة ميدانيا ، مما يسمح بالوصول إلى تكوين رفيع ، بحيث يصبح الطالب المكون قادرا على الدراسة و المتابعة في حقل التحقيق ، فيمتلك عندئذ الطالب الباحث المبادئ الأولية في علم تحقيق المخطوط و تزول أمامه فكرة صعوبة تحقيق المخطوط ، و يكون ارهاصا أيضا للتعمق في دراسته في مرحلة الدراسات العليا ، ماجستير كانت أو ماستر أو دكتوراه.

و نحن من وراء هذا ، لا ننكر أنّ هناك جهود كبيرة تبذل في سبيل تحقيق المخطوطات الجزائرية ، لكنها تبقى محدودة في ظل الزخم الهائل الذي تزخر به الجزائر في عدد مخطوطاتها. و من بين المخطوطات الجزائرية التي تم تحقيقها ، نذكر بعضا منها على سبيل المثال لا الحصر ، و منها: مخطوط العقائد الاسلامية من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية ، لعبد الحميد بن باديس ، الذي حققه محمد الصالح رمضان. و ديوان الصيب و الجهام و الماضي و الكهام ، للسان الدين ابن الخطيب ، الذي حققه محمد الشريف قاهر. و كذلك مخطوط وشاح الكتائب و زينة الجيش المحمدي الغالب ، لابن رويلة قدور ، من تحقيق محمد بن عبد الكريم. و الجواهر الحسان في نظر أولياء تلمسان لأبي مدين شعيب ، الذي حققه عبد الحميد حاجيات ، و غيرها كثير(26).

و هذا ، دون أن يغفل الباحث و طالب الماجستير أو الماستر و الدكتوراه عن الشروط التي وضعها المختصون و الكفيلة بتحديد صلاحية المخطوط ليدرس كرسالة جامعية ، و في طليعتها ، أن يكون ذا قيمة علمية ، بحيث يحتوي على

المادة العلمية الجديدة التي غابت في غيره من الكتب المحققة ، ذلك أن الهدف العلمي من الرسالة العلمية يتعدى عملية تحقيق المخطوط لأجل حفظ مادته و اخراجها على حقيقتها حتى و ان تكررت مادته ، إلى ابراز حقائق علمية و معرفية جديدة تضاف إلى الرصيد العلمي المحقق. و من هذه الشروط ما نذكره فيما هو آت:

1- أن يكون هذا المخطوط قد صُنّف في فترة زمنية سبقت زمن الباحث إذ ينتفي شرط قبولها للدراسة إذا خُطّت في زمن دراسته من طرف الباحث.
2- كما يجب أن يكون المخطوط معلوم المؤلف موثوقا في ذلك.
3- ضرورة توفر نسخ أخرى عن المخطوط المراد دراسته.
4- أن يناسب حجم المخطوط المطلوب في الأطروحة العلمية المراد البحث فيها ، و ذلك من حيث عدد أوراقه[27].

و من المخطوطات التاريخية التي حققت كدراسة أكاديمية للحصول على شهادة الماجستير ، الدراسة المتعلقة بتحقيق و تقديم مخطوط "أخبار و أيام وادي ريغ للشيخ محمد الطاهر بن دومة (1336 -1403ه /1918 -1982م)" ، و التي حققها الطالب الباحث "محمد الحاكم بن عون" بكلية العلوم الانسانية و الاجتماعية ، بجامعة منتوري بقسنطينة. و قد أخذ على عاتقه هذا الباحث مهمة تحقيق هذا المخطوط نظير ما ينطوي عليه من أهمية بالغة ، كونه يتعلق بمنطقة وادي ريغ التي تُفتقد في الدراسات التاريخية -كما يذكر صاحب التحقيق- و التي كانت طريقا للحجيج و ممرا رئيسا للقوافل التجارية القادمة من المغرب ، و هو ما أنتج حقلا خصبا تتلقح فيه المعارف و الثقافات بتلك المنطقة. كما أن المخطوط يعدّ من المصادر المهمة لتاريخ الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي[28].

- ربط علاقات علمية تقوم على أساس التعاون و التنسيق بين مراكز البحث في الجزائر و في باقي دول العالم في مجال الاهتمام بتحقيق المخطوطات و دراسة نصوصها و نشرها ، و تبادل الخبرات الفنية و المعلومات التعريفية بالمخطوطات[29]. مع تظافر كل الجهود الوطنية بكل مؤسساتها العلمية و الثقافية و الاعلامية بعناصرها العلمية الفاعلة ، و رصد كل الامكانات المادية و البشرية و التشريعية و المالية لإحياء هذا التراث و تحقيقه[30].

- فتح مشاريع للطلبة المقبلين على الدراسة في مرحلة الماجستير أو الماستر و الدكتوراه في الجامعات الجزائرية في مجال تحقيق المخطوطات و دراستها ، و توجيه طلبة الدراسات العليا لإعداد رسائلهم العلمية في مجال التحقيق و الفهرسة.

- تكثيف جهود الباحثين في مجال انتاج الكتب المتعلقة بوضع الأسس العلمية و المناهج لعملية تحقيق المخطوطات و قواعدها –خصوصا من ذوي الخبرات المتراكمة في التحقيق- و تسهيل عملية نشرها ، و وضعها في متناول الباحثين و الطلبة بعد نشرها و طبعها. مع ابراز المشكلات و الصعاب التي تعترض سبيل المحقق و الحلول الكفية بتجاوزها ، دون أن نغفل ضرورة اجتناب عملية اجترار مضامين المصنفات السابقة في نفس المجال بل لا بدّ من اضافة الجديد.

- الدراسة العميقة و الدقيقة من طرف المحققين للأساليب العلمية المتبعة في المصنفات التي تركها القدامى ؛ ممن كان لهم الفضل في تقعيد قواعد هذا الفن من التحقيق و تأصيله ، و الوقوف على كل التنبيهات و التوجيهات و الملاحظات الخاصة بعملية التحقيق و قواعدها. فإلى هؤلاء المصنفين المسلمين القدامى يرجع الفضل الأكبر في التأسيس لفن التحقيق و رسم ملامحه و وضع ارهاصاتها ، التي أخذت في التطور شيئا فشيئا خصوصا في وقتنا الحالي زمن التطور العلمي و التكنولوجي المذهل.

- نقد التحقيق:

في ظل كثرة الأخطاء و تكرارها في مجال تحقيق روايات و نصوص المخطوطات و خطورتها على الكتابة العلمية المتنوعة ، أضحى الاهتمام بنقد التحقيق ضرورة حتمية بشكل كبير قصد نقد الآثار المخطوطة المحققة في الأدب و التاريخ و سائر الفنون من لدن الباحثين و المتخصصين من النقّاد ، لتمييز العليل في الروايات من السليم ، و كشف مواطن الضعف و الزلل و الخلل لتداركها في عمليات التحقيق القادمة من لدن أولئك الذين صنّفوها لتدارك أخطائهم أو من غيرهم لنفس الغرض.

و أساس النقد هو الحذر و الشك في الروايات و النصوص المدونة ، بحيث تقتضي اعادة الدراسة و الفهم و التحليل و الاستنباط للحقائق العلمية من ثناياها بعد عرضها على ميزان العقل الناقد و الدليل الثابت. و لا ريب أنّ هذه العملية النقدية ليست بالأمر السهل على الباحث أو المحقق ، ذلك أنّ عملية قبول أقوال أصحاب المخطوطات من رفضها و تمييز القيّمة و السليمة منها من الأقوال السقيمة و المكذوبة ، يقتضي الانسلاخ من روح العاطفة و الميول و الانحياز و لباس ثوب الموضوعية و الحياد و السعي لكشف الحقيقة العلمية التي هي المراد.

و عليه فمادام ليس من باب الحكمة و العدالة العلمية أن نسوي في الميزان بين أقوال الناس لاختلاف قيمة تلك النصوص و أغراض أصحابها من تصنيفها و

اختلاف نوازعهم و ميولاتهم ، أصبح أمرا حتميا ، عرضها على ميزان النقد العادل لإثبات الحقيقة العلمية السليمة(31).

و بشأن العمليات النقدية التي يقوم بها النقاد لتحقيقات غيرهم ، منهم من يقوم بجمع تلك الأخطاء و الأوهام و الهفوات التي وقع فيها صاحبها محقق المخطوط و إرسالها إليه لمراجعتها و تصحيح ما وقع فيه من خطأ ، مع ارفاق تلك الأخطاء بالتصوبيات ، أو يعمد الناقد لنشرها في شكل كتاب أو مقال ، فيستفيد منها المحقق الأول أو من يقوم بإعادة تحقيق المخطوط مرة أخرى.

و هذا لا ريب قصد البحث عن الحقيقة العلمية الصادقة ، و ذلك طبعا وفق أسس منهج النقد العلمي و قواعده و أصوله أو علم "نقد التحقيق"(32). حيث أن ما يشترط في فن التحقيق يشترط أيضا في نقد التحقيق، و من ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

- الخبرة:

و هي لا تتأتي إلا بالعمل الجاد و الهادف ، و الاستمرار في عمليات التحقيق لتطوير الكفاءات و القدرات الذاتية في مجال التحقيق ، و الالمام بفنون التحقيق ، مع الاستفادة في كل مرة من الأخطاء التي وقع فيها المحقق أثناء عملية تحقيق المخطوط و تفاديها في العمليات التحقيقية التي تليها. فتغدو لذى الباحث المحقق ثقافة متنوعة و رصينة عن فن التحقيق و أدواته ، فيسهل عليه وقتها ركوب سفينة التحقيق ، و يحسن قيادتها إلى بر الأمان.

- الدراية:

بأن يكون المحقق على دراية تامة بفنون تحقيق المخطوط و قواعده ، من مثل: ادراك أسسه كمعرفة موضوع المخطوط ، و شكله الفني ، و درجة قدم المخطوط. و القدرة على تفكيك المصطلحات و ادراك معانيها ، و تصنيفها سواء ما تعلق بالعلوم أو العمارة و الفنون(33). كما ينبغي أن يكون المحقق محيطا بالمصادر المخطوطة و المطبوعة ذات الصلة بموضوع المخطوط قيد التحقيق ، بالإضافة إلى معرفة مكانة المصنف العلمية و الاجتماعية بين علماء عصره و مدى اسهامه في الحقل المعرفي في الوسط الذي نشأ و أبدع فيه ، و مكانته بين المصنفين و العلماء خصوصا الذين خاضوا في نفس المجال المعرفي الذي ألف فيه.

- سعة الاطلاع على المظان:

و ذلك لا يتأتى إلاّ بالقراءة المكثفة ، و الاطلاع على أكبر عدد من النصوص المحققة ، و مقارنتها و اخضاعها لأسس التحقيق و مناهجه ، و الالمام بشكل كبير

بما تزخر به المصنفات الخاصة بنقد التحقيق من لدن النقاد السابقين أو المعاصرين كتبا أو مقالات ، و كل ما يصدر حديثا في نفس المجال ، سواء في الجزائر أو غيرها من بلدان العالم الرائدة في ميدان علم نقد التحقيق ، و كذا الدراية بمضامين المخطوط المعرفية(34).

- اتباع منهج نقد التحقيق:

و يكون ذلك من خلال التقيّد بالهدف الرئيس من عملية النقد و هو اظهار الحقيقة العلمية المغيّبة في النص المحقق ، من خلال كشف كل الأوهام و التصحيفات و التحريفات و المغالطات و التزييف الذي شاب نصوص الرواية المحققة ، مع تحديد مواطنها في النص المدروس ، ناهيك عن ايراد الملاحظات و التصحيحات بشكل مضبوط و مبوّب ، مع ذكر المصادر التي كانت سندهم في عملية النقد التحقيق من أجل الرجوع إليها من طرف صاحب النص المحقق من جهة و للاستدلال بها على عملهم من جهة أخرى(35).

خاتمة:

و في ختام دراستنا هذه نقول: أن التراث المخطوط الذي تزخر به الجزائر جدير بالاهتمام ، و في حاجة لرصد جهود مكثفة من أبنائها الباحثين و الدارسين المتخصصين لتحقيقه و نشره ، و دراسة مضامينه دراسة علمية دقيقة و موضوعية ، لحمايته من الموت البطيء في ظل الأسباب السالفة الذكر. و ذلك نظير ما ينطوي عليه هذا التراث من أهمية كبيرة سواء كانت علمية ، أو تاريخية أو أدبية ، و تراثية و عمرانية تكشف العديد من الجوانب المضيئة في حضارة الجزائر و ابداع علمائها و فلاسفتها و أدبائها و مؤرخيها. ذلك أنّه يحدّد الملامح العامة لمسيرة الحياة العلمية و الفنية للنخبة الجزائرية ؛ فباستخراج مكنوناته تعظم الاستفادة منه في بناء حاضر الجزائر و مستقبلها ، هذا البناء الذي لا يمكن أن ينفك عن ماضيها. و لا ريب أنّ هذه الجهود المضنية في عملية تحقيقه و نشره كفيلة بإعادة الحياة إليه و بثّ الروح فيه من جديد.

و نشيد في هذا المقام، بضرورة أن ترقى عمليات التحقيق هذه، لنصوص المخطوطات إلى مصاف الأعمال الجادة العلمية و الدقيقة ، و لا تقتصر على الشرح و التبسيط و الفهرسة و النشر ، ما يجعلها قريبة إلى المخطوط من المطبوع. فتغدو إذا تحقق ما ذكرنا ، جديرة بأن تكون مراجع أساسية في المجالات العلمية المختلفة ، تسدّ رمق الكتابة العلمية الهادفة ، و تكون متكأ الباحثين و الدارسين لمضامينها

و تفاصيلها ، تزودهم بمادة علمية صحيحة و منقحة ، فنجاح العمليات الدراسية لمضامينها قرينة و مبنية على نجاح أعمال تحقيقها.

الهوامش:

(1)- عبد الرحمن النجدي: مناهج تحقيق المخطوطات ، دراسة و توثيق ، عباس هاني الجراخ ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ، القاهرة ، 2010 ،ص3.

(2)- صالح يوسف بن قربة: واقع المخطوط بين الفهرسة و التحقيق ، المجلة المغاربية للمخطوطات ، العدد الرابع ، مخبر المخطوطات ، جامعة الجزائر2 ،2013 ،ص35 -36.

(3)- المرجع نفسه ،ص38.

(4)- مريم بقدور: واقع خزائن المخطوط بالجنوب الجزائري من خلال الخزانة القندوسية الزيانية "تشخيص و اقتراحات" ، مجلة رفوف ، العدد الثالث ، مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب افريقيا ، جامعة أدرار ، الجزائر ، ديسمبر 2013 ، ص16.

(5)- وهي خزانة أسسها مبارك الطاهر ، منذ سنة 1983 ، بهدف الحفاظ على هذا الموروث الهام الذي جاد به علينا أجدادنا في ظل ما يعتريه من نهب و سرقة و ضياع ، بعدما جمع ما يمكن جمعه من المخطوطات و صيانتها و فهرستها و تصوير عدد منها في أقراص مضغوطة حفاظا على سلامتها ، و أخذ عدد مخطوطات هذه الخزانة في التزايد حتى بلغ المائتين. للمزيد من التفصيل ، أنظر: مريم بقدور: المرجع السابق ،17.

(6)- مريم بقدور: المرجع السابق ،16 وما بعدها.

(7)- يحي بن بهون حاج امحمد: جهود المكتبة الوطنية الجزائرية في حماية و ترميم المخطوطات من خلال دورة تكوينية بمخبر الحفظ و التجليد ، مجلة رفوف ، العدد الثالث ، مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب افريقيا ، جامعة أدرار ، الجزائر ، ديسمبر من سنة 2013 ، ص76 -77.

(8)- أنظر: مريم بقدور: المرجع السابق ،22 -23.

(9)- للمزيد من التفصيل، أنظر: صالح يوسف بن قربة: المرجع السابق ،ص38.

(10)– أنظر: صالح يوسف بن قربة: المرجع السابق ،ص49.

(11)– عباس هاني الجراخ: المرجع السابق ،ص5 -8.

(12)- صالح يوسف بن قربة: المرجع السابق ، ص49 -50.

(13)- المرجع نفسه ، نفس الصفحات.

(14) – المرجع نفسه ، نفس الصفحات.

(15)- عباس هاني الجراخ: المرجع السابق ،ص3 -4.

(16)– صالح يوسف بن قربة: المرجع السابق ، ص47.

(17)- منير البصكري: أهمية التحقيق العلمي للتراث المخطوط في غرب افريقيا ، مجلة رفوف ، العدد الثاني ، مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب افريقيا ، جامعة أدرار ، الجزائر ، ديسمبر 2013 ، ص12.

(18)- للمزيد أنظر: حسن عثمان: منهج البحث التاريخي ، ط8 ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ص27 -29.

(19)– المرجع نفسه ، نفس الصفحات.
(20)– للمزيد أنظر: محمد دباغ: آليات تفعيل الجانب الدراسي في تحقيق المخطوط ، مجلة رفوف ، العدد الثاني ، مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب افريقيا ، جامعة أدرار ، الجزائر ، ديسمبر 2013 ، ص141 -142.
(21)– منير البصكري : المرجع السابق ، ص14.
(22)– للمزيد ، أنظر: يحي بن بهون حاج امحمد: المرجع السابق ، ص79 -80.
(23)– صالح يوسف بن قربة: المرجع السابق ، ص40.
(24)- للمزيد من التفصيل ، أنظر: يحي وناس: الآليات القانونية لحماية المخطوطات و خزائنها في القانون الجزائري ، مجلة رفوف ، العدد الثاني ، مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب افريقيا ، جامعة أدرار ، الجزائر ، ديسمبر 2013 ، ص131 -132.
(25)– صالح يوسف بن قربة: المرجع السابق ، ص38 -39.
(26)– أنظر: منير البصكري: المرجع السابق ، ص22 -23.
(27)– أنظر: رابح دفرور: شروط اختيار المخطوطات للرسائل الجامعية ، مجلة رفوف ، العدد الأول ، مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب افريقيا ، جامعة أدرار ، الجزائر ، جوان 2013 ، ص94 -96.
(28)– للمزيد من التفصيل حول أهمية هذا المخطوط السياسية الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية ، أنظر: محمد الحاكم بن عون: دراسة و تحقيق ، مخطوط "أخبار أيام وادي ريغ ، للشيخ محمد الطاهر بن دومة ، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 1431 -1432ه /2010 -2011م ، ص55 و ما بعدها.
(29)– منير البصكري : المرجع السابق ، ص20.
(30)– صالح يوسف بن قربة: المرجع السابق ، ص40.
(31)– حول أهمية نقد النصوص العلمية ، أنظر: حسن عثمان : المرجع السابق ، ص83 -84.
(32)– عباس هاني الجراخ: المرجع السابق ،ص56 -57.
(33)- صالح يوسف بن قربة: المرجع السابق ، ص52.
(34)– حول بعض المصنفات المتعلقة بمجال نقد التحقيق ، أنظر(عباس هاني الجراخ: المرجع السابق ،ص57 و ما بعدها.
(35)– المرجع نفسه ،ص61.

الأستاذ: تاوريريت حسام الدين ـ

مركز البحث العلمي و التقني لتطوير اللغة العربية

وحدة ورقلة ـ

حفظ وترميم المخطوطات في الجنوب الشرقي الجزائري

ـ الزاوية العثمانية بمدينة طولقة أنموذجا ـ

تتضمن عملية حفظ المخطوطات جملة من الإجراءات و التدابير الاحترازية، وذلك لحساسية هذا الصنف من أصناف التراث .

وتحيط بعملية حفظ هذه المخطوطات جملة من المخاطر المتنوعة، حيث تتعرض هذه الكنوز التراثية باستمرار إلى خطر التلف جراء عدة عوامل .

ويقف هذا البحث على واقع حفظ المخطوط في الجنوب الشرقي الجزائري ومدى الاستعانة بالوسائل و الطرق الحديثة في عملية حفظ وترميم و المخطوط، والتحديات المستقبلية التي تواجه هذه العملية .

حيث تم القيام برحلات ميدانية للوقوف عند مختلف المراحل التي يمر بها المخطوط بالجنوب الشرقي في طريق عملية حفظه و تخزينه في المكتبات، وفق إجراءات خاصة و استثنائية في بعض الأحيان .

وتم اختيار الزاوية العثمانية بمدينة طولقة التابعة لولاية بسكرة عينة ميدانية لهذه الدراسة، لما يتميز به هذا القطب العلمي من إمكانات وعناية من طرف السلطات المحلية ، وما يحتويه من عدد ضخم من المخطوطات في شتى أصناف العلوم والمعارف، وما لدى هذا المركز من خبرة في التعامل مع المخطوط .

وقد تم الوقوف في هذا العرض على جملة من العناوين المهمة :

أ ـ الزاوية العثمانية والمخطوط :

أولا : التعريف بالزاوية :



1 - التعريف :

الزاوية العثمانية أو زاوية سيدي عمر بن علي، من أهم زوايا الشرق الجزائري و الجنوب ككل، وأحد أهم المنابر العلمية والدينية في الوطن. (الشكل 1 : الزاوية العثمانية)

الزاوية العثمانية مؤسسة تعليمية، للعلوم الشرعية، و خاصة التفسير و الحديث و السيرة النبوية، تتكون أساسا من مسجد و مدرسة لتعليم مبادئ العلوم الشرعية، ويدرس في هذه المؤسسة العديد من طلبة العلم من داخل مدينة طولقة و خارجها، و قد أخرج هذا القطب العلمي شيوخا كبار يشهد لهم بالعلم و الزهد .

2 - مؤسس الزاوية العثمانية :

الشيخ علي بن عمر ، من مواليد سنة : 1166 هـ ، بطولقة، عالم زاهد يشهد له بالصلاح و التقوى و الدعوة إلى الله، توفي يوم الخميس 03 ربيع الأول الموافق لـ : 1258 هـ ، ودفن بمقر الزاوية، ولا يزال مدفونا هناك إلى اليوم .

3 - تأسيس الزاوية :

تأسست الزاوية العثمانية سنة 1192 هـ الموافق لـ 1781 م على يد الشيخ علي بن عمر، و ذلك بطلب من شيخه : محمد بن عزوز، كمنبر و منارة علمية يحج لها من كافة الأقطار ، كان لها دور تاريخي واجتماعي بارز خاصة إبان فترة الاستعمار .

2 - الموقع الجغرافي :

(الشكل 2 : موقع الزاوية العثمانية)



تتبع زاوية الشيخ علي بن عمر للجنوب الشرقي الجزائري، حيث تقع الزاوية العثمانية بمدينة طولقة التابعة لولاية بسكرة ، و تبعد عن بسكرة المدينة حوالي : 37 كلم، كما تبعد عن عاصمة البلاد بحوالي 400 كلم .

ثانيا : مكتبة الزاوية للمخطوط : (الشكل 3 : مكتبة المخطوطات)

تزخر الزاوية العثمانية بمدينة طولقة بجملة من المخطوطات في شتى العلوم



والمعارف، إذ تحتوي على كتب مطبوعة طباعة حجرية نادرة و العديد من المخطوطات المتنوعة في علوم القرآن، حيث يوجد فيها أكثر من52 تفسيرا، إضافة إلى عناوين أخرى في علوم التجويد والتفسير والناسخ والمنسوخ والدراسات القرآنية وكذا علوم الحديث والسيرة النبوية، إضافة إلى الفقه وأصوله، وعلوم اللغة العربية وآدابها ومعاجمها، كما تحوي المكتبة أقساما لكتب التاريخ والجغرافيا و الفلسفة والعلوم الطبيعية و الدقيقة و مختلف أصناف العلوم .

حيث تحوي مكتبة الزاوية العثمانية على عدد معتبر من المخطوطات المحفوظة، والتي يزيد عددها عن 1500 مخطوط.

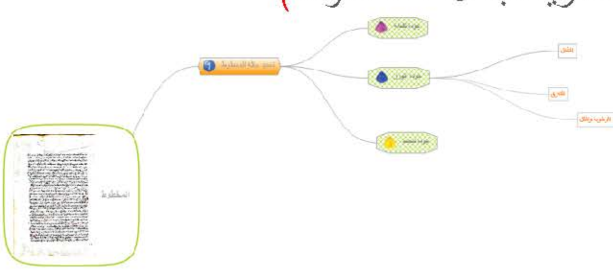
منها حوالي 700 مخطوط مفهرس و مصنف بمعلومات مفصلة لتسهيل عملية البحث، لمن يريد الإطلاع من الباحثين و طلاب العلم و الهيئات البحثية، إذ تحاول الزاوية العثمانية توفير الجو الملائم و تشجيع الباحثين للإطلاع و الاستفادة مخطوطات المكتبة دون أي مقابل ، لكن وفق شروط خاصة، يتم الاتفاق عليها بداية .

- وقد استفاد عديد الباحثين من مكونات المكتبة ومكانزها، و تم تحقيق عدد لا بأس به من مخطوطاتها .
و من بين الباحثين الذين استفادوا من هذه المخطوطات، المؤرخ و الكاتب الجزائري أبو القاسم سعد الله رحمه الله .

ب ـ المخطوط : 1 ـ تحديد حالة المخطوط :

يتم تحديد حالة المخطوط بالنظر إلى جودة الكتابة وكذا الورق المكتوب عليه، وحالة التجليد وفق مجموعة من المعايير :

(الشكل 4 : مخطط ذهني للتعريف بحالات المخطوط)





أولا : جودة الكتابة : إذ قد نواجه في كثير من الأحيان مخطوطات تكاد لا تقرأ بفعل عدم وضوح الخط و انمحائه بفعل عامل الزمن وكذا الرطوبة، وغالبا ما يظهر ذلك جليا على الصفحات الأولى و الأخيرة من المخطوط، لشدة تأثرها بهذه العوامل نظرا للاحتكاك المباشر بها .

ثانيا : جودة الورق : و قد يتعرض ورق المخطوط لجملة من المخاطر أهمها :

(الشكل 5 : تلف الخط)

أ - التمزق : وهو الأغلب، و كثير الحدوث، حيث تواجه صفحات أغلب المخطوطات يوميا خطر التمزق، بفعل عمليات التصفح الدوري لها من طرف المحققين و كذا عند القيام بعمليات النقل و التنظيف، وذلك وفق ما يظهر في الشكل الآتي :



(الشكل 6 : تمزق الأوراق)

ب ـ الرطوبة و البلل : و يعود هذا الأمر غالبا لقدم مكان التخزين أو لموقعه إذ أنه :

مع طول المدة فإن جدران غرفة الحفظ تبدأ بالتآكل و تظهر فيها التشققات، و هو ما يسهل الأمر للتسريبات المائية، جراء الأمطار خاصة أو قنوات المياه المهترئة ، ما يتسبب في تلف المخطوط . (الشكل 7 : تبلل الأوراق)



كذلك مكان حفظ المخطوط يلعب دورا في حماية المخطوط، إذ غالبا ما تمتاز الأقبية أو الطوابق الأرضية بالرطوبة الشديدة، و هو ما يشكل خطرا على المخطوط، الأمر الذي اضطر الزاوية إلى تغيير مكان تخزين المخطوطات أكثر من مرة .

ج ـ التآكل : و قد يكون ذلك بسبب عضوي أو كيماوي ، أما العضوي فغالبا ما يكون مسببه مادة عضوية قد تكون بقايا طعام أو حشرات خاصة [1]، فيحدث ذلك تلفا جزئيا في المخطوط .

أو مسبب كيميائي، كمادة تنظيف مثلا .

(الشكل 8 : تآكل



الأوراق)

ثالثا : جودة التجليد : يعد الغلاف الخارجي للمخطوط بمثابة الدرع المتين الحامي للمخطوط، ويعد وجوده للمخطوط ضرورة لا غنى عنها، و عدم وجوده أو اهترائه، يعني ببساطة تلف المخطوط .

لذلك فإن الإدارة الحكيمة للزاوية تهتم كثيرا بمسألة التجليد ذلك أنه الوجه الخارجي للمخطوط و الحامي و الحافظ لما فيه، فتحرص على المعاينة الدورية لحالة تجليد المخطوطات .



(الشكل 9 : تلف التجليد)

2 - ترميم المخطوط : يتعرض المخطوط إلى جملة من الأضرار في كثير من الأحيان، و هذا ما يتطلب من الهيئة المشرفة القيام بعملية ترميم و صيانة ، و تختلف هذه العملية من مجمع إلى آخر وحسب طبيعة الأضرار (2).

أما بالنسبة لما تتبعه الزاوية العثمانية، فهو مختلف عما تقوم به بعض الهيئات، و تقليدي في نفس الوقت.

فيجب الإشارة أولا إلى أن أغلب المخطوطات التي تحويها مكتبة الزاوية العثمانية ذات حالة جيدة و لا بأس بها، إلا ما ندر فإنه يتم التعامل معه وفق طرق فعالة على كونها قد توصف بالتقليدية .(3)

أولا : الوسائل : يتم الاعتماد في عملية صيانة المخطوط وأثناء المداومة الدائمة على الاعتناء بالمخطوط، على مجموعة من الوسائل الأساسية :

1 ـ فرشاة : و يتم الاستعانة بمجموعة متعددة الأحجام، و تعد من الوسائل الأساسية في عملية الترميم و التي لا يمكن الاستغناء عنها، و يتم التعامل بها مع الأوراق و صفحات المخطوط، و كذلك الغلاف الخارجي له .

2 ـ مسطرة : يتم الاستعانة بها أساسا في أخذ قياسات ورق المخطوط، كما لها استعمالات أخرى كالتثبيت و الرصف و تحديد قياسات المناطق المتضررة من المخطوط،3 ـ غراء: و يتم الاستعانة به في معالجة الأوراق الممزقة و الغلاف الخارجي خاصة، 4 ـ ملاقط: و يتم التعامل به في الأساس مع صفحات المخطوط المتضررة و خاصة أثناء عملية ترميم الأجزاء التالفة و الممزقة من المخطوط، 5 ـ جهاز تكبير: و هي أداة لا غنى عنها أثناء عملية فحص المخطوط و حتى أثناء الشروع في عملية ترميمه، 6 ـ قفازات: دفعا لخطر الإضرار بالمخطوط، 7 ـ مساند، 8 ـ كاشف ضوئي ذو حامل متحرك، 9 ـ أصبغة: لمحاكاة لون ورق المخطوط الأصلي و حتى لون خطّه، 10 ـ مواد عضوية: خاصة مع المخطوطات القديمة و التي دونت على جلود أو مكونات عضوية، 11 ـ محاليل كيميائية: للتعامل مع المشاكل الناجمة أساسا عن سوء عملية الحفظ و التخزين، 12 ـ جهاز قذف الهواء الساخن: و له العديد من الاستخدامات، 13 ـ أجهزة تثبيت: لتثبيت المخطوط و صفحاته، 14 ـ جلود حيوانات: قصد الاستعانة بها في ترميم القطع التالفة أو المفقودة، 15 ـ أوراق مختلفة النوعية و السمك و الحجم، 16 ـ وسائل قص و برد منتظم، 17 ـ خيوط تجليد: و يتم الاستعانة بها في ترميم الغلاف الخارجي أو التجليد .



و تتبع الزاوية العثمانية : قاعدة : الوقاية خير من العلاج، فتجد إدارة الزاوية تحيط هذه المخطوطات بجملة من الإجراءات الوقائية للمحافظة عليها، قد توصف بالصارمة، و هذا ما يفسر كون أغلب مخطوطات الزاوية في حالة جيدة أو حسنة في العموم .

و من بين هذه الإجراءات نذكر على سبيل المثال لا الحصر :

ـ يحرص القائم بمكتبة المخطوط شخصيا على القيام بنفسه بمختلف عمليات التعامل مع المخطوط من نقل و تنظيف و تصوير و معاينة، و ذلك حفاظا على المخطوط من التلف .

ـ تعديل حرارة مكان تخزين المخطوط خاصة في الصيف .

ـ الفحص الدوري للمخطوط .

ـ الحرص على نظافة مكان التخزين و الحفظ .

و مع ذلك تتبع الزاوية عدد غير قليل من الوسائل الآنفة الذكر في سبيل الحفاظ على هذه المخطوطات، كما سيتم إنشاء مركز لحفظ و صيانة المخطوطات بمقر الولاية وذلك بالاستعانة بمجموعة من الباحثين و الخبراء، بالتعاون مع إدارة الزاوية العثمانية التي قدمت كل التسهيلات الممكنة في سبيل إنجاح هذا المشروع.

ثانيا : المراحل : تمر عملية ترميم المخطوط بالزاوية العثمانية بثلاث مراحل أساسية [4]:

أ ـ الفحص : ويتم ذلك عن طريق وضع المخطوط تحت المعاينة الدقيقة، بالعين المجرة، أو بآلة تكبير إن دعت الحاجة، لمدة قد تطول و قد تقصر حسب حجم المخطوط و نوعية المادة المصنوع منها، وكذا حجم الأضرار التي أصابته، و تتم هذه العملية وفق أدوات خاصة أهمها : قفازات معقمة، مسطرة، ملقط، مسند، جهاز تكبير متعدد العدسات، ضوء كاشف طاولة ذات سطح زجاجي شفاف ... إلخ .

وتتم عملية الفحص بعناية شديدة لحساسية هذه المخطوطات و قابليتها السريعة للتلف، ووفق إطار زمني محدد.

ب ـ تحديد الأضرار : بعد انتهاء عملية الفحص نكون قد أعددنا قائمة بالأضرار التي يحتويها المخطوط، و موقع هذه الأضرار و حجمها ليتم فيما بعد ـ وفق هذه النتائج ـ تحديد وسائل الصيانة المتبعة في عملية ترميم المخطوط .

أما بالحديث عن الأضرار فإنها تقسم إلى قسمين :

أ ـ أضرار تتعلق بتجليد المخطوط (الغلاف الخارجي) : و يعد الغلاف الخارجي للمخطوط أكثر أجزاء المخطوط عرضة للتلف، لأنه يعد وسيلة حماية للمخطوط، لذلك فالاهتمام به و بصيانته واجب، ويتم في العادة استبدال الغلاف كاملا إذا كان مصنوعا من الورق في أغلب مادته، أما إذا كان مصنوعا من الجلد فإنه يتم ترميمه .

ب ـ أضرار تتعلق بمتن المخطوط (أوراق المخطوط الداخلية): و التي غالبا ما تكون تمزق جزئيا أو كليا للصفحات المخطوط، وإما بقع حبر تفسد الكتابة .

جـ ـ ترميم المخطوط : عملية ترميم المخطوط، عملية ذات حساسية كبيرة و تعقيد في بعض الأحيان خصوصا عند بعض المخابر المتخصصة في ترميم التراث، حيث يتم الاستعانة بوسائل جد متطورة، في هذه العملية .

وتتم هذه العملية بعد تحديد الأضرار المراد صيانتها، ثم الوسائل المقرر استعمالها، ثم وضع مخطط ذهني عام يوضع مراحل هذه العملية، و أخيرا تحديد المدة الزمنية المتوقعة لترميم أضرار المخطوط [5].

يلي هذه المراحل المرحلة الأهم والأصعب وهي مرحلة الترميم، و التي قد يشارك بها أكثر من شخص، حسب طبيعة الأضرار و عددها، والوسائل المتبعة، حيث أنه قد تستخدم مواد كيميائية وأجهزة إلكترونية تستدعي المساعدة[6] .

3 ـ حفظ وتخزين المخطوط : يتم حفظ المخطوط وفق شروط خاصة، تختلف من هيئة إلى أخرى و من مكان إلى آخر، حيث غالبا ما يتم اختيار غرفة معزولة، ذات تهوية و إضاءة جيدتين، جدران عازلة للحرارة، مانعة للتسريب، و يفضل أن لا تكون في الطابق الأرضي و لا في الطابق العلوي الأخير .

أولا ـ تحديد المخاطر المتوقعة : قبل القيام بعملية تهيئة مكان الحفظ و التخزين، يجب تحديد المخاطر التي يمكن أن يواجهها المخطوط، و التي غالبا ما تتحدد في شيئين أساسيين هما : الغرفة و الرفوف .

ثانيا ـ التهيئة : وتشمل : الأرضية ، السقف ، الطلاء ، التهوية ، الرفوف ، التعقيم ، النظافة .

أما مكان تخزين المخطوط في الزاوية العثمانية فقد تم تغييره حديثا، ويتوفر على أغلب الشروط الملائمة لعملية الحفظ و التخزين ، مثلما يظهر في الصورة :



الشكل 10 : مكان تخزين المخطوطات ـ الزاوية العثمانية ـ)

ثالثا ـ الفحص الدوري لحالة المخزن ، و تقييم حالته:

وهو أمر ضروري لابد منه، وتزيد أهميته مع قدم مكان الحفظ و التخزين، إذ يجب المداومة المستمرة على فحص حالة المخطوطات و المخزن، وتقييمها، و إجراء عمليات الصيانة المطلوبة .



و القائمون على مكتبة الزاوية العثمانية يعون هذا الأمر جيدا، فيحرص شيخ الزاوية شخصيا من حين إلى أخر إلى تفحص حالة المخطوطات و المكتبة ككل، و هذا لمعرفته بقيمتها التراثية و الحضارية .

(الشكل 11 : شيخ الزاوية يتفحص مكتبة المخطوط بنفسه)

ج - **الفهرسة والتصنيف :** تمر عملية الفهرسة و التصنيف بجملة من المراحل قصد إعداد القائمة النهائية للفهرسة أهمها :

1 - **إعداد بطاقة معلومات عن كل مخطوط :** و تتم عن طريق عمل استمارات تجمع في أهم معلومات المخطوط، مثل : اسمه ، صاحبه، حقل الانتماء المعرفي العام و الفرعي، تاريخ المخطوط ، نوعية الورق ، قياسات المخطوط ، حالة المخطوط، عدد الصفحات، عدد الصفحات الساقطة من المخطوط(المفقودة) .





(الشكل 12 : نموذج لاستمارة فهرسة و تصنيف مخطوط) (الشكل 13 : عملية تصنيف المخطوطات)

وتعد هذه المرحلة من أهم مراحل فهرسة المخطوط و أصعبها و أطولها مدة .

2 - **فهرسة العناوين و تصنيفها :**

ويتم ذلك عن طريق جمع المعلومات و تصنيفها تصنيفا دقيقا، لإخراجها في الأخير في شكل فهارس تفصيلية ، لما تحتويه المكتبة من مخطوط، و قد قطعت الزاوية العثمانية في هذا أشواطا ، حيث استطاعت بمعونة جملة من الباحثين، أن تفهرس عنوان أكثر من 500 مخطوط لعلوم مختلفة أهمها العلوم الشرعية ثم تليها علوم اللغة العربية .

3 ـ رقمنة المعلومات :



و يتم ذلك عن طريق تخزين هذه المعلومات ضمن قاعدة بيانات رقمية في الحاسوب ، و تزويدها بمحرك بحث، يسهل عملية الإطلاع على معلومات المخطوطات، و هذه المرحلة تعد المحطة الأخيرة في رحلة الفهرسة و التصنيف، و هي مرحلة تالية لمرحلة الفهرسة التفصيلية .

و تكون في شكل تطبيق على الحاسوب بأحد لغات البرمجة التي غالبا ما تكون php و sql أو c++ ، بواجهة ذات مميزات بحث و تصفح متطورة .



(الشكل 14 : نموذج لتطبيق حاسوبي
لفهرس مزود بمحرك بحث)

و يفكر القائمون على الزاوية حاليا، بعمل فهرس رقمي يشمل جميع ما تحتويه المكتبة من عناوين، و رفعها على الانترنت، سعيا منهم لتقريب محتويات المكتبة من الطلبة و الباحثين .

د ـ الحفظ الرقمي للمخطوط :

و يتم ذلك عن طريق التصوير بواسطة الماسحات الضوئية أو أجهزة الكاميرا الرقمية ذات الدقة العالية، و عموما فإن هذه العملية تمر بالمراحل الآتية :

1 ـ التصوير الرقمي للمخطوط : حيث تتكفل مكتبة الزاوية بتصوير ما يقدم إليها من طلبات الطلبة و الباحثين الذين لديهم شغف للإطلاع على هذه الكنوز المعرفية.

2 ـ إعداد قاعدة بيانات تشمل جميع ما تم تصويره من مخطوط : وهو ما تسعى إدارة الزاوية للوصول إليه، و تتطلع إلى تجسيده على أرض الواقع، وقد يعد من ضمن الآفاق و التطلعات المستقبلية لهذه المؤسسة العلمية التي تحظى بدعم و اهتمام كبير من السلطات . وقد قطعت الزاوية العثمانية شوطا في نحو تحقيق هذا التحدي، و هذا بفضل جهود العديد من الباحثين و الهيئات البحثية .



(الشكل 15 : قاعدة بيانات تحوي مخطوطات مصورة مدعمة بمحرك بحث)

حيث يرى المتابع المراحل التي يمر بها المخطوط في مكتبة الزاوية العثمانية، والنهج المتميز في التعامل ـ من طرف المجمع ـ مع المخطوط التراثي، والتحديات والأفاق المستقبلية التي تواجه عملية حفظ و صيانة هذا التراث في مكتبات الزوايا على مستوى الجنوب الشرقي من الوطن .

الإحالات

(1) أنظر : شاهين عبد المعز ، الأسس العلمية لعلاج و ترميم و صيانة الكتب و المخطوطات و الوثائق التاريخية،القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب،1990، ص 73 .

(2) أنظر بتوسع أكثر : صيانة و حفظ المخطوطات الإسلامية، المؤتمر الثالث لمؤسسة الفرقان الإسلامية، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1998 .

(3) تصر إدارة الزاوية العثمانية على إتباع إجراءات خاصة و مشددة في كثير من الأحيان بالنسبة لعملية اطلاع الباحثين على المخطوطات ومحاولة تحقيقها.

(4) أنظر : مصطفى السيد يوسف، صيانة المخطوطات علما و عملا ، عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، 2002، ص : 172 .

(5) نفسه ، ص : 172 .

(6) أنظر بتوسع أكثر : بسام دغستاني، طرق صيانة المخطوطات و العوامل المؤثرة عليها، مركز الماجد للثقافة والتراث ، 1997 ،ص : 13 .

أ.جيجيك زروق

قسم التاريخ و الأثار

جامعة سطيف 02

عنوان المداخلة: مراكز المخطوطات بالجنوب الجزائري – الآليات و الوسائل.

ساهمت الحياة الفكرية و العلمية بالجزائر منذ الفترة الوسيطة بازدهار و تطور في مختلف العلوم و النشاطات التي أثمرت بظهور مكتبات و كتاتيب تخص بجمع مختلف المصادر و المخطوطات المتعلقة بالتاريخ سواء المحلي أو الإسلامي ، نجد منها مراكز الحفظ بمنطقة الجنوب الجزائري التي عرفت بدورها انتاجا فكريا غزيرا خاصة في المجال الادبي ، التاريخي ، الديني و التي كان معظمه على يد مشايخ الزوايا و الطرق الصوفية و مرابطي المنطقة هذه الجماعات الدينية المنتشرة بكثرة في المنطقة ساهمت في تأليف هذه الكتب بل حفظها و نشرها بين العامة لغرض التوجيه ، الإرشاد و اصلاح المجتمع .

وجب على الجهات المختصة و المتمثلة أساسا في المهتمين و الباحثين الأكاديميين حفظ هذه المخطوطات و العمل على جمعها و تخزينها في أماكن مخصصة لها و تحقيق بعضها، التي تعتمد على منهجية خاصة بها . على هذا نطرح التساؤل الاتي فيما تمثلت مخطوطات الجنوب الجزائري ، ما هي أهم المراكز التي تتواجد بها ؟ فيما تمثلت الأليات و الوسائل للحفاظ على هذه المخطوطات؟

نتطرق في هذه المداخلة إلى عدة محاور أدرجنا منها:

1- لمحة عامة عن المخطوط العربي و تدوينه.
2- عوامل انتشار المخطوط وحفظه بالجزائر.
3- مراكز حفظ المخطوطات بالجزائر عبر التاريخ .
4- أهم خزائن المخطوطات بالجنوب الجزائري.
5- آليات و وسائل حفظ المخطوطات.

لمحة تاريخية عامة عن المخطوط العربي و تدوينه:

المخطوط كناية عن كتب أو رسائل لم تطبع بعد ، فهي على حال نسخها باليد أي لا تزال على خط مؤلفها الأصلي أو النُساخ الذين بدورهم ضخموا من كثافة المخطوطات في المكتبات و الدواوين الاسلامية بغزارة نسخهم و توفيرها للعامة لغرض الدراسة و المطالعة(1)، كانت في بداية الأمر مهتمين بنسخ القران الكريم و كتابة الحديث الشريف .

في الوقت الحالي يمكن أن يكون قد أخذت منه صورا فوتوغرافيا او عن طريق التصوير بالميكروفيلم عن المخطوط الأصلي، الذي يتضمن عادة واجهة متمثلة في عنوان الكتاب و يمكن أن يكون له اكثر من عنوان أو بدون عنوان تماما فتركه المؤلف مفتوح المجال أو لغرض أخر فلهذا على المحقق المتخصص عنونته(2)

عرفت ظاهرة "النسخ" انتشارا كبيرا في الأمصار الاسلامية و يطلق عليهم "بالوراقين"(3) فكثيرا ما دونوا المؤلفات و ارخوا للأحداث و تناقلوا الأخبار فنجد أثرهم في حواشي المخطوط من خلال تقديمه لشروحات و تصحيحهم للأخطاء الواردة في متن الرسالة ، فهذا ما نلاحظه في مخطوطات شمال افريقيا فيذكر النساخ نسبه و اصله و سنة نسخه لتوثيق المصدر و التأكد من صحة المخطوط المنسوخ و عادة ما تكون في آخر المخطوط (4)- من شروط صحة المخطوط موافقة ثلاث نسخ على الاقل مع الاهتمام بدراسة شخصية الناسخ.

تميزت الفترة العباسية في العصر الثاني منذ تولي "هارون الرشيد" و ابنه "المأمون" الخلافة تكاثر النساخ و على راسهم "ابن مقلة" و أخيه وولديه و كذلك ابن البوات ،المستعصمي فتنوع أياديهم بتنوع خطوط كتابتهم فمعرفة نوع الخط المكتوب به ضرورة حتمية لمعرفة تاريخ المخطوطة و المنطقة التي خُط فيها ،فنجد الخط الكوفي الذي يعد من أولى الخطوط التي دونت بها المؤلفات الاسلامية الى غاية القرن الثالث و لم يكن يحتوي على علامات الإعراب المعروفة كالضمة، الكسرة و غيرها أي كان حرفا أصم غير منقط و مشكل فيصعب قراءته و تحليل مضمونه و مفهومه اللغوي ،إلا أن علماء اللغة اهتموا بهذه الظاهرة بدءا من عام 69هـ بتشكيل النصوص على يد أبي الاسود الأسود الدؤلي و تمت عملية التنقيط بصفة نهائية في عهد الملك عبد بن مروان من طرف نصر بن عاصم و أتمها الخليل بن أحمد و قام بضبطها على حالتها الأن .

في نفس السياق مع توسع أطراف الخلافة الإسلامية نحو المشرق الى بلاد الفرس ظهر الخط الفارسي و الذي نافس كثيرا الخط الكوفي لعدة اعتبارات منها كثرة العلماء و الفقهاء بمنطقة خرسان و تدوينهم لكتاباتهم بخط بلدتهم و لتمسك علماء الفرس المسلمين بثقافة و هوية حضارتهم السابقة فبلغ أوجه تطوره في القرن العاشر و الحادي عشر و خاصة في الفترة العثمانية، فساروا على نهج ترتيب حروف اللغة العربية بعد اضافتهم لحروف الفارسية الخاصة بهم (ب ،ج،ز،ك) فكانت بعد

الحروف العربية المطابقة لها ماعدا الهاء التي وضعت بين الواو و الياء تفصيلا بينهما فهذا ما نجده في مؤلفو المعاجم العربية من ذوي الاصول الفارسية "الزمخشري" في مؤلفه "أساس البلاغة " ،الفيروز آبادي في "قاموس المحيط".

أما عن خطوط المغاربة بشقيه الأندلس و شمال افريقيا و الذي عرف في الأندلس بالاستدارات و تداخل الكلمات ، ما نلاحظه في مخطوطاتهم و نفس الشيء لبلاد المغرب هو وضع نقطة عليا على القاف و نقطة سفلى على الفاء و تزيين بعض الحروف بالتفريع و الميل لحرفي الدال ، الكاف ، التذييل لحرف الياء.

على الرغم أن بلاد المغرب معروفة بالخط الإفريقي(5) المستمد من الخط الكوفي ،إلا أن بعد طرد الإسبان لمسلمي الأندلس الذين يطلق عليهم "بالمورسكيين" فنقلوا شمال افريقيا و خاصة المغرب الاقصى و الأوسط معهم حضارتهم و فكرهم و انتاجهم العلمي الغزير الذي كان في شتى المجالات و من بينه الخط الأندلسي و الذي اختلط مع الخط الإفريقي .

عوامل انتشار المخطوط و حفظه بالجزائر.

ساهمت الحركة الصوفية التي جابت بلاد المغرب الإسلامي خلال نهاية الفترة الوسيطة التي عرفت انتشارا واسعا في العصر الحديث بتشجيع من الحكام العثمانيين بعد استنجاد و مساندة العلماء و رجال الطرقية للحكام الأتراك في تثبيت قواعدهم و إرساء سلطتهم بالمنطقة ما ولّد نوعا من التقارب و التعاون بين الطرفين ، خاصة بعد تصدي العثمانيين للغرات الأوروبية على سواحل المغرب الأوسط من الهجمات الإسبانية و البرتغالية مما أثار في نفوس العامة و تبجيل الطبقة العثمانية و دعوتهم للمكوث بالجزائر و مطالبة الباب العالي بإلحاق الجزائر بالخلافة العثمانية التي مكنت أن تكون إحدى إيالاتها.

فهذا " بيري رايس " يذكر أنه هو وعمّه قائد الغزوة كمال رايس نزلا بمدينة بجاية ولجآ إلى زاوية الشّيخ محمد التواتي ، فشاع في الجزائر التحالف بين العثمانيين والمرابطين حتى عرف الناس أن هناك سياسة عامة متبعة ، فكثرت الأضرحة والقباب ودخلت الطرق الصوفية من المشرق والمغرب(6) فأقام هؤلاء المرابطين و شيوخ الطرق الصوفية مراكز علمية دينية تربوية يطلق عليها بالزاوية.

- حركة التأليف التي شاعت في الفترة الحديثة على أيدي العلماء خاصة بإقليم توات و حواضر الجنوب الجزائري الشرقي ورقلة و الواد نتيجة التواصل الثقافي و العلمي مع مناطق بتونس على غرار الكاف و بنزرت . بغض النظر عن حاضرة بجاية و قسنطينة و تلمسان ووهران و معسكر التي عرفت بضخامة الإنتاج الفكري في المجال الديني التاريخي الأدبي.

حركة الموريسكين ببلاد المغرب الإسلامي بعد الطرد المسيحي من شبه الجزيرة الإيبيرية و نقلهم للتراث المحلي فمن بينها المخطوطات الاندلسية و الرسائل المتبادلة بين المغرب الإسلامي و بلاد الأندلس و منها ما نجده منشورا في المجلة الإفريقية عام 1859(7)

الرحلات العلمية لمختلف الطلبة عبر القطر فمنها من يتجه الى المشرق و خاصة طلبة منطقة الشرق الجزائري فيتجهون لطلب العلم بالمراكز العلمية الكبرى على غرار جامع الزيتونة بتونس و الازهر الشريف بمصر و منهم من يصل الى الشام و العراق ، اما طلبة لغرب الجزائري فمعظمهم يتجه نحو المغرب التي تعج بحواضرها العلمية منها "فاس" "جامع القرويين" "مكناس"...

- الرحلات الحجازية نحو الحجاز لأداء مناسك الحج التي تعد فرصة لتبادل المخطوطات و شراء و بيعها فهذ ما نجده في رحلتي الورثيلاني ومروره بالمراكز العلمية و التي كثيرا ما يعقد فيها مجالس علم و خاصة عند وصوله الى ليبيا و مصر التي اقام بها كثيرا فهذه الرحلات ليست ذات هدف ديني و أداء مناسك الحج على الرغم من أنه الاساسي إلا أنه تتخلل فترة الرحلة فترات التعليم و تلقي العلم على علماء المشرق(8) و تبادل المعارف و منهم من يبقى الى اجل غير مسمى، نجد أيضا رحلة أبو راس الناصري نحو المشرق التي اثرت المكتبة الوطنية برحلتيهما اللتان أرختا للأحداث و اضمرتا عن المبهم.

الانتشار الكثيف لمراكز العلم بالمناطق الريفية و الصحراوية البعيدة عن انظار الحكم العثماني ففي حقيقة الأمر الحكام الأتراك لم يكترثو ببناء المدارس و المراكز التعليمية و التثقيفية بل إنما اهتمت بالجانب العسكري و السياسي ، فهذا ما جعل نشاط الزوايا و الطرقية و المرابطين يتزايد بتزايد مؤسساتهم الدينية و التي ساهمت في اثراء المنطقة بالمخطوطات المختلفة.

مراكز حفظ المخطوطات بالجزائر عبر التاريخ .

تنوعت مراكز الحفظ في الجزائر عبير فترات زمنية مختلفة و التي لولاها لما وصلنا تراثنا المادي المنقول من شخص الى شخص أو محفوظ في أماكن خاصة له فنجد منها الزوايا الدينية المنتشرة ويعود الفضل الى رجالاتها من العلماء و المتصوفة وكذا الكتاتيب القرآنية، و من الجانب البشري نجد العائلات المرابطة الشريفة التي جعلت من العلم و الأدب حرفة لها و من التوجيه و الإرشاد تقرابا لهم ، فدونت هذه الفئة بل و نسخت عن طريق زواياها الخاصة و التي يطلق عليها بزوايا المرابطين .

الزاوية :

مشتقة من الفعل "انزوى، ينزوي" بمعنى اتخذ ركنا، كما أنها مأخوذة من فعل "زوى" و "أزوى" بمعنى ابتعد وانعزل، كما في كتب اللغة سميت كذلك لأن الذين فكروا في بنائها أول مرة هم من المتصوفة والمرابطين، اختاروا الانزواء بمكانها والابتعاد عن صخب العمران وضجيجه طلبا للهدوء والسكون اللذين يساعدان على التأمل والرياضة الروحية، ويناسبان جو الذكر والعبادة، وهي من الوظائف الإسلامية التي من أجلها وجدت.(9)

بالتّالي فالزاوية هي الجامعة لكونها تجمع العباد على حب الله ورسوله(10) ، فهي على الجملة مدرسة دينية ومجانية للضيافة، و بهاذين الوصفين تشبه كثيرا في العصور الوسطى الدير(11) تعد مؤسسة دينية وثقافية واجتماعية ، بها مرافق تتمثل في مسكن الشيخ والمسجد ومكان الضيافة وحجرات لسكن الطلاب والإخوان ، قد كانت تعني في القرن الثامن ميلادي مكان العبادة كمسجد ، كما قيل عنها في القرن 11 ميلادي دار الكرامة(12) ،

الزاوية مؤسسة دينية إسلامية ذات طبيعة اجتماعية روحية، وهي تختلف حسب وظائفها ونشاطها(9)(نسيب محمد ملرجع سابق). أمّا كمال بوشامة فاعتبرها مؤسسات تربوية وتعليمية مختصة بتربية وتعليم المريدين العلوم الدينية والدنيوية ومكارم الأخلاق " (13).

فساهمت هذه المؤسسة الدينية في المحافظة على المخطوطات و ذلك بتخزينها في مكتبات خاصة بتلك الزاوية سواء كانت تابعة لطريقة صوفية الى مرابط . تقدم

للتدريس و تعليم الطلبة ، في نفس الوقت تعد مكانا لتأليف الكتب و خط المخطوطات لتواجد علماء اجلاء و فقهاء في الدين و في اللغة، فلا تخلو اي زاوية عبر القطر الوطني من مكتبة نفيسة بالعلوم النقلية بالخصوص و العقلية ، فقد تناولت هذه المخطوطات مختلف الجوانب الدينية ،الأدبية و العلمية .

في الشق الثاني نجد زوايا المرابطين و التي ينفرد بها اصحابها و ذات علم و تعليم فقط لا تتمتع بكل المسؤوليات و الشروط التي تفرضها زوايا الطرقيين ، ما جعلها منبرا يستنار به و قدوة يقتدون بها فلطالما انتشرت في البوادي و الأرياف و الصحاري لطبيعة الإنسان المرابط الذي يبقى منعزلا نوعا ما .

الكتاتيب و المدارس القرآنية :

اشتهرت منطقة الجنوب الجزائري بالخصوص بالانتشار الكثير للكتاتيب القرآنية و التي تكون غالبا محصورة في المجال الديني من تحفيظ للقران الكريم و الحديث النبوي و تعليم اللغة العربية ،إلا أن لم يثن من جمع مخطوطات المنطقة و حفظها لدى شيخ المدرسة القرآنية لمكانته الدينية و الاجتماعية إذن تعد الكتاتيب من المراكز الهامة التي ساعدت على حفظ المخطوط ووصوله إلينا و بقائه على حالته الحالية ، فتعد الكتاتيب و ما تزخر بها من مخطوطات ووسائل التعليم ملكا جماعيا لكل ابناء المنطقة فليست حكرا على أهل المدرسة على خلاف المكتبات الخاصة و التي تعود لأصحابها و التي قلما ما تفتح أبوابها لطلاب العلم و خاصة للمهتمين بتحقيق التراث و ابرازه للوجود .

فئة المرابطين و الأشراف :

هم جماعة دينية لهم سلطة روحية في المجتمع فهي كلمة مشتقة من الرباط و هي مراكز مراقبة و الدفاع عن ثغور المسلمين و عرفت انتشارا كبيرا في منطقة المغرب و سرعان ما تطورت وظائفه من عسكرية الى اجتماعية و تربوية و تعليمية بغض النظر عن الوظيفية الاساسية الجهادية .

فالمرابط ذلك الرجل التقي الصالح الزاهد الورع فهو مقدس في نظر العامة(14) فقد كان انتشارهم منحصرا في المناطق الريفية الجبلية و الصحراوية بعيدا عن المناطق الحضرية مما يلاحظ في الانتشار الكثير للزوايا في منطقة القبائل و الاوراس و الجنوب.

تطلق على المشايخ و رجال الدين الذين ينتسبون إليها عن طريق الوراثة التي ينتهي نسبه إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ،و هي فئة من الجماعات الدينية المختلفة عن الأخرى وهم الإمام المفتي و شيوخ الطرق الصوفية. مهام المرابطين مرتبطة بخدمة الشعائر الدينية في مؤسسات خاصة بهم كالزاوية و المسجد و الرباط و أنهم لا يتقاضون أجرا على عملهم في التدريس ، الفتوى إصلاح ذات البين(15)

فقد ساهمت في القضاء على الأمية و الجهل و التبشير المسيحي أثناء الاحتلال الفرنسي فحافظت على الدين الإسلامي و الذي بدوره هاجم و احتقر الحضارة الغربية فيرى الفرنسيون أن الحل الوحيد للبقاء في الجزائر هو نشر الدين المسيحي و القضاء على الهوية المحلية من خلال إبعاد السكان عن المرابطين لإضعاف شوكتهم(16).

فبدورهم هذا ساهموا في التمسك بمقومات شعوب شمال افريقيا فكان على الطلبة الذين يتخرجون من هذه الزوايا و هم على قدر من العلم و المعرفة أن يواصلوا المهام في قراهم و مناطق سكناهم للقضاء على الجهل فبهذا كثرت الزوايا وانتشر الإسلام ،(17).

كان افراد المرابطين جد مهتمين بالمخطوطات و خاصة المحلية لعدة اعتبارات منها اعتبارهم نخبة المجتمع في ذلك العصر فهم ابناء مشايخ الزوايا و ينتسبون للنسب الشريف ،و اطلاعهم المحدود على بعض أنفاس الكتب التي تصلهم من المشرق أو من المغرب الاقصى. فبقيت محافظة على نفس النهج الى يومنا هذا فهم يمتلكون مخطوطات و محفوظة في مكتبات خاصة تكون تحت تصرفهم – التي تعد من معيقات و تلف المخطوطات و هذا ما سنراه لاحقا.

أهم خزائن المخطوطات بالجنوب الجزائري :

عرفت منطقة الجنوب الجزائري حركة علمية واسعة ،فإذا ذكرنا المخطوط و الكتاتيب فيتبادر الى ذهن الدارس منطقة الجنوب الجزائري بشقيه الشرقي و الغربي فنجده يعج بالمكتبات و الخزان العلمية الخاصة بالعائلات المرابطة بالمنطقة أو أصحاب الطرقية و من أهم المراكز التي تحتوي مخطوطات نجد:

أ – الجنوب الغربي :

يعتبر الجنوب الغربي من أبرز و أغني المناطق بالمخطوطات فنجدها في اقليم توات عامة و بمنطقة بشار في الخزانة الزيانية القندوسية.

1 – زاوية كنتة:

التي أسسها سيدي أحمد الرقاد خلال القرن العاشر هجري في منطقة كنتة جنوب مقر ولاية أدرار و التي تبعد بحوالي 77كم و التي تعج بالمخوطات من مختلف المجالات و خاصة الدينية و الصوفية و في التاريخ و يغلب عليها الطابع الفقهي الشرعي نجد منها(18) :

- فتح الودود في المقصور و الممدود للشيخ سيدي المختار الكبير الكنتي.

- الطرائف و التلائد في مناقب الشيخين الوالدة و الوالد للشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكبير و الذي يحتوي على تراجم لاعلام المنطقة و شيوخها.

خزانة زاوية الشيخ أبي نعامة بأقبلي:

تقع جنوب ولاية ادرار تبعد عن مقر الولاية ب 320 كم أسسها الشيخ سيدي بن عبد الرحمان بن أبي نعامة العقباوي الكنتي خلال القرن الحادي عشر و معظم انتاجها لا يخرج عن النطاق الديني و الصوفي و نوعا ما التاريخي المحلي و من مخطوطاتها نجد ما ذكره الاستاذ صالح بوسليم (19):

- كشف الشبهات بالبراهين و البيانات للشيخ المختار الكبير

- نصائح للشيخ مختار وولده محمد في التصوف .

- نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض.

- قصائد في الشعر الشعبي الديني تخص ركب الحجيج و مدح المصطفى للشيخ ولد سيدي الحاج الكنتي.

-الرسالة الغلاوية للشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار.

- الديباج المرقوم في أصول علم النجوم.

- الكوكب الوقاد في شرح فضائل المشايخ و حقائق الاوراد للشيخ سيدي المختار الكبير

خزانة زاوية البكريين بأدرار:

تنتسب الزاوية إلى العائلة البكرية وتعرف عند العامة والخاصة بزاوية سيدي أحمد ديدي، أسسها البكري بن عبد الكريم بن محمد الادريسي عام 1017م تقع الزاوية في أقصى الشمال الشرقي لمدينة تمنطيط على بعد حوالي 1كلم من وسط المدينة في القصر المسمى زاوية سيد البكري وبالتحديد في قصبة كبيرة قديمة البناء، فكانت حاضرة عليمية يتوافد عليها الطلبة من الجنوب الشرقي للجزائر من وادي سوف ،ورقلة و تعدى صوتها الى افريقيا جنوب الصحراء و بالتحديد للسودان الغربي باعتبارها همزة وصل و نقطة عبور ،

- سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق، تقييدات حول تاريخ تمنطيط، مخطوط بخزانة سيدي احمد ديدي،

- مصحف مدون من طرف الشيخ أحمد بن علي بن أحمد العبدري الأندلسي المعروف بابن خليفة في القرن التاسع هجري بخط اندلسي(20).

تحوي الزاوية ما يقارب الألف مخطوط في شتى المجالات و العلوم و الفنون.

خزانة زاوية كوسام :

يعود تاريخ تأسيسها الى القرن 19م التي تبعد عن مدينة أدرا ب ثلاث كم عرفت ازدهارا علميا كبيرا في المنطقة بفضل وصول أحد علماء المنطقة على تسيرها و هو سيدي عبد الله بن احمد حبيب البلبالي(21) ، تضم في رفوفها العديد من المخطوطات معظمها من الجانب الديني و الصوفي و منها تراجم لبعض علماء المنطقة و سيرهم و نجد من مخطوطاتها:

- تفسير القرآن الكريم لابن عطية.

- كتاب ايضاح المسالك في قواعد الإمام مالك ، لأبي العباس أحمد يحي بن عبد الواحد بن علي الونشريسي.

- منظمة في التصوف ،لابن مرزوق ابو عبد الله الخطيب .

- القاموس المحيط، لابي أحمد بن عبد العزيز الراشدي(22).

- شرح رسالة أبي زيد القيرواني ، لشمس الدين التثاني .

- كمال فتح المقيت في شرح المواقيت ،لأحمد بن محمد عومر.

- الخزروجية في العروض و القوافي.

- وسم المعاصي في شرح تحفة ابن العاصي على الأرجوزة لمؤلف مجهول

ب – الخزانة الزيانية القندوسية:

تقع غرب مدينة القنادسة بولاية بشار، يعود تاريخ تأسيس هذه الخزانة الى عام 1983م على يد أحد أبنائها مبارك الطاهر و الذي أدرك أهمية و قيمة الموروث الثقافي و التاريخي الذي تزخر به منطقة القنادسة مما أهّم بجمع المخطوطات و تصنيفها و فهرستها ووصل عددها إلى 200 مخطوط (23) معظمها في الجانب الديني باعتبارها زاوية في بداية الأمر تهتم بتعليم القرآن الكريم و العلوم الشرعية و اللغوية .

نجد من مخطوطاتها(24):

في الأدب و التي تقدر ب 10 مخطوطات منها:

- الفية بن مالك ،للإمام أبو عبد الله بن محمد بن مالك الطائي.

تحفة الأريب و نزهة الأريب ،لأبو مدين بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي.

أما في التاريخ و التي تقدر ب 11 مخطوط منها :

- رحلة الوزير لافتكاك الوزير للغساني.

- الرحلة الهلالية لأبي العياد بن أحمد بن الشيخ بن عبد العزيز بن الرشيد الهلالي السجلماسي.

- الرحلة الحجازية الكبرى للعلامة ابو عبد الله محمد بن عبد السلام بن ناصر الدرعي، تحتوي على الجزء الخاص بمنطقة بشار.

في الحديث يتواجد به 21 مخطوط من خلال فهرسة الحديث النبوي و السيرة النبوية للخزانة الزيانية القندوسية:

- كتاب صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني .

- الجامع المسند للامام البخاري للإمام أبي عبد الله بن محمد بن اسماعيل البخاري

نجد مخطوطات في الفقه عددها 40 .في التصوف عددها 32.. في العقيدة 05.الطب 02.

ثانيا منطقة الجنوب الشرقي:

لا تقل أهمية منطقة الجنوب الشرقي عن غناها و ثرائها بتراثها المادي و الذي لازال شاهدا على العمق الحضاري و العلمي للمنطقة ، و حتى من العمق التاريخي الاثري الذي يشهد ببناء الزوايا و الكتاتيب القرآنية بغض النظر عن المساجد و الجوامع التي تعد من منارات العلم و التربية و الخلق.

زاوية قمار التيجانية :

عرفت الطريقة التجانية انتشارا واسعا في منطقة الوادي بالخصوص وكذا ورقلة ، فنجد منها زاوية قمار التي تأسست عام 1789 على يد المقدم محمد الساسي القماري بتزكية من مؤسس الطريقة سيدي أحمد التيجاني و التي عرفت بازدهار علمي كبير في شتى المجالات و أصبحت مدرسة علمية يتوافد عليها الطابة و نُسخت بها المؤلفات القادمة من منطقة الجريد التونسية و عرفت تفاعلا ثقافيا و تبادلا علميا بين حواضر تونس مما أثرى الزاوية بمختلف المخطوطات و التي وصل عددها الى 8 آلاف مخطوط في عهد المقدم محمد الساسي ، إلا أن بعد وفاته ضاع الكثير ووزعت بين الاسر المرابطة في المنطقة فمنها ما حفظ لدى العائلات

المثقفة و التي تعي قيمة المخطوط و منها لازال محفوظا في خزانة الزاوية و الذي لا يتجاوز 600 مخطوط نجد منها(25):

- القرآن الكريم ، نسخ بيد العالم المكي بن علي الفقون عام 1310هـ .

- القرآن الكريم ، نسخ بيد العالم الحاج المكي بن الحاج عمار بن زقوطة، عام 1868م.

- صحيح البخاري، ماعدا الجزء الثاني، لمحمد بن اسماعيل البخاري،

-الروض الفائق في المواعظ و الرقائق المعروف شعيب الحرفشي ، نسخ عام 1721م .

زاوية تماسين التيجانية :

تعد من أكبر من فروع الطريقة بالعالم ، التي تأسست عام 1803م بمنطقة تماسين التابعة حاليا لولاية ورقلة عرفت الزاوية عبر تاريخها المشرف بالعلم و الإصلاح و التربية فكانت رابطة وصل بين الجزائر و تونس من خلال تبادل الرحلات العلمية و نشر الطريقة بالجنوب الغربي لتونس و التي أثمرت بتواصل صوفي ،علمي ، ثقافي متنوع . اتصلت علاقتها بالتوطد أكثر بتمسكها بالزوايا الفرعية الأخرى للطريقة بعين ماضي و ببوسمغون .

عرفت حركة علمية واسعة في عهد خلافة سيدي الحاج علي التماسيني واستقراره بتماسين و الذي اهتم بالعلوم المختلفة فأنشأ بها مكتبة خاصة للزاوية و توافد عليها العلماء للتدريس و الطلبة للدراسة و نجد منهم سيدي السعيد الذي كان عالما في الفقه واللغة العربية كان يدرس النحو و الصرف و اصول البلاغة ،أما في علوم الدين و الحديث و الفقه نجد العالم الرباني و الذي يُنسب الى منطقة تماسين سيدي علي السّوداني .

يتواجد بالخزانة العامة للطريقة العديد من المخطوطات في شتى العلوم و المجالات و كذا للتقارير المدنية و العسكرية التي كانت ترسل من خلفاء الطريقة الى الحكام الفرنسيين و نفس الأمر بالنسبة للرسائل التي تقع بين فرع تماسين مع الفروع الأخرى داخل الجزائر و خارجها و خاصة بتونس و المغرب و السودان الغربي .

آليات و وسائل حفظ المخطوطات :

إن واقع مخطوطات الجزائر في أقاليمها دون استثناء لا تنذر بالخير لما عليها، فهو تراث الأمة المادي و تاريخها الماضي و مستقبلها المشرف ، فقدر الفرنسيون أهمية و قيمة المخطوطات فقاموا بجمعها و تنظيمها و حفظها و فهرستها و دراستها و تحقيق بعضها فأثرى هذ العمل بإنشاء المكتبة الوطنية على يد بيربروجر الذي كان يلم مخطوطات المدن التي تسقط في يد فرنسا فنشر الكثير منها في المجلة الإفريقية التي كانت حال لسان الجمعية التاريخية الجزائرية اثناء العهد الفرنسي فساهموا في ابراز التاريخ المحلي و لو على أنه طغى عليها الصبغة الفرنسية.

إن هذه الوثائق الخطية النفيسة يجب أن تعطى لها المكانة الأولى بالدراسة لتأمين صيانتها و التعريق بها و نفض الغبار عن مادتها العلمية المتشعبة ، ناهيك عن تقديم صورة عامة عن الوضع الثقافي و العلمي للمنطقة ، وتجليدها إن كانت بحاجة الى ذلك لتتاح لجميع الباحثين و الطلبة فهذا يتطلب جهدا و يستلزم تظافر الجهود بين الجهات المعينة داخل الوطن و خارجه(26)

كيف لا و نحن جيل الاستقلال و الأولى بهم كونه تاريخ أمتنا ووطننا فوجب المحافظة عليه ، بل والسعي لإظهاره للأجيال القادمة فهو فخر الأمة و كنزها و على هذا الاساس يجب القيام بخطوات هامة في وقت سريع لجمع المخطوطات وإحصائها و فهرستها و بعدها الشروع في التحقيق و الدراسة ، من أجل المحافظة على مخطوطاتنا وجب القيام بـ :

قبل الولوج في اساليب الحفاظ على المخطوطات و تكون بجمعها و تصنيفها و فرستها ثم رقمتنها و في الاخير دراستها و تحقيقها إلا أن الجانب الأساسي و المهم هو الذي يعد القاعدة الأساسية في صيانة المخطوط :

الجمع : يكون عن طريق:

أ - توعية الافراد و المجتمع :

بقيمة المخطوط و أهميته التاريخية و العلمية ،لذا فمعظم مخطوطاتنا محفوظة في مكتبات خاصة تعود لملكية عائلات فهذا ما يُصعب الوصول عليها – يصعب الأمر لأكثر إن كانت لدى أهل ليسوا بأهل علم و ثقافة – فهذا ما ادى بضياع الكثير منها

و إتلافها ، بيعها ، ما نجد في الآونة الأخيرة قوم حرفتهم بيع المخطوط دون البحث عن مصدره أو مشتريه فكلما طغت المادة قلة الأمانة ، فوجب محاربة هذه الظاهرة – ظاهرة تهريب المخطوط- .

ب- فتح خزائن المكتبات و المخطوطات الخاصة لطلبة العلم و المهتمين بدراسة المخطوط و تحقيقه و بالخصوص طلبة الدراسات العليا في الماجستير و الدكتوراه.

ج - قيام السلطات المعنية و على الأساس وزارة الثقافة بشراء المخطوطات الخاصة لدى الافراد ووضعها في المتاحف و دور الأرشيف لتسهيلها للطلبة ، فكثير من الاسر تمنع تقديمها لغرض الدراسة بل منهم من يرى أنه شيء مقدس لا يجوز حتى مسه ما اثر سلبا على ابراز التاريخ المحلي الذي دون علي يد علماء المنطقة.

- الصيانة و الحفظ :

بعد العملية الأولى و المتمثلة في توعية المجتمع بضرورة جمع التراث المادي و حفظه في أماكن خاصة به ذات موصفات مقننة تحد من تأثير التلف و الضياع المتعلقة بالحرائق و درجة الحرارة المرتفعة و الرطوبة و الإنارة مع توفير الامن بالمكان و حفظه ل في مراكز مخصصة للمخطوطات بأن تكون جدران البناء سميكة و تكون في طوابق أرضية و تحت الأرض لتكون بعيدة عن افرازات الدخان و الغازات الضارة و تكون في اتصال مع مكتب الترميم و الصيانة و الفهرسة لمتابعتها وتنظيمها و أن تكون في خزائن حديدية مثقوبة في الاعلى لدخول الهواء بنسبة قليلة ،أما عن درجة الحرارة فتكون بين 20- 25°فإذا زادت عن المعدل تتكمش الأوراق و تتمدد ما يعرضها للتلف ، أما الرطوبة بمعدل ما بين 50-60% فإذا زادت عن المعدل تتعرض لتلاصق الأوراق و التوائها و تغير ألوانه مع نمو الفطريات ،إن حدث العكس و قلت الرطوبة فتؤدي الى جفاف المخطوط و تكسر أوراقه. (27)

- الجرد و الفهرسة :

تأتي بعد عملية الجمع و الترميم و الصيانة يقوم المختصون بفهرستها ،على الرغم من عدم وجود منهج موحد و عام لفرسة المخطوطة فهي عملية تختلف من مدرسة إلى مدرسة أخرى حسب المنهج و الطريقة و الأولوية فنجد منها فهارس

المستشرقين الغربين السباقين إلى الفهرسة وتعد الطريقة الأكثر شيوعا و المختصرة :

- **اسم المخطوط:** ذكر اسم المخطوط و عادة ما يكون في الصفحة الأولى ، نادرا ما يكون في ذيل المخطوط

- **ذكر اسم المؤلف** : تاريخ وفاته ،أو العصر الذي عاش فيه للتفريق بين الاسماء المتشابهة بين الشخصيات و يمكن اضافة كنيته إن وجدت.

- **ذكر فاتحة المخطوط** : لمعرفة بداية المخطوط و في حالة مقارنتها بنسخة اخرى للتأكد من صحتها .

- **خاتمة المخطوط** : بذكر الجملة الأخيرة من المتن قبل تدوين الناسخ و سنة نسخه.يجب ان تكون جملة خاصة بمؤلف المخطوط و ليست عامة على سبيل المثال "تجز الكتاب بحمد الله" فهذه الجمل نجدها في كل نهاية المخطوطات فلهذا وجوب كتابة الجملة الخاصة به و نفس الأمر بالنسبة لبداية المخطوط .

-عدد الورقات و نوع الورق و عدد الأسطر في الورقة ،وقياس الصفحات و عرض الهامش .

- نوع الخط : مما يساعدنا على معرفة بلد الناسخ ، منها الخط المغربي ، الأندلسي، الكوفي الفارسي...مع تقديم عن حالة الخط جيد ، مقروء، سيء، مشكل، وكذا إن كانت به ألوان مزركشة فيضيفها.

- اسم الناسخ و تاريخ النسخ : عادة يكون في آخر صفحات المخطوط فيشير إليه سواء كان الناسخ مؤلف المخطوط او ناسخا بالأجرة مع ذكر اسمه و سنة نسخه و مكانه ان وجد.

- الجلد: يقصد به تجليد المخطوطات فمعظمها ذات غلاف غليظ ملون فيساعدنا في معرفة عمر المخطوط إن لم يكن غير مؤرخ ، دراسة تطور صناعة التجليد عبر العصور.

- مصدر المخطوط: من باب الأمانة العلمية و المنهج العلمي ذكر مصدر المخطوط و صاحبه سوآءا ملك خاص أو مؤسسة عمومية.......

في حالة ما إذا كان المخطوط مجهولا بفقدان الغلاف او الورقة الأولى التي تحتوي على المعلومات العامة وجب دراسة المخطوط جيدا لتقصي الفترة الزمانية و استنباط عناوين الفصول.

هذه هي الاساسيات العامة في فهرس المخطوط و تبقى على حسب مجهودات و معرفة المفهرس فيمكن اضافة علامات أخرى لتسهيل عملية البحث في المخطوط كتقديم فكرة عامة عن المخطوط و ذكر أبوابه و عناوين فصوله و أقسامه.

فالفهرسة بالنسبة للمكتبة مفتاح كنوزها ، يسهل عملية البحث للطالب و تظهر ما أُظمر للباحث لتحقيقه أو دراسته و نشره لإحياء التراث و نفض الغبار عنه.

التصوير و الرقمنة :

تعد المرحلة الأخيرة لضمان المخطوط من الضياع و التلف و مع التطور التكنولوجي و الرقمي وجب مسايرته فلهذا وجب رقمنتها عن طريق التطوير الضوئي SCANNER و هي تحويل المخطوط على شكله الحالي الى كتاب مقروء بواسطة تقنيات الإعلام الآلي، و خزنها في وسائط مختلفة (28)، تهدف الى انشاء مكتبة مخطوطات رقمية يلجآ إليها الباحث و المهتمين دون الرجوع الى المخطوط الاصلي و يمكن نشره على مواقع في الشبكة العنكبوتية لتسهيل عملية البحث و التحري و تسهيل مأمورية البحث و التنقل .

التحقيق و النشر : هي واجهة ، مرآة و ثمرة المجهودات السابقة بداية من جمعه إلى تحقيقه ، فبه يحفظ المخطوط و يتحول إلى كتاب مطبوع محفوظ بدور النشر و المطالعة ،يكون في متناول العامة و الخاصة لتواجده بالمكتبات و منها يمكن نسخه و إعادة طبعه ،تعد من أرقى الطرق للحفاظ على التراث المحلي فتجلى في الكشف عنه مع مقارنته بالمصادر الأخرى .

كلمة لابد منها:

في حقيقة الأمر موضوع الحفاظ على المخطوطات ليست مهمة المؤرخين ،المحققين، الباحثين أو بالأحرى المهتمين بالتراث عامة و بمختلف أشكاله و أنواعه

، إلا و تصادف جملة من المصاعب و المشكل التي تصعب المأمورية، فلهذا وجوب تظافر الجهود ليس فقط مع الجهات النظامية في السلطة كتدعيم بمشاريع البحث ، تقديم وسائل الحفظ و جعلها في سلطة الباحثين ،كل هذه المجهودات تنمي البحث العلمي في المجال المدروس إلا أن قضية المخطوطات تمس بالأحرى مالكي المخطوطات و التي يصعب الوصول إليها لغرض علمي لاختلاف ذهنيات افراد المجتمع الجزائري و طغيان الذاتية على الرغم من العدد الهائل التي تزخر به مختلف الزوايا و الكتاتيب القرآنية و ما يدره اصحاب الطرق الصوفية و المرابطين و التي نجدها مكدسة في أماكن معرضة للتلف يعبث بها الغبار و الحشرات و العوامل الطبيعية المختلفة.

وجوب انشاء مراكز علمية يُديرها اساتذة متخصصين في الميدان كهمتهم جمع و تحقيق المخطوط ،مع تدعيم النشاط البحثي في المخطوطات من خلال توجيه الباحثين في الدراسات العليا للتطرق إلى هذه المواضيع التي لم تنل من حقها إلا القليل.

دعم نشر المؤلفات المحققة من طرف الاساتذة و التي تكون دعما محفزا للبحث و الرُقي في هذا الميدان و تقديم تشجيعات و تحفيزات للباحثين ، من خلال تأسيس جمعيات تهتم بحماية التراث المادي في كل منطقة لجمع أكبر عدد من المخطوطات .

وجوب على الجامعات الجزائرية إدراج دراسات في مجال المخطوطات و إقامة دورات تكوينية لشرح كيفية الحفاظ عليه و اساليب التحقيق ، بدأت بعض الجامعات في الحذو صوبها على غرار جامعة الجلفة التي أقامت دورة تكوينية دولية بمشاركة اساتذة متخصصين في الميدان من العراق و شبه الجزيرة العربية، و كذا جامعة أدرار التي أنشأت مخبرا خاص للمخطوطات بغرب افريقيا مع تدعيمه بمجلة خاصة و إقامة ملتقى دولي ، ما يحفز الباحثين للبحث ، تأتي هذه المرة جامعة ورقلة بعقد ملتقاها الوطني الثاني حول المخطوط الذي سيكون دعما و تحفيزا لخوض غمار البحث و التحقيق.

نرجو أن تجد هذه التوصيات آذانا صاغية للحذو في تحقيق المخطوط المحلي و ابرازه كونه عماد هذه الأمة و مجد عزها فلا بد علينا الحفاظ عليه و الرُقي به مثل باقي الدول التي كانت سباقة إليه.

الحواشي و الإحالات :

(1) مهدي فضل الله ،أصول كتابة البحث و قواعد التحقيق ،ط2.دار الطليعة للطباعة للنشر ،بيروت.لبنان.1998.ص.140.
(2) فهي سعد، طلال مجدوب. تحقيق المخطوطات بين النظرية و التطبيق، ط1،عالم الكتب .بيروت، لبنان،1993.ص.ص.13.15.
(3) الورّاقة: هي عملية النسخ و التصحيح و التجليد ، سائر ما يهم امور المكتبية و الدواوين ،ليست مرتبطة بتدوين و نسخ القرآن الكريم على الرغم أن بداياتها الاولى كانت محصورة في الكتابات النقلية و فقط، بعدها امتدت إلى مختلف الجوانب العلمية و الأدبية . فلفظ الوراقة مشتق من الورقة فقدت في وجدت في بداية النصف الأول من القرن الاول باعتبار أن صناعة الورق دخلت الأمصار العربية و خاصة بغداد عام 188هـ. يقول ابن خلدون :"أن النساخة حرفة النسخ و هي الوراقة و كل من جعل النسخ حرفة يحترفها أو شغل يشتغل به لنفسه فهو نسّاخ ووراق . **حول الموضوع ينظر**: ابن خلدون ، المقدمة.ص.321.
(4) بشار عواد معروف، ضبط النص و التعليق عليه .مؤسسة الرسالة ،بيروت،لبنان،1982.ص.9
(5) محمد ألتونجي، المنهاج في تأليف البحوث و تحقيق المخطوطات ،مطبعة عالم الكتب. سوريا ،(د.س).ص.ص.155.157.
(6) سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، دار الغرب الإسلامي.ص.469.
(7)Berbrugger (A), manuscrits Espagnols en caractères arabes, Revue Africaines .volume 04.1859.1860.P.297.
(8) الورثيلاني الحسين ، نزهة الانظار في فضل علم التاريخ و الآثار، المشهورة بالرحلة الورثيلانية،ط2، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان ،1986.ص.55.
(9) صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر تاريخها و نشاطها .دار البصائر. الجزائر.2009 ، ص301.
(10) مصطفى السنوسي ، المقتبسات النيرة في ذكر دور الزوايا ورجالاتها العلمية عبر العصور **والأيام** ، دار الغرب للنشر والتوزيع ،وهران الجزائر ، 2002 . ص 121.
(11) محمد نسيب: زوايا العلم والقرآن ، ، دار الفكر ،الجزائر ، (د.س).ص27.
(12) محمد مكحلي ، "دور الزوايا الدينية الإصلاحية في تحضير الثورة التحريرية" ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عدد 3، جامعة سيدي بلعباس، دار الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، 2004 م، ص 201.
(13) كمال بوشامة ، الجزائر أرض عقيدة وثقافة ، ترجمة محمد المعراجي ، دار هومة للنشر والتوزيع ، الجزائر 2007 . ص 135.
(14)Depont(O) et Coppolani(X).Les confréries religieuse musulmanes .Ed, Adolphe Jourdan.Alger.1897 .p.131.
(15) Rinn(L), Marabout et Khouane. études sur l'islam en Algérie .Jordan. Alger, 1884.P.P.14.18.
(16)Piere Montagnon, la guerre de l'Algérie .Imp. Pygmalions .Paris ,1984 . P.60.
(17) Carret(J).Le maraboutisme et les confréries religieuses musulmanes en Algérie. Ed ,Alger .1959.P.12.
(18) الصديق حاج أحمد آل المغيلي ،من أعلام التراث الكنتي المخطوط الشيخ محمد بن بادي الكنتي حياته و آثاره، دار الغرب للنشر و التوزيع. الجزائر.(د.س).ص.07.
(19) صالح بوسليم ،لمحة عن مراكز المكتبات و الخزائن الشعبية للمخطوطات في توات جنوب غرب الجزائر خلال القرنين 12-13هـ، مجلة المغاربية للدراسات التاريخية و الاجتماعية ، العدد الثاني ، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، جوان 2010.ص.31.
(20) وزارة الثقافة الجزائرية، المخطوطات الإسلامية ،أعمال المعرض المنظم في اطار فعاليات تلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية. الجزائر.2011.ص.130.

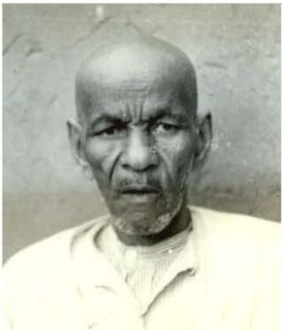
(21) بشار قويدر، حساني مختار، مخطوطات ولاية أدرار، أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ و علم الانسان و التاريخ، مطبعة عمار قرني باتنة، الجزائر. 1999. ص.27.
(22) صالح بوسليم ،لمحة عن مراكز المكتبات و الخزائن الشعبية للمخطوطات في توات جنوب غرب الجزائر خلال القرنين 12-13هـ، دورية كان التاريخية، العدد 09، سبتمبر 2010 .ص.43.
(23) عبد القادر بوباية ، التعريف بالخزانة الزيانية القندوسية، مجلة عصور، العدد السادس، جامعة وهران ، الجزائر، ديسمبر 2005.ص.281.
(24) بقدور مريم ، واقع خزائن المخطوط بالجنوب الجزائري من خلال الخزانة القندوسية الزياني – تشخيص و اقتراحات ، مجلة رفوف ، عدد خاص بالملتقى الدولي حول المخطوط ، العدد الثالث ، جامعة أدرار، الجزائر. ديسمبر 2013.ص.18.
(25) وزارة الثقافة الجزائرية ،دور الخواص في حماية الممتلكات الثقافية التراث المخطوط أنموذجا ،منشورات المتحف الوطني بسطيف ، في اطار تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية 2011.ص.104.
(26) سامي خلف حمارنة ،مصاعب نقل و حفظ التراث العلمي العربي، مجلة المؤرخ العربي، العدد 20، بغداد ، العراق،1981.ص.223.
(27) راشد بن سعد بن راشد القحطاني ،خدمات المخطوطات العربية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض. المملكة العربية السعودية .1996.ص.131.
(28) مولاي أحمد ،دور الرقمنة في حفظ و استرجاع المخطوطات الجزائرية بغرب افريقيا، مجلة رفوف، العدد الثاني، جامعة أدرار، الجزائر. ديسمبر 2013.ص.49.

الأستاذ /أحمد حفيدي والأستاذة حينوني الزهرة

المركز الجامعي بولاية تمنغست

عنوان المداخلة

خزانة الشيخ العلامة الطالب التهامي حينوني القبلاوي واقع وآفاق



ملخص المداخلة:

يعتبر المخطوط أكبر شاهد على الحركة العلمية الفكرية في شتى أنحاء المعمورة ، لأنه يعكس مدى اهتمام القائمين عليه بالعلم ،وترسيخه وتدوينه للإفادة والاستفادة ، وغايتهم في ذلك ليست الرغبة الذاتية في تحصيل العلم فقط، بل يتجاوزها إلى تقريبه من الآخر والحرص على نقله للأجيال ،فقد أفنوا حياتهم خدمة لهذا العلم ؛ومن أبرز رجالات الجنوب الجزائري الذين تركوا بصمتهم في أعماق هذا التاريخ الإمام الطالب التهامي – رحمه الله – صاحب المكتبة التي كان مقرها في تامنغست لتنتقل بعد وفاته إلى مسقط رأسه أقبلي أركشاش دائرة أولف ، ونظرا لحداثة عهدها وصيانتها وحفظها من قبل أحفاده جعلها تستقطب العديد من الزائرين ، وقد ضمت العديد من المواضيع في مجالات مختلفة أغلبها الجانب الديني والأدبي فيها ما هو مخطوط بيده ،وما هو مخطوط بيد غيرة من أقاربه كالطالب ناجم الحينوني والطالب عبد القادر حفيدي والطالب ناجم سلامة وغيرهم، فوددنا من خلال هذه الورقة العلمية أن نعرف به ،وبجهوده العلمية ، وأيضا المدرسة الخطية

التي ينتمي إليها ، وما تضمنته هذه الخزانة من مخطوطات محققة وغير محققة والله من وراء القصد

المقدمة :

الحمد لله رافع السموات بلا عمد ، وجاعل العلماء ورثة الأنبياء بلا حسب ، والثناء على نبيه المصطفي من جنس البشر ، المبلغ لما أمر ، خاتم الأنبياء والمرسلين ،صلاة وسلاما يملآن الرحب ويطيبان مجلسنا هذا بعبير الذكر ، والوقوف على ذكرى من مرّ من علمائنا الطيبين الأبرار ، فيا من علم داوود ، وافهم سليمان علمنا وافهمنا من علم علمائنا، واجعل ذكرنا لهم ذكراً خالدا ينعم عليهم بالحسنات ويجنبنا السيئات يارب العالمين .

يطيب لنا الحديث على من أكرمهم الله سبحانه وتعالى بعلمه ، ونثر عليهم من طيب كرمه ، وأتحفهم بحفظ كتابه وإتباع نهجه وجعلهم خير خلف لخير سلف، وفي هذا المقام ننوه بالدور الريادي للعلماء في جميع الأقطار و حملهم للواء الدعوة الإسلامية ، وحرصهم على الإصلاح ونشر العلم ، و مبادئ التسامح والقيم الأخلاقية الفاضلة ، وهم الأحق بذلك كما صح عن رسول الله (صلى الله عيه وسلم) أنهم ورثة الأنبياء ، وأن الأنبياء لم يورثوا درهما ولا ديناراً وإنما ورثوا العلم ، هذا العلم الذي جعلهم يضاهون الثريا في علوها كان له الفضل الكبير في احتفائهم هذه المكانة العلية ، وحاولوا من خلال ما وهبهم الله سبحانه وتعالى من نعمة الخط ،أن ينقلوا لنا المؤلفات ويدونوها لندرتها،ولأهميتها العلمية،وحرصا عليها من الضياع ، فسجلوا لنا أرثا علميا هو بمثابة الشاهد على ما قضوا فيه ليلهم ونهارهم فوقفنا في هذه الورقة على مبحثين الأول حاولنا أن نترجم فيه لصاحب الخزانة وجهوده العلمية ، والمبحث الثاني تناولنا فيه المدرسة الخطية التي ينتمي إليها ثم ما تضمنته خزانته من مخطوطات .

المبحث الأول :الشيخ محمد التهامي حينوني ترجمته وجهوده العلمية
.

1/ ترجمته :

يترجم الشيخ لنفسه غالباً بعد الفراغ من تسويده لما خطه من مخطوطات وهذا دأب علماء المخطوطات فهو عبيد ربه محمد التهامي بن عبد القادر بن الحاج أبي بكر بن الحاج ناجم بن مُحمد ضماً بن مَحمد فتحا الحينوني منشأً القبلاوي مولداً ودارا غفر الله له ولوالديه وإخوانه وأشياخه وأحبائه والمسلمين . (1) فقد ولد بقرية أركشاش الواقعة ببلدية أقبلي حالياً التابعة لدائرة أولف وكان ذلك خلال 1886م الموافق ل1312ه ترعرع في كنف والديه ، فدرس في الكتاب عند الطالب سعيدو ثم درس على يد خاله سيدي بحبي ، وهم أهل علم وكرم وجاه ،وتعلم عنهما علوم الدين فحفظ القرآن وهو ابن التسع سنين ، وتربى كغيره من شباب قريته لكن سرعة بديهته ، وسهولة حفظه ، وفطانته ميزته عن غيره مما جعل أبوه يدفع به للشيخ سيدي حمزة بن الحاج أحمد الفلاني القبلاوي قطب توات ونجمها ، (فكان تلميذا له ، ولمحمد عبد القادر بن محمد) (2)و سيدي محمد عمار بن السيد محمد العالم الآخذ عن شيخه حمزة في حي ساهل، فتعلم على يدهم العلوم الدينية واللغوية وأبقوه إلى جنبهم لإعانته في تدريس الطلاب ، فنال الإجازة على يده شيخة في قراءة القرآن العظيم وحفظه ،وهذا دأب أهل المغرب كما يرى العلامة عبد الرحمان بن خلدون (فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط ، وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم ،لا من حديث ولا فقه ولا شعر ولا من كلام العرب ، إلى أن يحذق فيه أو ينقطع دونه ' فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعاً عن العلم

بالجملة.وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم من قراء البربر ، أمم المغرب ، في ولدانهم إلى أن يجاوزوا حد البلوغ إلى الشبيبة وكذا في الكبير إذا رجع مدارسة القرآن بعد طائفة من عمره ، فهم لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم)(3) وهذا ما يبرر منح الإجازة في القرآن دون سواه على الرغم من أن منهج الدراسة في جنوب المغرب لم تكن مقتصرة على القرآن وحده ، بل اهتمت بالفقه والتوحيد وجعلته ملازما للدرس القرآني وخاصة المتون وشروحها كمتن ابن عاشر وأسهل المسالك ، ورسالة خليل وغيرها من المتون التي لا يسمح المقام بذكرها، و نص الإجازة حسب تسلـــسل الشيوخ الـــذين أخذ عنهم شيخه عن شيوخه (4).

عمله : عمل الشيخ العالم محمد التهامي حينوني كمدرس للقرآن والفقه في حي ساهل مع شيخه سيدي محمد عمار بن محمد، ومن هناك نصحه شيخه بالسعي في نشر العلم ،وتعليم تعاليم الدين ، ومحاربة البدع والخرافات فما لبث أن رحل إلى أولف الكبير (الشرفا) (5) واستقر به المقام في حي" إينر " فدّرس بها تعليم القرآن والمتون والتف حوله أبناء المنطقة ينهلون من علمه ، ولم يبخل عليهم بما وهبه الله فوفق الله البعض منهم فأصبحوا أيمة من بعده كالطالب البرماكي الحاج محمد رحمه الله.(6) فذاع صيته وطارت شهرته في العلم مما دفع أهل الأهقار في طلبه و دعوته .

وبعد استقدامه من قبل أهل الأهقار و وجهائها وسكانها وتجارها واختلاف الروايات فيمن كان سبباً في قدومه والأرجح أن طلبه كان من قبل عبد القادر الخوجة بن سيد الحاج احمد ، وعيسى بن سليمان ،وعيسى فيها خير ، ،أحمد البرادعي وكان ذلك سنة 1936 م والأرجح أنه قبل هذا التاريخ بسنين ويؤرخ محمد بن موسى بن محمد فيلي(7) سنة قدومه يوم 14 شعبان 1355 في وفد من ثلاثة

رجال هم : سيد الوافي مولاي عبد الله هيباوي ، وأحمد إيعيش ، وسالم بن الحاج أحمد ،فوجد من الترحيب وكرم الضيافة في هذه المدينة الكريمة المضيافة ،

وحماية من امسليغ وبعده باي أخ الحاج موسى أق أخموك.

وقد سكن الشيخ في وسط المدينة قريب من المسجد العتيق حالياً ، فجعل من داره نواة لزاويته القرآنية ، وبعدها دعا إلى بناء المسجد العتيق الذي كان عبارة سقيفتين بجانبيهما مصلى مكون من حجارة قد وضعها باحمو بولنصار (7) حسب ما رواه الرواة ممن عاصروه ، وبعد إتمام توسعته صلى به أول جمعة أقيمت بذلك المسجد 07 شـــــــــــــــوال 1366 ه بعد الأخذ والرد وبعد جهاد دام لسنين فتقرب أهل البلاد ممن كان لهم استعداد للتعلم صغارا وكبارا فكبرت حلق العلم من حوله فتعلموا القرآن وعلوم الدين والفقه ،فأسس مدرسة فكرية إشعاعية حملت لواء العلم من بعده، ودعوته للأخوة والإتحاد والتعاون و المساواة جعلت من العرب والعجم الالتفاف حوله ، والسعي معه لتحقيق مبادئ الدين الحنيف ، فتأسى المجتمع بالأخلاق والاحترام وعدم التطاول ،وتبادل الآراء مما حقق للمجتمع تماسكه ووحدته .

أما عن رحالاته فقد يسر له المولى عز وجل الحج إلى بيته الحرام في آخر ذي القعدة من سنة 1384 ه ، وبعد عودته منه ظل في مجلسه العلمي يعلم ويدعوا إلى الإسلام بالتي هي أحسن إلى أن وافاه الأجل يوم الجمعة الخامس من نوفمبر 1982م الموافق ل 19 محرم 1403عن عمر ناهز 96 سنة في مدينة تمانغست.ومما خلفه في الفقه جملة من الرسائل التي تحمل حلول مسائل فقهية كان يرد فيها عن سائليه ، أو اجتهادت لمسائل أفتوا بها في الحلة أو كدال أو توات

وكانوا يخبرونه بما أفتوا وهي متناثرة في رسائله ،فهي تحتاج إلى بحث أكادمي متخصص .

2/ جهوده العلمية :

عند حديثنا عن جهود الشيخ العلمية فإننا سننطلق من جملة الأعمال التي قام بها ، فالشيخ - رحمه الله - عمل ليلا نهارا قصد إزالة الغشاوة عن العقول ويدعو إلى الدين بالتي هي أحسن غير مدخر أي جهد ، فأسس مدرسة قراءانية سرعان ما أوتي أكلها ،وتفرعت عنها مدارس لتلامذته ، فساهم في توسعه مسجد المدينة، وناضل من أجل إقامة صلاة الجمعة وكان له الفضل في إقامة أول جمعة بالمدينه على الرغم من اجتهادات من سبقوه ،كما عقد جلسات لمجلسه الفقهي صباحا وزوالا وليلا فعكف على تدريس الكبار والصغار وتحفيظهم لكتاب الله ،وسنة نبيه ،مركزا على المتون التي تقرب فهم أصول الدين كشرح رسالة الشيخ خليل، وشرح البخاري في السنة ، فكان رحمه الله حلو الكلام متزن الحديث ،حليم في مجلسه يكره اللّهو والعبث إذا ولج في الدرس أو التدريس ، محببا للدين بانتهاج اليسر والابتعاد عن الغلظة والمغالاة ،وهذا ما نجده في رسالة نصح قد وجهها له صديقه وحبيبه أحمد بن عبد الله بن سيدي البر يشي قائلا :(ومما أوصيك به لتعلم أن للعلم عورات لا يحل كشفها للعوام وتعلم ما وقع لإمام الأئمة إمامنا مالك في ذلك فاحذر من كشفها إلا ما لابد منه مثل أن ترى حق مسلم أراد أن يضيع وإياك ثم إياك أن لا تضيق على العوام إلا في أمر مجمع على حرمته وأما ما فيه وجه ولو ضعيف أم خارج المذهب فلا باس بارتكابه لأخف الضرر ينتفي الأكبر وامتثل قول الشاعر :

إذا درّت نياقك فاحتلبها فإنك لا تدري الفصيل لمن يكون)(9)

وهذا الأمر قرب إليه الأهالي من عرب وعجم وكان ينزل كل مقامه الذي يليق به ، دون تفريق لأن المعيار عنده هو العلم بالدرجة الأولى مما زاد من هيبته واحترامه . وحبب فعل الخير إلى قلبه وكيف لا وهو مجبول على ذلك ، كما كان مجلسه في الغالب يضم أعيان البلاد من أهل

المسجد يتبادل معهم الحديث في ما يصلح البلاد والعباد ،فكثيراً ما أصلح بين المتخاصمين ، سواء أفراداً أو قبائل كما ساهم في استتباب السلم والسلام بدعوته الإصلاحية ، واتصالاته مع أصحابه على الشريط الساحلي، ومع هذا العمل المضني لم يمنعه من ممارسة نشاط التدوين والكتابة بخطه الفريد فنسخ من الكتب الفقهية واللغوية ، ونسخ المديح النبوي كابن مهيب والبغدادي والبردة و الهمزية للبوصيري والقصائد النبوية مما لا نحصي له عدا فكان كلما سمع بكتاب في العلوم الدينية في الساحل إلا وحصل على نسخة منه ، مما كون به مكتبة عظيمة بها من مخطوطات الكتب النادرة أو المفقودة العدد الكبير، وهذه المكتبة ورثها ابنه الوحيد محمد بن محمد التهامي وهي في يد بنيه بعد وفاته بحي أركشاش أقبلي .

خزانته :

تعد خزانة الشيخ محمد التهامي الحينوني من أبرز خزائن المخطوطات التي تشملها بلدية أقبلي كمكتبة المخطوط بحي سأهل بن مالك، ومكتبة الكنتيين بحي الزاوية ، ومكتبة الأنصار بحي المنصور،وهي التي كونها بمدينة تمنراست ،وجلّ مخطوطاتها من خط يده أو تلامذته كالطالب ناجم سلامة ، محمد الناجم حادقي(أمغار) ، أو الطالب عباده أو أبن عمه محمد الناجم حينوني،أو ابنه محمد التهامي ، ومما خطه بنفسه الشئ الكثير اعلاه المصحف الشريف وهو موجود بالخزانة باقبلي ، وبعد وفاته - رحمه الله - 1982 م سعى القائمون من أهله على نقل خزائنه إلى قريته أقبلى حيث كان يسكن ابنه محمد التهامي ، وهو الوريث الوحيد خوفا من ضياعها ،حيث فقدت منها كتبا عديدة، كما شملت عناوين جمة وقف عندها مخبر المخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا لجامعة وهران.

نظرته إلى المخطوطات:

إن الاهتمام بالمخطوط دون اهتمام بكاتبه أمر من العيب والعار ، إذا لم يكن كاتب المخطوط من العلم بمكانه ودراية ، وإن لم يكن مدققا ممحصا لما يكتب، لما وصل إلينا هذا المخطوط بهذه الحلة ، لأن ما نراه اليوم من اهتمام بالمحقق يغيب معه كاتب المخطوط بل لا يذكر حتى اسمه ،أو لا ينظر لمكانته العلمية ،أمرُ يقلل من أهمية المخطوط ،وربما نقل المحقق عن غير معرفة لأن كاتبه لم يكن ذا معرفة أو تخصص فلذا استوقفتنا هذه الأبيات الشعرية للشيخ العلامة التهامي في أخر مخطوطه رسالة أبي زيد القيرواني وأردنا أن نستنطقها لنعرف مدى معانات كتاب المخطوطات ، ونظرتهم لمن سيقرأ، أو يحقق ما كتبوه :

فهاك أخي هـــذا الكتاب مفسّرا *** كتابُ أبي زيْد العجيـــــــب المعظمِ

فبالله فادعُ الله بالصــــدق يا أخي *** لِجامعه بالعفــــو عن ذنبه الجَــــــــــمِ

أخــــافُ عليــــه وارثا لا يصــــــــونهُ *** بزهــــــدِ الذي يحويـــــه من درر العلمِ

وأخـــشى عليـــــــه ناقــــــلاً ومحـــرفاً *** له لم يكن في الرأس منه سوى اللحمِ

نعم فليصحح ناقـــــــد ذُو بصيرة *** أخو ثقة ثبت ذكيّ أخي الفهـــــــــمِ

وأخشى عليه مستعيـــــــرا يضيعه *** ولم يدر ما قاسيت من تعب الرسمِ

ولم يعلم الجهـــــد الذي نالني به *** وما نلت في تحصيله من أذى الجسمِ

فاتْعبــــــتُ قلبي والبنانَ وناظري *** وصرفت فيه معظم الفكر والفهَـــــــمِ

فياليت شعري من إذا مت يعتني *** به راغباً من وارثي وربي عَـــــــــــــــمِ

ومن مســلم يرجوا السّعادة يبتغي *** رضى اللهِ والحسنى ومغفرة الاثمِ

أياربِّ هبْ هذا الخصال تفضلاً *** لمن يتعاطاه من العرب والعجــــــمِ

إن القاري لهذه الأبيات الشعرية ،يسمع صرخة صاحب المخطوط، وقد عانى فيه ما عانى،وهو لم يكتبه لنفسه بل لكل راغب

في العلم محصلا له ،فهاك أخي هذا الكتاب مفسرا ، ولا يريد من قارئه جزاء ولا شكور بل دعاء خالصا لله لمغفرة ذنوب هذا العبد المقصر ،ثم يقدم لنا فيما تكمن مخاوفه من وارث لا يصونه أو لا يقدر المكانة العلمية لهذا المخطوط،كما يخشى عليه من ناقل محرف قد يكتبه على هواه ، أوليس له باعا من العلم في الفن الذي يكتبهُ وقل ذلك في المحقق الذي غايته المصلحة الخاصة وليس خدمة العلم، بل يبتغي له ناقدا ذو بصيرة مصححا ، موضوعيا (أخو ثقة) ثبت أي متحكم ، ذكي أخي الفهم ،يرد الأمور إلى نصابها برجاحة العقل وهذه سيمات المحقق الناجح لا الذي يحقق من الكتب سليمها ، وما وجد فيه حذف أو تمزيق لا ينظر إليه .كما يخشى عليه من معير يضيعه ولا يقدر معاناة الكاتب في ما خطه عقلا وجسما ، لأنه أتهب قلبه،وجسمه،وبنانه، وناظره ،وفكره،وفهمه فليس من المعقول أن بذهب كل ذلك سدى ، ويتمنى أن يكون وارث إرثه أهلا له يعتني به ، ولكل مسلم يرجوا السّعادة هدفه رضا الله، والحسنى ومغفرة الإثم ،ويدعوا الله أن يهب هذه الخصال لمن يتداول مخطوطه من العرب والعجم ، وهذه رسالة إنسانية سامية يتحلى بها الشيخ التهامي ـ رحمه الله ـ.

المبحث الثاني : المدرسة الخطية التي ينتمي إليها ، وما تضمنته هذه الخزانة من مخطوطات محققة وغير محققة

1 / المدرسة الخطية التي ينتمي إليها

تعتبر مهارة (10)الخط من المهارات التي يكتسبها المتعلم من المدرسة منذ نعومة أظافره ، ثم تصقل هذه الموهبة رويدا رويدا بالممارسة والتقليد ،فقد تعلم الشيخ مبادئ الخط العربي المغربي حسب المدارس التي انتمى إليها من مدرسة الشيخ سعيدو إلى مدرسة خاله سيدي بحبي ،إبي مدرسة سيخه حمزة الفلاني بن مالك وهي التي قد تأثر بها تأثرا واضحا في رسمه للحروف وتمييز عن شيخه في الخط

من حيث الوضوح والإتقان وقد نسخ بيده الكريمة عدد هائلا من المخطوطات التي لا نحصي لها عدا والمتعلقة بنسخ البشير (إبن مهيب) أو (البغدادي) وهي تلك المخمسات في مدح النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ التي كان يهتم بها أهل الصحراء خاصة في شهر المولد النبوي ، كما نجد له نسخ لكتاب الله عز وجل بيده الكريمة وهو متفرد بكتابته،بكل دقة وإحكام ، كما له ضبط لمصحف مطبوع بمطبعة كنو بخط نيجيري صحح رسمه وشكّله بلغ في وقفه إلى سورة النور (11) ، وإن نسخه لرسالة أبي زيد القيرواني والتي استشهدنا بالأبيات التي جاءت في آخرها لدليل على عمله بياض نهاره وسهره سواد ليله قصد تحصيل العلم لنفسه ولمن يأتي بعده.

فالخط العربي المغربي هو السائد في مدارس منطقة أقبلي، وكل من تتلمذ على يد الشيخ حمزة الفلاني(12) كشيوخ قبيلة فلان أو من تتلمذوا على الشيخ الطالب التهامي كتبوا بنفس الخط كالشيخ الطالب ناجم اسلامة ، وأبنه محمد بن محمد التهامي، والطالب عبد القادر حفيدي المعروف بأعباده ، والطالب محمد الناجم حادقي المعروف بأمغار،والطالب محمد الناجم بن عبد الله كوتي ، والطالب أحمادو بوسليم ، وغيرهم كابن عمه محمد الناجم الحينوني الناسح لكتاب نضار الذهب في كل فن منتخب للشيخ المختار الكنتي ،وكل هؤلاء تعلموا الخط من مدرسته وهو قد تعلمه من المدرسة الفلانية الساهلية عن شيوخه ، وجلّ منسوخاته بالحبر الأسود يتخلله اللّون الأحمر لإبراز العناوين أو القضايا المهمة، أو مطالع الحروف في المخطوطات المخمسة لمدح خير البرية محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن الورق المستعمل أغلبه اللون الأبيض الذي أصبح مع العهد يميل للون البني ، والورق الخشن أكثر عنده من الورق الخفيف ، وكان في نهاية كل مخطوط يدعوا باللطف والرحمة لآبائه ولشيوخه بعد أن يؤرخ ويذكر

اسمه ونسبه ثم يدخر شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله إلى يوم أن يحتاجَها وهذا بعد الفراغ من كل مخطوط يخطه ببنانه الشريفة.

2/ مخطوطات خزانة الطالب التهامي:

ضمت خزانة الشيخ الطالب محمد التهامي الحينوني كتباً هامة ،وخاصة ما تعلق بالنتاج الكنتي السّاكنيين بمنطقة الأزواد في الساحل الافريقي ، وهذه الأسرة عرفت بعلومها الدينية ، وتأليفهم الفقهية ، ونظرا للمنطقة التي كان يعيش فيها الشيخ كانت منفتحة على هذه المناطق،التي كان أكثر أصدقائه يعيش فيها يتبادل معهم الرسائل الفقهية،وتعتبر رسائله بين أهل الساحل من مـــالي على الخصوص والنيجر دليل على دعوته للسلم واهتمامه بأمور المسلمين أينما كانوا ، ومن جملة الرسائل الإخوانية التي لم نعثر إلا على الردّ الصادر عن أهل تلك المناطق وخاصة منطقة كدال ، والحلة تتناول أغلبها القضايا الدينية والسّلمية وأكثرها تداولاً تلك التي كانت تربطه بأخيه وصديقه أحمد بن عبد الله بن سيد محمد البريشي بكدال وبين سيدي محمد بن بادي بالحلة ، فهذه الرسائل إن لم تتناول مسألة فقهية فهي تتحدث عن أحوال النّاس و قضاياهم الاجتماعية ،

(1) المصحف الشريف بخط يده برواية ورش
(2) متن الجزرية في معرفة تجويد الآيات القرآنية / محمد بن الجزري الشافعي
(3) .السر القدسي في تفسير آية الكرسي / (الشيخ منصور الطلاوي).
(4) زوال الألباس في طرد الوسواس الخناس. للمختار الكبير
(5) فصل في فضل القرآن العظيم / المؤلف مجهول.
(6) التلخيص على رسالة أبي زيد القيرواني.
(7) إرشاد العباد إلى سبيل الرشاد / زين الدين بن عبد العزيز بن زين الدين المنباري.
(8) نزهة الحلوم في منثور ابن أجروم للشيخ محمد بن أبّا.
(9) ورقات الترغيب في وصية الحبيب.
(10) نضار الذهب في كل فن منتخب للمختار الكنتي.

(11) شرح ابن مهيب (13)
(12) لباب الحديث / جلال الدين عبد الرحمن بن كمال السيوطي.
(13) تنقيح القول الحثيث بشرح لباب الحديث / المؤلف مجهول
(14) نازلة / إبراهيم بن سيدي عيسى.
(15) مخطوط في الفقه مجهول العنوان / للشيخ أحمد البكاي بن الشيخ سيدي محمد ابن الشيخ سيدي المختار.
(16) فتوحات الإله المالك (الربع الثاني)./ احمد المعروف الطاهر الإدريسي أبو الحسن.
(17) الجوهرة الذكية في حل الفاظ العشماوية / أحمد بن تركي بن أحمد.
(18) تفسير فاتحة الكتاب.
(19) تقييد على المقدمة القرطبية وأرجوزة الولدان في الفرض والمسنون .
(20) نوازل الشيخ باي بن عمر الكنتي / الشيخ باي بن عمر الكنتي.
(21) كتاب الزكاة ولله واجبة في ثلاثة أموال / (الشيخ باي بن عمر الكنتي.
(22) نوازل أبو حازم / الإمام ابو حازم.
(23) عمدة البيان في معرفة فرض الأعيان / عبد الرحمن الأخضري.
(24) مبارك الإبتداء وميمون الإنتهاء / أبو عبد الله بن احمد بن الحاج المصطفى الغلاوي الاحمدي الشنقيطي.
(25) نوازل الشيخ الشنقيطي / ابو عبد الله محمد الشنقيطي
(26) الدر الثمين والمورد المعين في شرح المرشد المعين على الضروري / أبو عبد الله محمد بن أحمد ميارة الفاسي.
(27) باب في علم المواريث / القصري بن محمد بن المختار بن عثمان بن القصري (الليبي) الولاتي.
(28) مسائل السبع المثاني / الشيخ محمد أبي الدارين .

(29) فتح البصيرة في قواعد الدين المثيرة / محمد الملقب باي بن الشيخ سيد عمر.
(30) العبقري في نظم سهو الاخضري / محمد بن أب بن حميد بن عثمان بن أبي بكر.
(31) هدية المنار للعوام والرجال والصبيان / محمد بن الحاج أبي بكر الكنتي.
(32) فتح الجليل في ادوية العليل / محمد بن محمد بن احمد بن محمد المديوني.
(33) شرح المختصر على المقدمة الرحبية في الفرائض / محمد بن محمد سبط المارديني.
(34) نصيحة البت لجميع كنت / المختار الكنتي الكبير.
(35) حزب الملوك والوزراء / أبو زكريا النووي.
(36) نصيحة الشباب في علم الآداب / الطاهر العبيدي.
(37) الطرائف والتلائد من كرمات الشيخين الوالدة والوالد / محمد الخليفة الكنتي.
(38) الروض الخصيب / محمد بن المختار الكنتي.
(39) نفح الطيب في الصلاة على النبي الحبيب /المختار الكنتي الكبير.
(40) الكوكب الوقاد في ذكر فضائل المشايخ و حقائق الأوراد / المختار أحمد بن أبي بكر الكنتي.
(41) سلم الرضوان / المختار الكنتي.
(42) الدرة المكللة في فتح مكة المشرفة المبجلة / أبو الحسن البكري.
(43) الرندية في شرح التحفة الوردية / محمد بن أب بن أحمد بن عثمان بن أبي بكر المزمري التواتي.
(44) تخميس الدرة السنية في مدح خير البرية / أبو عبد الله محمد المراكشي.
(45) منظومة الولدان في طلب الدعاء من الرحمن / محمد عبيد القادر.

(46) نظم القرطبي / يحي القرطبي الداري.
(47) منار مصباح السالك شرح أسهل المسالك / محمد البشار.
(48) فتح الجليل في أدوية العليل .
(49) نظم الدرر واللوامع في أصل مقر الإمام نافع.
(50) التحفة العلية في الخطب المنبرية لشيخ الإسلام زكرياء الانصاري - رضي الله عنه -

الخاتمة :

وفي نهاية هذه الورقة البحثية إننا للنحني تواضعا أمام هذا العمل الجليل لشيخنا وإمامنا إيمانا منا بأن الصدقة الجارية ستبقى لصاحبها، وأن الإنسان يبلى ،لكن علمه وعمله يكتبان له الخلود، وهذا حال شيخنا الذي استطاع ببنانه أن يخلد لعلم كاد أن يهد، ولصيد كاد أن يفر ، فقيده لقلمه سهر عليه ليله وبيض فيه نهاره وما نرجوه سوى ما طلبه منا أن نعتني بما خلفه لنا ، وأن نبتغي السعادة ورضى الله والحسنى ومغفرة الإثم ونورد قوله تعالى:"من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدا الله عليه فمنهم من قضاء نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا" صدق الله العظيم .

مصادر ومراجع البحث:

(1) رسالة أبي زيد القيرواني ، خط الطالب التهامي ، الخط المغربي ص 358. ينظر صورة من المخطوط آخر البحث ص13
(2) محمد باي بلعالم ، الرحلة العلية إلى منطقة توات ، الجزء الثاني، دار هومة،عين مليلة ،الجزائر 2005 ب.د.ط ص406
(3) عبد الرحمان بن خلدون ،المقدمة ،مؤسسة المعارف للطباعة والنشر،بيروت،لبنان ،2007 ط1 ص575
(4) ينظر نص الإجازة آخر البحث ص14
(5) حياة الشيخ التهامي ، مطبوعة من قبل أحفاده .
(6) زاوية الشيخ التهامي ، مديرية الشؤون الدينية لولاية تمنراست ، مخطوط باليد بدون مؤلف ص1.

(7) محمد بن موسى فيلي ،المسجد العتيف بتمنراست ،مطبعة رويغي،الأغواط الجزائر2013، ط (1) ص17

(8) زاوية الشيخ التهامي ، مديرية الشؤون الدينية لولاية تمنراست ، مخطوط باليد بدون مؤلف .ص3

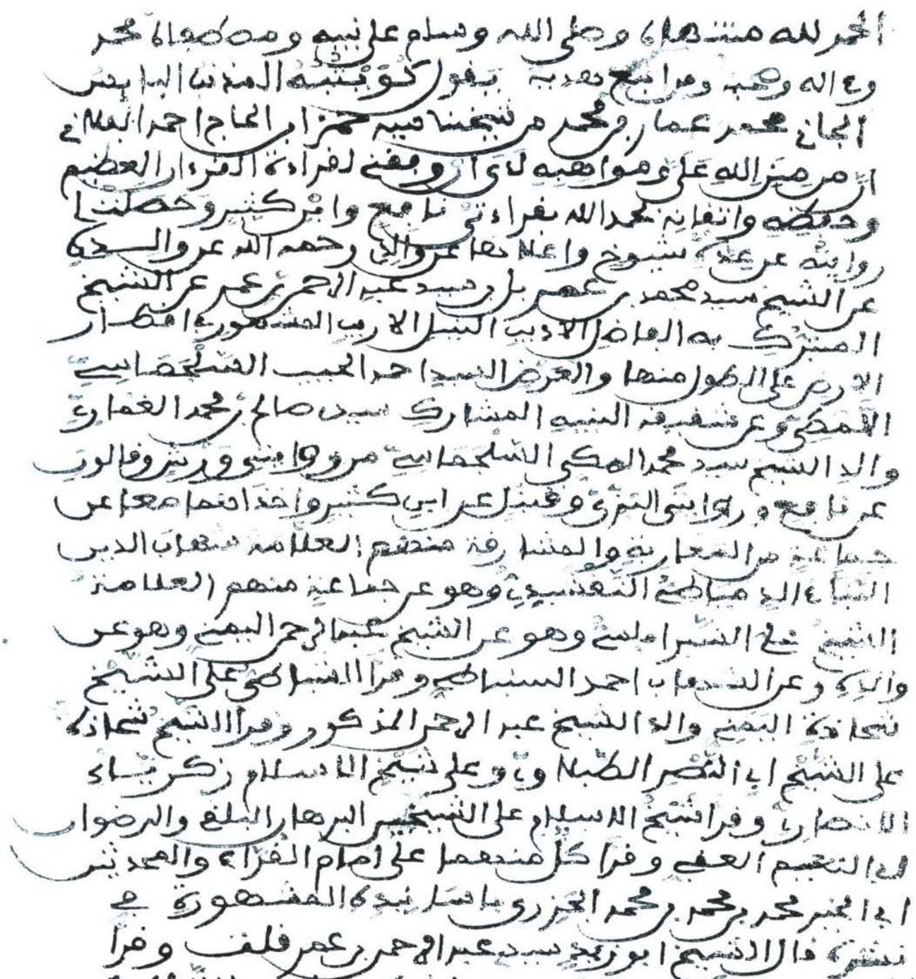
(9) رسالة مخطوطة من أحمد بن عبد الله بن سيد محمد البريشي إلى الأخ الطالب محمد التهامي بن عبد القادر بن الحاج أبي بكر ، بتاريخ 6 ابريل 1940 م 26 صفر 1359 .

(10) ينظر د.رشدي أحمد طعيمه .المهارات اللغوية .دار الفكر العربي .القاهرة .ب .د .ط .ص 30 تعريف المهارة عند good في قاموسه للتربيةبأنها(الشي الذي يتعلمه الفرد ويقوم بأدائه بسهولة ودقة سواء كان هذا الاداء جسميا أو عقليا.وأنها تعني البراعة في التنسيق بين حركات اليد والأصابع والعين) .

(11) محمد بن موسى فيلي ،المسجد العتيف بتمنراست ص17

(12) محمد باي بلعالم ، الرحلة العلية إلى منطقة توات ، الجزء الثاني، ص406 .

(13) أنظر آخر البحث.ص17


الحمد لله منتهاه وصلى الله وسلم على نبيه ومصطفاه محمد
وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه يقول كاتبه المذنب البائس
الجاني محمد عمار بن محمد بن شيخنا سيدي حمزة بن الحاج احمد العلامي
ان من منن الله علي ومواهبه لدي ان وفقني لقراءة القرآن العظيم
وحفظه واتقانه بحمد الله بقراءتي نافع وابن كثير وحصلنا لي
روايته عن عدة شيوخ واعلاها عن والدي رحمه الله عن والده
عن الشيخ سيدي محمد بن عمر بن سيدي عبد الرحمن بن عمر عن الشيخ
المتبرك به الفاضل الاديب النبيل الاريب المشهور في اقطار
الارض على الطول منها والعرض السيد احمد الحبيب السجلماسي
اللمطي وعن شقيقه النبيه المبارك سيدي صالح بن محمد الغماري
والد الشيخ سيدي محمد المكي السجلماسي من روايتي ورش وقالون
عن نافع وروايتي البزي وقنبل عن ابن كثير واخذاهما معا عن
جماعة من المغاربة والمشارقة منهم العلامة شهاب الدين
البناء الدمياطي النقشبندي وهو عن جماعة منهم العلامة
الشيخ علي الشبراملسي وهو عن الشيخ سلطان بن احمد اليمني وهو عن
والده وعن الشهاب احمد السنباطي وقرأ الشبراملسي على الشيخ
سحاذة اليمني والد الشيخ عبد الرحمن المذكور وقرأ الشيخ سحاذة
على الشيخ ابي النصر الطبلاوي وعلى شيخ الاسلام زكرياء
الانصاري وقرأ شيخ الاسلام على الشيخين البرهان القلقيلي والرضوان
ابي النعيم العقبي وقرأ كل منهما على امام القراء والمحدثين
ابي الخير محمد بن محمد بن محمد الجزري باسانيده المشهورة في
نشره قال الشيخ ابو زيد سيدي عبد الرحمن بن عمر فلقف وقرا

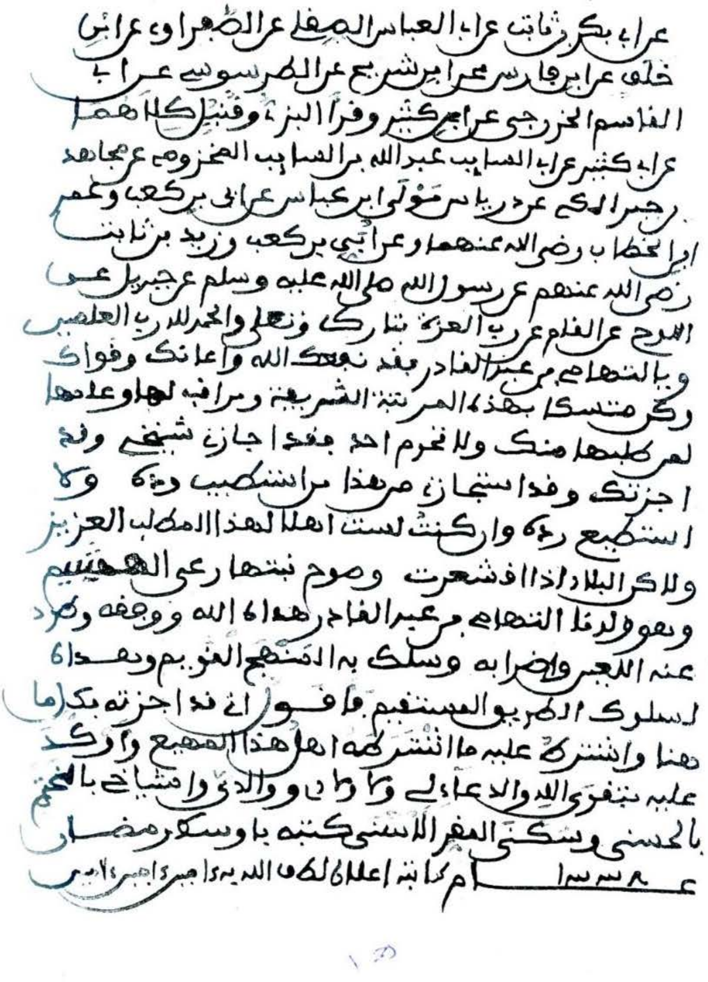
٣٢٨

المرسلين والحمد لله رب العالمين وما شاء الله لا قوة إلا بالله العلي العظيم، شعر،

فهاك أخي هذا الكتاب مفسرا ، كتاب أبي زيد العجيب المعظم
فبالله فادع الله بالصدق يا أخي ، لجامعه بالعفو عن ذنبه الجم
أخاف عليه وارثا لا يصونه ، بزهد الذي يحويه من درر العلم
وأخشى عليه نافلا ومحرفا ، له لم يكن في الرأس منه سوى اللحم

نعم عليه صح نافذ وبصيرة ، أخو ثقة ثبت ذكي أخي الفهم
وأخشى عليه مستعيرا بضيعة ، ولم يدر ما قاسيت من تعب الرسم
ولم يعلم الجهد الذي نالني به ، وما قلت في تحصيله من أذى الجسم
فأتعبت قلبي والبنان وناظري ، وصرفت فيه معظم الفكر والفهم
فيا ليت شعري إذا مت يحتسي ... أغبر من وارث ... عم
ومن مسلم يرجو السعادة يبتغي ، رضى الله والحسنى ومغفرة الإثم
أيا رب هيئ هذا الخصال تفضلا ، لمن يتعاطاه من العرب والعجم

انتهى بحمد الله تعالى وحسن عونه وكرمه وتوفيقه وصلى الله وسلم على سيدنا محمد نبيه ورسوله وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأصهاره وأنصاره وأمته وكان الفراغ من هذا الكتاب المجموع المبارك قايلة يوم الثلاثاء من الجمعة الحرام سنة (١٢٧٧) على يد كاتبه لنفسه ثم لمن شاء الله من بعده عبيد ربه محمد التهامي بن عبد القادر بن الحاج أبي بكر بن الحاج ناجم بن محمد بن محمد نسبا البحيوني منشأ الغيلاوي مولدا ودارا غفر الله له ولوالديه وإخوانه وأشياخه وأحبابه والمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات آمين واستودع هنا شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يوم احتاجها وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا طيبا مباركا إلى يوم الدين



عن أبي بكر بن ثابت عن أبي العباس الصقلي عن الطهراوي عن أبي
خلف عن ابن فارس محمد بن شريح عن الطرسوسي عن أبي
القاسم الخزرجي عن ابن كثير وقرأ البزي وقنبل كلاهما
عن ابن كثير عن أبي السائب عبد الله بن السائب المخزومي عن مجاهد
بن جبر المكي عن درباس مولى ابن عباس عن أبي بن كعب وعمر
بن الخطاب رضي الله عنهما وعن أبي بن كعب وزيد بن ثابت
رضي الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن
اللوح عن القلم عن رب العزة تبارك وتعالى والحمد لله رب العالمين
وبالتهامي من عبد القادر نفعك الله وأعانك ووفقك
وكن متمسكا بهذه المرتبة الشريفة ومراقبا لها وعاملا
لمن طلبها منك ولا تحرم أحدا فهذا جائز شيخي وقد
أجزتك وقد استجازني هذا من استطيب ذلك ولا
أستطيع رده وإن كنت لست أهلا لهذا المطلب العزيز
ولكن البلاد إذا اقشعرت وصوح نبتها رعي الهشيم
ويقول ولد التهامي من عبد القادر هداه الله ووفقه وطرد
عنه اللعب وأضرابه وسلك به المنهج القويم وهداه
لسلوك الطريق المستقيم ما فوق أني قد أجزته بكل ما
هنا واشترط عليه ما اشترطه أهل هذا المهيع وأن كد
عليه بتقوى الله والدعاء لي ولوالدي وأشياخي بالختم
بالحسنى وسكنى الفردوس الأسنى كتبه يا وسكر رمضان
عام [illegible]

عن ابي محمد عبد الرحمن بن علي البغدادي المصري عن محمد بن احمد
المعروف بالصائغ عن علي بن شجاع صهر الشاطبي
عن الامام ابي القاسم الشاطبي عن محمد بن علي النفزي عن محمد
بن الحسن بن محمد بن علاء العرس(؟) عن ابي داوود سليمان بن نجاح
عن ابي عمرو الداني عن … بن احمد عن ابي الحسن عبد الباقي بن
حسن المقرئ عن ابي … بن عمر المقرئ عن ابي بكر البغدادي
ابي نشيط عن قالون واما طريق الازرق عن ورش فرواها
ابن الجزري بالسند المذكور الى ابي عمرو الداني عن خلف بن
… بن محمد بن خاقان عن ابي عبد الله محمد بن عبد الله الانماطي
احمد بن اسحاق ابن ابراهيم الخياط عن اسماعيل بن عبد الله
… عن ابي يعقوب الازرق عن ورش وقرا قالون وورش
كلاهما عن نافع عن سبعين من التابعين منهم الاعرج
الزهري والاعرج عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن ابي
هريرة وغيرهما رضي الله عنهم والزهري عن سعيد بن المسيب
هو عن ابن عباس وابي هريرة وهما عن ابي بن كعب وهو عن سيد
الاولين والآخرين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن جبريل
عن اللوح عن القلم عن رب العزة لا اله الا هو تبارك وتعالى
… رواية البزي عن ابي ربيعة عن النقاش عن عبد العزيز
… عن الشيرازي عن الحماس(؟) عن الفيسي(؟) عن ابن مسرور
… النهرواني عن ابن كثير واما طريق قنبل فعن ابي احمد
السامري من طريق الشاطبية والتيسير عن ابن مليحة(؟)
عن ابي

الأستاذة :مـــــريم طـــــــهراوي
ــ جامعة الجزائر02

عنوان المداخلة:

خزائن المخطوطات بالجنوب الجزائرى
التعريف بالخزانة العلمية للزاوية التجانية قمــــار

في جنوبنا الكبير ، وفي واحاتنا الساحرة، وبين كثباننا الرملية، كنوز لابد من التنقيب عنها، وإخراجها لنستفيد منها ، هي خزائن من الكتب والرسائل والمخطوطات التي تصنع علمنا وميراث أجدادنا. إن أهمية هذا التراث ودراسته لمن يريد أن يقيم حضارة ويؤسس علم أمة؛ لابد له من العودة إلى جذرها ليرعاه، ويكون منه البدء والانطلاق.

واقع الكثير من خزائن التي خلفها علماؤنا بالجنوب الجزائري دفنها التراب أو كانت طعام للأرضة أو تناثرت بلا عنوان، ويأتي هنا دور الباحثين لأن يولوا هذا التراث الأهمية بالدراسة والتعريف والتنقيب والتحقيق. ومن الخزائن التي تحاول هذه المداخلة أن تسلط عليها الضوء بالتعريف وكشف محتوياتها وإخراج ما حوته من تاريخ مدفون إلى النور، ووصف لحالها، هي خزانة الزاوية التجانية بمنطقة بقمار، وذلك من خلال عناصر هي: التعريف بالزاوية والمنطقة، وأيضا نظرة على الحركة العلمية والعلماء الذين برزوا فيها، ثم قراءة في المخزون التي حوته الخزانة ومحاولة تصنيفه وتبويبه.وأهمية هذه المخطوطات في عصر الإلكترونيات.

قمار الموقع والتسمية:

في الشمال الشرقي لصحراء الجزائر ، وفي إحدى واحات سوف، كانت **قمار** تلك الواحة الهادئة والمدينة التاريخية والعاصمة الدينية لسوف ، مدينة المساجد والزوايا والعلم والعلماء.توجد مدينة قمار على الطريق الوطني رقم48 ، على بعد 15كلم شمال عاصمة الولاية ، تحدها بلديتا الزقم وسيدي عون شرقاً، أما من الشمال شط ملغيغ وبلدية الحمراية ، وفي جهة الغرب نجد بلديتا الرقيبة وتغزوت،

وتكون بلدية تغزوت تحدها من ناحية الجنوب. وهي تتربع على مساحة: 1264,60كلم^2.

تأسيس قمار تاغزوت الأولى: يعتقد الكثير من الباحثين أن أصل قمار يكون من بقايا قرية جلهمة التي كانت من بلاد للنصارى من بقايا الروم، ولما نزل بها عدوان أنشأوا قرية جديدة عرفت بالقدايم[48]

أما تسميتها : يقال أن أخوين من عدوان بقيا في المنطقة بعد رحيل القبيلة عنها، ونشب خلاف بينهما حول مكثهما، فوضع أحدهما علامة على موقع قمار الحالي الى شمال لقدايم وقال للآخر (أحط هنا قمار فيك) أي نكاية فيك[49]؛ وهكذا أصبح أبناءه يعرفون بأبناء قمار.وتشيع التسمية فيما بعد ، والتي تدل على العلامة، لتصبح قمار فعلا علامة في وادي سوف.

قمار حاضرة العلم والثقافة:

تعد قمار من التجمعات السكانية الأكثر قدما في سوف ، والأكثر تميزا بنمطها العمراني الذي لا نجده في أي مكان من خلال أزقتها وطرقها المغطات بالقباب أو منازلها بطابق واحد وخاصة بحي السوق[50]. ولقد كان لها في القديم أبواب تحرس المدينة بمراكز حراسة لذلك، ونجد في كل حي مكان يلتقي فيه السكان لمناقشة مختلف قضايا الحياة الاجتماعية وشؤونها ويكون ذلك في ساحة مقابلة لمسجد الحي وبه أقواس (سباط) ظهراوي (شمالي) وجنوبي(قبلاوي)[51]

أما النشاط العلمي والتعليمي الذي يتميز بفعالية مستمرة من خلال الدور الذي تقوم به المساجد والزوايا بتفعيل الحركة الثقافية ببروز شخصيات وأعلام فيها ليس على مستوى بلدة قمار فقط؛ بل امتد صداها الى أرجاء إقليم سوف ووادي ريغ. ومن بين العلماء محمد الصالح بن الخوصي القماري الذي كان معلم قران لسنوات طويلة بالزاوية التجانية بقمار وأيضا يحترف نسخ المصاحف والكتب ويكتب القصائد للانشاد توفي سنة 1926م. وأيضا الشيخ أحمد بن القا القماري ولد 1884م وتوفي1939م ورغم أنه كان ضريرا لكنه كان منهلا من العلم يحفظ عدة متون ويدرس متن ابن عاشر في الفقه وكتاب الآجرومية [52].

الزاوية التجانية بقمار:

كانت نشأة الطريقة التجانية على يد مؤسسها الشيخ سيدي أحمد بن محمد التجاني[53] المولود بعين ماضي بولاية الأغواط، سنة.. 1782 م. بقرية أبي سمغون

بصحراء الجزائر، وكان وصول الطريقة التجانية الى شرق الصحراء وتحديدا وادي سوف على يد سيدي محمد الساسي؛ حيث في سنة 1785 التقى الشيخ سيدي أحمد التجاني بابن قمار سيدي محمد الساسي بعين ماضي عندما كان يشتغل معلم قرآن في احد مناطق ولاية الأغواط ، وبعد احتكاك وتعارف بينهما وأخذه لطريقته طلب منه العودة لبلدته ونشر الطريقة عندهم، عاد الى قمار وبدأ ينشرها وبدأ المنتسبون إليها يتزايد، وسيدي محمد الساسي لا يتوانى عن زيارة شيخه مع أهل قمار. وفي الزيارة التي قادته يوم 10سبتمبر1788 وبعد الاحتفال بعيد الأضحى أعطاه الشيخ الأمر بتأسيس الزاوية في قمار، وشيدت الزاوية في قمار الغربية (تغزوت) سنة 1788، لكن الشيخ قال لهم لابد أن تكون في قمار وشيدت سنة 1789وذلك بعد سبع سنوات من ظهور الطريقة التجانية [54].

الحياة العلمية والفكرية في زاوية قمار

للزوايا دور مهم قديما وحديثا في الحفاظ على الهوية الوطنية والشخصية الاسلامية ، فكانت مركزاً للعناية بمختلف العلوم الشرعية واللغوية ، وأيضا كانت مركزا اجتماعيا تُعنى بشؤون وقضايا المجتمع وهكذا كان لها دور تعليمي وديني واجتماعي .

الحركة العلمية في زاوية قمار:

منذ نشأتها عرفت زاوية قمار بنشاطها العلمي والثقافي؛ فكانت بؤرة علمية ومركزا ثقافيا امتد صداه إلى البلدان المجاورة مثل تونس والمغرب وغيرها. وكل هذا جاء لتظافر عدة جهود وعوامل رسمت هذه الحركة في الزاوية، فلقد كانت عناية شيوخ الطريقة بالعلم والعلماء ، وجلبهم للعلماء لتدريس في الزاوية من أهم العوامل التي دفعت الحركة العلمية في الزاوية للتطور وأيضا:

الرحلة العلمية :

لقد شهدت الزاوية التجانية بقمار توافد الكثير من العلماء من مختلف الأمصار، كما شدَّ طلابها الرحال إلى مختلف الحواضر العلمية وخاصة جامع الزيتونة بتونس، وتمكن هؤلاء الطلبة من العودة بعلم في صدورهم والعديد من المصنفات في شتى العلوم. كما كان لرحلات الحج إسهام كبير في الاحتكاك بالعلماء وفرصة للأخذ والتحاور الفكري. فهذا على سبيل المثال ابن الخليفة التماسيني سيدي محمد العيد التجاني التماسيني يلتقي في البقاع المقدسة سنة1283ه/1866م بمفتي الديار المصرية الشيخ عليش وتدارس معه وأجازه في مختصر الخليل وموطأ مالك.

كما أن للمراسلات دور مهم في بعث الحركة العلمية و دعم الروابط بين علماء

المنطقة وعلماء الشرق والغرب ، من بين تلك المراسلات: المراسلات التي كانت بين شيخ الاسلام سيدي ابراهيم الرياحي(ت1266ه/1849م) والعلامة الفقيه لخضر بن أحمد حمانة القماري وقد ذكرت في كتاب تعطير النواحي في ترجمة ابراهيم الرياحي [55].

التعليم بالزاوية :

التعليم مظهر مهم على وجود حركة علمية وتطورها، يعكس مستوى التعليم الذي يعكس مستوى المجتمع، ودرجة تقدمه وتطوره وترقيته سلوكياً وحضاريًا، وهكذا كانت زاوية قمار مركزا مهماً لازدهار حركة التعليم في المنطقة بشتى طرقه.

ولقد سلك التعليم في الزاوية طريقين أو نوعين، أحدهما منظم والآخر مفتوح.

التعليم المنظم وهو التعليم القرآني الموجه إلى النشئ بهدف تعليمهم الكتابة والقراءة وحفظ القرآن والإلمام بقواعد اللغة العربية، وأيضا تلقي مبادئ الشريعة كتعلم الوضوء ، والصلاة وبعض مبادئ الحساب. وهذا التعليم ما عرفه ابن خلدون:" التعليم القرآني هو اللبنة الأولى من التعليم الاحترافي الذي هدفه تكوين جيل من الطلبة والمتخصصين في العلوم حيث كانوا يستمرون في مزاولة الدروس والتعمق فيها ، وذلك بواسطة الرحلات العلمية والتنقل للاستزادة وملاقاة العلماء والفقهاء وكبار الشيوخ". [56] وكان للزاوية التجانية بقمار ومنذ نشأتها كُتَّاب أو جامع أو ما يسمى حالياً بالمدرسة القرآنية، تعاقب عليه الكثير من المعلمين الذين أشرفوا على التدريس والتحفيظ ومنهم:(العارف بالله سيدي عبد الله بدة، وأيضا العالم الجليل سي ابراهيم زغودة(1930/1845) الذي كرس حياته لخدمة كتاب الله بالزاوية . وأيضا المعلم سي أحمد بسا(1955/1902)، والمعلم سي الطاهر بسا(1990/1902) وقد تخرج على أيديهم الكثير من حفظة كتاب الله وكان من بينهم بعض خلفاء الطريقة.

أما الطريقة الثانية من التعليم فهو تعليم مفتوح موجه لعامة الناس لترشيدهم وتذكيرهم وتعليمهم مبادئ الدين وتبين الحلال من الحرام. وكذا حلقات دروس تفسير القرآن وشرح الأحاديث النبوية، وهذا ما أسماه ابن خلدون التعليم الشعبي وعرَّفه قائلا:" وهو ترشيد العامة من الناس والوصول بهم الى درجة معينة من الفهم والعلم التي تؤهلهم إلى معرفة الأحكام الشرعية وتمييز الحلال من الحرام في أمور الدين"[57].وهذا ما كان يظهر في حلقات التدريس التي تنظمها الزاوية في مسجد الزاوية وبعض المرافق الأخرى التابعة لها مثل (الحوش الشرقي) ،و(الدار

الخضراء)[58]. ويشرف على هذه العملية أبناء الزاوية كالشيخ سيدي محمد حمه، وسيدي البشير. ويقوم بهذه العملية مجموعة من العلماء والأدباء مثل الحاج بلقيم القماري، والشيخ محمد اللقاني الطيباتي، وغيرهم من العلماء.

لقد حرص القائمين على الزاوية اختيار الطرق الناجحة في التعليم وإلقاء الدروس، وكذا انتقاء الأساتذة وجلبهم للتدريس في الزاوية مثل الشيخ أحمد بن دغمان القماري الذي كان يدرس بمدينة الكاف التونسية الذي عاد بدعوة من الزاوية التجانية ليتولى التدريس بها ، وأيضا الكثير من العلماء الذين يمرون ويحطون رحالهم في زاوية قمار مثل الشيخ السعيد الدوكالي المغربي ، والشيخ مناشو التونسي ، والفقيه عثمان النفطي التونسي.

وهكذا كانت قمار معروفة بكثرة علمائها آنذاك ونذكر بعض منهم ومن أهل منطقة وادي سوف الذين درسوا بالزاوية التجانية بقمار.[59]

- سيدي محمّد بن عمّار التغزوتي (نسبة إلى تاغزوت قرية غرب قمار) المعروف بكونه من تلاميذ سيدي خليفة بن حسن القماري ناظم متن خليل.
- سيدي الأخضر بن حمّانه القماري الذي تولى القضاء بها.
- سيدي احمد دغمان القماري .
- الشيخ المبارك المازق التغزوتي أصلا الجريدي التوزري منشأ ودارا.
- الحاج علي بن القيّم القماري.
- والشيخ محمّد بن البريّة القماري.
- الشيخ محمّد بن جديدي العلاّمة الوادي.

وهكذا ساهم هؤلاء العلماء من قمار وضواحيها بواد سوف في نشر العلم والثقافة العربية الإسلامية بالزوايا التجانية بقمار وتماسين.

النتاج الفكري لعلماء الزاوية التجانية بقمار:

كان للحركة العلمية في الزاوية التجانية نتاجها الذي خلقته، وهذا في شتى المجالات التي تفاعلت فيها مثل العلوم الشرعية ، العلوم اللغة العربية ، والعلوم العقلية.

العلوم الشرعية: وهي في مقدمة العلوم التي كان لها النصيب الأوفر والأكبر في اهتمام الزاوية، وتشتمل علوم التفسير والفقه والقراءات والحديث النبوي.فهذا الفقيه أحمد دغمان ترك الكثير من الفتاوى الفقهية التي تعبر عن آرائه السديدة، ومستواه العلمي الراقي، كما قام بشرح متن الشاطبية في علم القراءات[60]، وكما قام

بنظم أحكام البسملة .

علوم اللغة العربية:

ولقد حضت علوم العربية باهتمام كبير لما لها صلة كبيرة بعلوم الشريعة؛ ولهذا أحاط الكثير من علماء الزاوية بعلوم العربية ورعوها رعاية خاصة من حيث التدريس والتأليف. وبها اشتهر الكثير من الأدباء والشعراء، مثل الشاعر محمد الصالح الخوصي(ت1346ه/1927م) الذي خلف الكثير من القصائد.والأديب الشاعر الفقيه محمد بن بلقاسم الزيري (1869-1945) حيث كانت له مراسلات أدبية وفقهية مع العديد من العلماء بتونس وخصوصا مفتي الديار التونسية للشيخ البشير النفر وله عدة قصائد أشهرها نونية يمدح فيها سيد الوجود صلى الله عليه وآله وسلم.أما الشاعر الشيخ محمد اللقاني بن السايح الذي ترك الكثير من الآثار الأدبية والعديد من القصائد.

العلــــوم العقلية:

لم يقتصر نشاط علماء الزاوية على العلوم الشرعية واللغوية بل تعداه إلى العلوم العقلية كالحساب والتاريخ والجغرافيا والمنطق، فقاموا بشرح بعض مصنفات هذا المجال والتعليق عليها، وتبسيط محتواها حتى يسهل فهمها[61].

مؤلفات علماء الزاوية :

لم يكتفي علماء الزاوية بالتدريس بل كان لهم جانب من التأليف في مختلف العلوم والمعارف مثل:

الشيخ أحمد دغمان الذي ترك مؤلفات منها "الإجابة بحسم الخلاف أسوأ السوأى في الكتابة"[62]، وأيضا **العلامة سيدي محمد العروسي** الذي كتب بعض المصنفات منها "الكناش"، و"المخدرة"[63].

علماء الزاوية نشاطهم بالزاوية لم يعزلهم عن المجتمع وما يجري فيه ، بل كان لهم تفاعل كبير فيه وذلك من خلال المناصب والوظائف الإدارية المهمة كالقضاء والإفتاء والإمامة مثل سيدي لخضر بن أحمد حمانة الذي تولى الإفتاء، والشيخ أحمد دغمان الذي تولى القضاء بقمار حوالي 14سنة.

خزانة المخطوطات للزاوية التجانية بقمار:

المخطوطات الذاكرة التي تقف شاهداً على عظمة الأجداد ، وهي الكنز الباقي الذي العلماء السابقون من كتابات وكتب خطوها بأيديهم أو نسخها النُّساخ، وهي سجلٌّ عصرهم ومرآة أحداثه وأفكاره وقيمه، وبذلك تكون من أهم المصادر التي لا

غنى عنها لكل باحث يبحث في أي جانب من جوانب الحياة العلمية والاجتماعية وغيرها في ذلك الزمن البعيد. بفعل الزمن ركنت هذه المخطوطات في رفوف النسيان وتآكلت بفعل الإهمال، لنحاول الآن إزالة الغبار و فتح باب التاريخ لقراءة كتب صنعت في ما مضى التاريخ.

التعريف وتاريخ نشأة الخـــزانة:

الطريقة التجانية وفي زاويتها بقمار منذ نشأتها وتوسعها، ولأن الدّاعي الأول لتأسيسها هو العلم والتعلم، عمدت لتخصيص مكان خاص للكتب والمكتبة. والقبة الهرمية، التي أنشأت سنة 1300ه /1893م[64]، هي المكان الذي وضعت به المكتبة ، وحاول مؤسسوها أن يجمع كل كتب السابقين، وما حوته الزاوية من مصادر والسعي إلى اقتناء الكتب وكذلك العمل على تشجيع نسخ الكتب. وكانت تعرف باسم **"الخزانة العروسية"**. وفي مرحلة متقدمة حاول أبناء الزاوية تطوير المكتبة فجمعت كل عائلة مخطوطاتها وأطلق عليها " المكتبة العرفانية "(1989/1988). وكانت أكبر مكتبة وقتها بسوف، وأخذ منها الكثير من العلماء ومن بينهم صاحب كتاب الصروف . فجمعت بين الكتب المخطوطة والكتب المطبوعة في شتى المجلات الدينية والأدبية والعلمية... وكذا المجلات العلمية والأدبية والفكرية وهذا حسب اطلاعنا لفهرس المكتبة آنذاك.[65] وعلى الرغم من أن يد الإنسان والنسيان عبثت بها واختفت بعض أجزاء هذه المكتبة؛ إلا أن القائمين على الزاوية أبو إلا أن يحيوا سنة الأولين، ويعيدوا تجديد هذه المكتبة لتكون مواكبة لهذا العصر وكان افتتاحها في 2008 وتزويدها بالكثير من المصنفات والعناوين، وأيضا اعتمادها على الإعلام الآلي في عملها لتصبحت قبلة للطلبة والباحثين.

محتوى الخزانة:

الخزانة العروسية هي النواة الأولى والبذرة التي نمت لتنمو وتتطور لتكون المكتبة العرفانية ، لتكبر الشجرة وتثمر مكتبة المجمع الثقافي للطريقة التجانية بزاوية قمار الذي تم افتتاحه في 2008. ان محاولة إحصاء ما حوته المكتبة من بدايتها إلى الآن ليس بالأمر السهل ، وتضيق ورقات هذا البحث أن تحتويه. وسنكتفي بإجراء مسحة فوقية لما حوته من عناوين مهمة .

على الرغم من الخزانة العروسية هي المكتبة الأم والتي مازال أحفاد الشيخ سيدي محمد العروسي يحتفظون ببعض مخطوطات الكتب إلا أن المكتبة العرفانية هي المرحلة التي تم فيها جمع الكثير من الكتب والمخطوطات من أبناء الزاوية التي

ورثوها عن آبائهم ؛ بل وحتى أبناء قمار الذين كان لهم باع في العلم والتدريس أو ما خلفه آبائهم وأجدادهم، وهذا ما سجل في خانة الملاحظات بفهرس المكتبة[66].

إن قراءتنا لمحتوى الخزانة سيكون بداية من خلال هذا الفهرس أن المكتبة انطلقت كما سلف بالخزانة العروسية وهذا ما نلاحظه في بداية فهرسة الكتب حيث نلاحظ أن الكتب كانت مقسمة إلى ثلاث مصنفات عامة

الكتب الخاصة بباب الفقه والعبادات وهي :(64)مصنف، مثل كاتب جامع الترمذي لمحمد بن عبد الرحمن الأخضري بأربعة أجزاء ومقدمة، وموطأ مالك، فقه السيرة لمحمد الغزالي...

الكتب الخاصة بباب التصوف والطريقة التجانية: وهي (56) مصنف، مثل جواهر المعاني لسيدي على حرازم، والفتوحات المكية لمحي الدين ابن عربي، الإشارات الإلهية لأبي حيان التوحيدي...

كتب خاصة بباب الأدب والشعر والقصة وهي: (38) مصنف مثل شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (5أجزاء)، المقدمة لابن خلدون، مقامات الحريري ، كتاب الأغاني، روائع الجاحظ، المعذبون في الأرض لطه حسين، الخمائل لإيليا أبو ماضي،...

جانب خاص بالمجلات: مجلة الوطن العربي (20) عدد، مجلة الحوادث(21) عدد، مجلة المستقبل (23)عدد، مجلة هنا لندن(61) عدد، مجلة الفيصل(9) أعداد، ومجلة العربي(6)أعداد.

بالإضافة إلى جدول غير مرقم به الكتب التي ألحقت بالمكتبة سواء كانت عن طريق الإعادة أو الإهداء للمكتبة، (22) عنوان.

والسؤال المطروح ما مصير هذه الكتب الآن؟، من خلال لقاءنا بأبناء الزاوية والقائمين بالمكتبة أن قسم كبير من الكتب المُعارة قد استرجعها أصحابها، وهناك قسم أكبر من الكتب أضيف للمكتبة التابعة للمجمع الثقافي بمقر الزاوية، أما قسم الباقي من المخطوطات، وهي من بقايا الخزانة العروسية، مازالت محفوظة عند أحفاد سيدي محمد العروسي بقمار، وهو القسم الذي يعتبر الآن القسم الأثمن في مخطوطات الزاوية التجانية بقمار، ولقد وقفنا على هذا القسم الذي يحتوي على (117) مخطوط بالإضافة إلى (2) ختمتين من القرآن، وهناك فريق يسهر على المحافظة عليه.

وصف المخطوطات:

المخطوط هو ذلك الكتاب الذي يحمل أثر يد صاحبه مخطوطا أو ناسخها، ويحمل محتوى ثقافي بشري بين جوانبه، سنحاول تقديم وصف عام للمخطوطات التي وقفنا عليها.

حالة المخطوطات: إن الحالة التي عليها المخطوطات تستدعي دائما عناية خاصة، بفعل مرور الزمن وعوامله. لذلك نجد حالة المخطوطات التي وقفنا عليها تتراوح بين الجيدة والمهترئة، وهناك من به مجلد مزخرف أو مجلد غير متماسك، أو بدون مجلد. و كثير منها فقدت واجهة العنوان الذي يستدل في تحديده من خلال مقدمة الكتاب أو خاتمته.

حجم المخطوط: تتنوع المخطوطات من خلال أحجامها من الكبير إلى المتوسط، الى الصغير مثل جزء من ختمة القران طول صفحته:19.5سم، مخطوط مولد النبي للبرزنجي طول صفحته 25سم، وهناك مخطوط يصل طول صفحته الى 12.5سم، وقد يصل طول صفحته 33سم.أما من ناحية عدد الأوراق أيضا تتفاوت قد يصل المخطوط إلى 300ورقة وهناك مخطوطات بها 69ورقة فقط.

نوع الخط: المخطوطات أغلبها مكتوبة بالخط المغربي لكن هناك الرقيق مقروءة، وهناك ذات الأحرف السميكة، ولقد كان استخدام اللون الأسود هو الغالب في حبر الكتابة، واستعمل أيضا الأحمر والأخضر، والأزرق.

النّساخ وتاريخ النسخ: إن معرفة اسم الناسخ وتاريخ نسخه للكتاب أمر مهم لتحديد تاريخ وصاحب النسخ الذي لن يخلو عمله من ترك بصمته الخاصة على الكتاب حتى وإن لم يكن هو من ألفه.ولقد ساعدنا القائمين على هذه المخطوطات في معرفة بعض النساخ الذي كانوا من منطقة قمار، مثل محمد الصالح القماري (ت1308ه) ، وابراهيم بودراع بن محمد الصالح بن على (1955/1374)، وهناك مخطوطات تحمل تواريخ نسخها مثل : مخطوط باب التأويل في باب التنزيل (1205ه)، تاريخ الفراغ من تأليف الجامع الصغير من حديث البشير النذير(907ه)...

أهمية هذه المخطوطات في تاريخ الزاوية بين الماضي والحاضر:

لقد كان القائمين الأوائل على الزاوية يطمحون لإنشاء جامعة علمية شبيهة بالزيتونة والأزهر وهذا ما عكسه البناء المعماري للزاوية ، لأن القراءة المعمارية للقبة الهرمية " تشبه تخطيط المدارس الداخلية التي أنشأت في والحواضر الكبرى

والتي عادة ما تشتمل على قاعة للدروس أو أكثر وقاعات صغيرة للمذاكرة أو للمجالسات العلمية وإقامة الطلبة"[67]، ورافق هذا البناء المعماري بناء علمي تسعى الزاوية لبنائه من خلال نشاط العلمي في إلقاء الدروس وتعلم القرآن، وأيضا إقامة مكتبة تزخر بشتى العناوين. إن ما نسميه اليوم مخطوطات كان هو المصدر الأول للمادة العلمية، وكان اختيار عناوين الكتب يسعى لبناء مجتمع وتربيته حتى لا يحيد عن هويته ودينه، وهكذا المخطوطات آنذاك لم تكن حبر على ورق بل كانت مفاهيم تطبق ، ومعاني يُتحلى بها، بل كانت تمثل فكرهم وآراءهم، وزادهم العلمي الذي يتزودون به، ومرجعهم الذي يرجعون إليه. أما الآن اختلفت العلوم، وانتشرت وسائل مختلفة وأسهل لطلب العلم ودراسته، وغزو المعلوماتية جعل المخطوطات تركن على رفوف تصارع عوامل تآكلها، أو أنها تتآكل شيئا فشيئا من دون أن ننتبه لها. ومن هنا وجب الحفاظ عليها، لإعادة قراءتها، حتى نعرف المستوى العلمي الحقيقي لتلك الفترة وأصحابها، وحتى تبقى شاهدة على ما وصل إليه السابقون، وكيف تحدوا الصحراء لبناء حاضرة عليمة في وسط الرمال.

مشروع جمع ورقمنة المخطوطات:

الزاوية التجانية بقمار، سواء أبنائها أو حتى المنتسبين إليها لم يقفوا مكتوفي الأيدي، لأن إحساسهم بقيمة هذه المخطوطات وأهميتها، واعتبارها من الكنوز التي ورثوها عن آبائهم، بل أقاموا مشروع للحفاظ عليها. فهم يشتغلون منذ مدة على رقمنة جميع مخطوطات الزاوية ، وإقامة فهرسة علمية ممنهجة لها، ويسعى هذا المشروع الحفاظ على المخطوطات أولا من خلال تقليل الأضرار التي تنجم عن الاستعمال المباشر لها، وتسهيل الوصول إليها والاستفادة منها وتوظيفها في المجال المعرفي. لأن وجود هذه المخطوطات في بيئة صحراوية مفتوحة والعوامل الجوية المتقلبة أسرع في إتلافها. وهذا ما وقفنا عليه وأعلمنا به مسؤول المشروع[68]، وتحت إشراف دكاترة متخصصون في هذا الميدان، ولقد قطع هذا المشروع شوطا كبير، حيث تم تصوير ورقمنة عدد كبير من المخطوطات ، وإقامة لكل مخطوط بطاقة فنية وتقنية كأنها بطاقة تعريفية للمخطوط وسنرفق الآن نموذج لذلك: